MAG30.1.09/01
20 DEC 2010
AR:61

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعُبية

معهد الثقافة الشعبية
رقم الجرد
تاريخ الوصول
الترتيب

مكتبة علم الآثار
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

رسالة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية

تخصص : فنون شعبية

دراسة للمعالم الأثرية في مدينة ندرومة

من إعداد الطالب :
مصطفى مروان

تحت إشراف الأستاذ الدكتور :
معروف بلحاج

لجنة المناقشة :

– أ.د. عبد الحميد حاجيات	رئيسا
– د. معروف بلحاج	مشرفا ومقررا
– أ.د. شعيب مغنونيف	عضوا
– د. عبد الحق زريوح	عضوا

السنة الجامعية

2005 2004

كلمة شكر

قبل كل شيء نشكر الله عز وجل و نحمده الذي وفقنا في
إنجاز هذا العمل المتواضع، و بهذه المناسبة نتقدم بالشكر
الجزيل أولا وقبل شيء إلى الأستاذ المشرف "معروف بلحاج"
الذي كان له الفضل في الإشراف على هذه المذكرة ولم
يبخل علينا بنصائحه لتذليل الصعاب، و إلى الأصدقاء الذين
مدوا لنا يد المساعدة في إنجاز هذه المذكرة و نخص بالذكر:
* مالكي زهير * هاشمي لطفي * حيرش عبد القادر *
* دهالي محمد *
و إلى كل من ساعدنا و لو بكلمة امتنان.

شكرا للجميع.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الذي يرضى الله برضاه، ويسخط بسخطه

إلى من تعلمت منها الطيبة، إلي التي جعل الله تعالى الجنة تحت أقدامها، إلى التي جعلت صدرها وسادة لي وفؤادها راحة لي *إلى أمي الغالية*

- إلى أعز إلي من روحي وأقرب الناس إلى قلبي . . .إلى من رعاني وعلمني معنى الكفاح والصمود . . .إلى الذي جعله الله أوسط أبواب الجنة لقوله ﷺ *عن أبي الدرداء قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: *الوالد أوسط أبواب الجنة . . ." . رواه الترميذي.

إلى أبي الغالي

- إلى جميع إخوتي وأخواتي ، إلى كل الأهل والأحباب حيثما كانوا وأينما وجدوا .

- إلى كل الأصدقاء والأحبة.

- إلى ركيزة العلم والمعرفة إلى شجرة النشأة والأدب ، إلى خلفة الرسل عليهم السلام الأستاذ المشرف *معروف بلحاج*

- وأخيرا إلى كل من فتح قلبه لي وساعدني وساندني ولو بكلمة تشجيع وتوفيق في سبيل إخراج هذا العمل إلى النور .

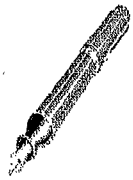

مقـــــــدمة

يعد التراث العمراني في الجزائر ، من أهم المواضيع التي لا زالت تحتاج إلى دراسة من جميع النواحي، وذلك لتنوع هذا التراث الذي تعاقبت عليه عدة شعوب وحضارات إلى يومنا الحالي.وقد ضمت الجزائر في فترات متلاحقة من التاريخ الإسلامي كثيرا من الدول، أدت دورها الريادي في مجال العمران والفنون الإسلامية على الوجه الأكمل، وقدمت روائع أثرية اتسمت بأنماط مبتكرة وأساليب متميزة عن أخواتها في دول الإسلام المختلفة، مما يدل على أن هناك من أسهم في تكوين ذلك الإرث الحضاري وعملوا على ترقيته بمختلف الأساليب، سواء كان ذلك على أيدي الولاة الذين استعملوا نفوذهم السياسي، بتقديم أموال أو استخدام الصناع المهرة والفنانين حتى ولو عن طريق استقدامهم من بلاد أخرى، والذين حسب ما بدا لم يدخروا أي جهد من اجل تطوير المناحي العمرانية وترقية الزخارف العمرانية وتنمية مواهب الفنانين الناشئين.

وبالرغم من هذه البحوث المتنوعة التي عولجت من طرف أساتذة مبرزين في هذا الاختصاص، إلا أن الجديد المقدم اليوم يتمثل في التحليل الدقيق والبحث عن أصول عنصر من العناصر الواردة. ولا غرو في أن مثل هذه البحوث تساعد على معرفة مقومات حضارة بلد من البلدان وثقافته، وبالتالي معرفة مدى مشاركته و إسهامه في الحضارة

كما لا يفوتنا أن نذكر بأن هذه المعالم الأثرية احتضنت ميلاد حضارة تعاقبت على بلاد المغرب العربي و الأندلس خلال العهد الوسيط. وهذا يدل على التطور الحضاري الذي عرفته الجزائر وأقاليمها خلال هذا العهد، ويعتبر العمران الحضاري من أقدم الصنائع، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت للسكن والمأوى للأبدان في المدن، وذلك أن الإنسان لما جلب عليه من الفكر في عواقب أحواله، لا بد له أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد،كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها . والبشر مختلفون في هذه الجبلة الفكرية التي هي معنى للإنسانية فالمقيدون فيها و لو على التفاوت يتخذون ذلك باعتدال كأهل.

وحاليا تعد منطقة تلمسان من أغنى المناطق الجزائرية التي تزخر بالشواهد الأثرية تشهد على الحضارات السابقة، وارتباط مدينةّ ندرومة بهذه المنطقة تاريخيا وجغرافيا جعلها تحضا ببعض المعالم الأثرية ظهرت بها خلال العهد الوسيط ، إلاّ أن الشخص الذي سيصبح خليفة للمهدي ويؤسس دولة عظيمة في بلاد المغرب الإسلامي، ألا و هو الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي. الذي أنجبه خزاف بسيط من ندرومة وتوجد قرية تاقرا مسقط رأسه في تراب قبيلة كومية الزناتيه البربرية.

وقد تعاقبت على المدينة أحداث تاريخية منذ العهد الوسيط إلى العهد الحديث اغلبها مرتبطة بالأحداث التاريخية التي عرفتها مدينة تلمسان.

وليس العمران كله موطنا وعيشا وسكنا، بل هناك أوضاع غير مادية، بل هي اجتماعية يحتاج المواطن لها ويتم عمرانه بها. أي أن العمران حضارة وتطور، مدينة ندرومة لا تغدوا أن تكون إحدى دوائر مدينة تلمسان، أصبحت من المدن الجزائرية البارزة، في حين كانت في السابق من أهم وأكبر المدن الحضارية في العصر الوسيط.

والعمران يقوم به الإنسان منذ الخليقة بالتنازل والتساكن في مكان بقصد التعاون والتآنس، وهو قديم قدم التاريخ الذي هو خبر عن الاجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم. فما يجري للإنسان في العمران يأخذه التاريخ ويصبح له سياجا وجرابا . لأن ذلك يصبح عبرة لمن اعتبر، لا سيما أن الماضي كالحاضر والحاضر كالمستقبل.

وللشروع في دراسة موضوع التراث العمراني في منطقة ندرومة وجب تحديد وتصنيف أهم المعالم الأثرية التي لا زالت قائمة أو تلك التي تعرضت للاندثار ولا زالت أطلالها شاهدة عليها.

أما إشكالية الموضوع فيمكن تلخيصها في بعض الأسئلة التي يمكن أن نجد لها إجابة في هذا الموضوع، فمثلا ما هي أصناف المعالم الأثرية التي تتواجد بمنطقة ندرومة ؟ وهل يمكن اعتبار مدينة ندرومة مدينة أثرية دينية ؟ أم مدينة مدنية ؟ أم مدينة عسكرية ؟

وقد كان من وراء اختياري لهذا الموضوع تلك الشواهد الأثرية التي لا زالت صامدة عندما نهم بالولوج إلى داخل المدينة، بالرّغم من أنها أحجار وطين إلاّ أنها تختزن تاريخ المنطقة. من جهة أخرى فإن مدينة ندرومة لم تنل قسطا وافرا من الأبحاث والدراسات، ربّما لأنها ظلت

طيلة العصور مرتبطة بتاريخ مدينة تلمسان التي يشار إليها عادة في الدراسات والبحوث مع إطلالة وجيزة على تاريخ مدينة ندرومة. ومن جهة أخرى كذلك فإن الموضوع يتناول بعض أثار تاريخية التي زالت قائمة والتي يهدّدها الزوّال بسبب التوسّع العمراني الذي تعرفه المدينة على حساب الآثار التاريخية ممّا سيؤدي حتما على فقدانها لطابعها الحضاري المميّز. كما يتناول الموضوع بعض الآثار التي أصبحت اليوم أطلالا ويجب الغوص في عتباتها لعلّنا نستخرج بعض ما تكتنزه من معلومات. ويتناول الموضوع التراث العمراني لمدينة ندرومة من خلال معالمها الأثرية. ترى ما هي المعالم الأثرية التي لازالت قائمة ؟ وما هي الآثار التي اندثرت ؟ سؤالين يمكن أن نجد لهما الإجابة في الموضوع التالي

وقبل ذلك وجب التعرض إلى المدينة العربية الإسلامية،نشأتها،و تطورها،ثم الخصائص والمعايير العمرانية للمدينة الإسلامية،ثم الكتابات التاريخية التي خصت منطقة ندرومة. من كتابات المؤرخ الإسلامي البكري، ابن خلدون، أو الحسن بن محمد الوزان، إضافة إلى الإدريسي.

كما لا ننسى ما تركه المؤرخون الفرنسيون، أمثال René Basset أو Gilbert Grandguillaume أو المؤرخ Marmol و Alfred Bel.

أما عن الفصل الأول فقد خصص لمدينة ندرومة،موقعها الجغرافي و أهم المراحل التاريخية التي عرفتها منذ الفتح الإسلامي حتى الحقبة الاستعمارية.أما الفصل الثاني فقد خصص لدراسة العمارة الدينية و على رأسها الجامع المرابطي الكبير والذي يعد من أقدم المساجد في الجزائر وبعد أطلال المساجد الأخرى ثم مسجد القدارين، وأخيرا الأضرحة والزوايا.

أما الفصل الثالث فمقسم إلى قسمين،القسم الأول يتعلق بالمباني المدنية المتمثلة في القصور القديمة، التي يمثلها "القصر البالي"، وكذلك بعض الحمامات وكذلك السوق القديم.

أما القسم الثاني يتعلق بالمعالم الأثرية العسكرية خاصة السور الذي كان يحيط بالمدينة وكذا مداخل المدينة الأربعة أو ما تعرف بالأبواب.

كما يتضمن البحث مجموعة من الأشكال والمخططات صنفت ضمن الملاحق تعبّر عن واقع وحقيقة المعالم الأثرية السالفة الذكر.

المدخـــل:

المدينة العربية الإسلامية

1- نشأة و تطور المدينة العربية الإسلامية.

2- طبيعة ومميزات المدينة العربية الإسلامية

3- التراتيب المعمارية و المعايير الهندسية للمدينة العربية الإسلامية.

4- مدينة ندرومة من خلال المصادر و المراجع التاريخية.

لعل العديد من الأسئلة تطرح نفسها عندما نتطرق إلى المدينة العربية الإسلامية، ما هـــو مفهوم المدينة العربية الإسلامية ؟. وهل هي مدينة تقليدية ؟ وما هي خصوصيتها؟

إن المدينة الحضارية هي تلك المدينة التي لعبت دورا هاما في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي. وكان في غالب الأحيان مقرا للحكم الملكي أو مركزا هاما في إحدى المقاطعات.

وأغلب المدن العربية الإسلامية تمثل وجها واحدا مماثلا على خلاف المـــدن اللاتينيـــة أو اليونانية.

إن هذا التشابه في المعالم الحضارية يرجع إلى حاجات المجتمعات الإسلامية، وبالتالي فـــإن الإسلام هو الذي أعطى لهذه التجمعات الحضارية مميزاتها العمرانية، بالرغم من وجود معـــالم أخرى ونلاحظ تأثير الدين الإسلامي على التنظيم الاجتماعي، والممارسات اليومية مما جعـــل جل المدن الإسلامية تعرف تناسقا حضاريا وعمرانيا الذي ظل حتى بداية القرن **20**م.

وبالتالي فإن المدن الإسلامية تشكل طابعا حضاريا وعمرانيا مميزا، بفعـــل خصوصـــيات طبعت على الطراز العمراني.

1- نشأة المدينة العربية الإسلامية:

لعل نشأت المدن ترتبط أساسا بالموقع الجغرافي الذي يوفر كل الضروريات لأجل قيـــام تجمعات سكانية.

وقد شهد العالم بداية أولى التجمعات السكانية في التاريخ خلال الألفية الســـابعة قبـــل الميلاد، في الأردن وفلسطين (أريحا)، والأبحاث الأركيولوجية أثبتت وجود أقدم مدينة ألا وهي إريدو حوالي **3500** ق.م ظهرت في بلاد الرافدين بالإضافة إلى حلب وماري في سوريا.

وقد كثرت هذه المدن مع بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد، وكانت أكثر تنظيما وأحســـن بناءا، وازدهرت أولى الحضارات في بلاد الرافدين، مثل البابلية والأشورية.

وخلال الألفية الثانية وصلت الحضارة إلى سواحل المتوسط، وظهرت مدن ساحلية مثـــل جبيل، صور، في لبنان وذلك خلال عهد الفينيقيين وكانت غالبا مدن تجارية لما عـــرف بـــه الفنيقيون من احترافهم للتجارة، في حين لم تدل الأبحاث التاريخية عن أي تواجد حضا شمال إفريقيا آنذاك. إلا مع بداية توافد الفينيقيين الذين أسسوا الحضارة القر

كان للحضارة الفرعونية في مصر دورا هاما في تطور العمران وانتشاره ثم الإغريق والرومان من بعد ذلك.

2-طبيعة ومميزات المدينة العربية الإسلامية :

يمكن تصنيف المدن العربية إلى نوعين :

مدن ما قبل الإسلام، والتي تعاقبت عليها حضارات عدة وكانت إما مراكز تجارية أو دينية، مثل مكة والمدينة

مدن ما بعد ظهور الإسلام، كانت في بدايتها تجمعات عسكرية لتتحول إلى تجمعات مدنية مثل الكوفة والبصرة بالعراق، الفوسطاط بمصر، القيروان بتونس أو تلمسان بالجزائر، وقد ظهرت بعد الفتوحات الإسلامية أين كانت تتخذها الجيوش الإسلامية قاعدة لفتح باقي الأراضي ونشر الإسلام سواء في آسيا الوسطى أو شمال إفريقيا وأوروبا.

وقد تحولت المدن الإسلامية بعد ذلك إما لعواصم حكم للأسر الحاكمة خلال عصر الإسلام، مثل دمشق عاصمة الأمويين، بغداد عاصمة العباسيين، فاس عاصمة الإدريسيين ، أو تلمسان عاصمة الزيانيين.

وقد يرى بعض الباحثين في المدينة العربية الإسلامية طابعا حضاريا مميزا، وتختلف آراؤهم ودراساتهم، فالأخوة Marçais (W.G) يرون أنها نظام وتطور اجتماعي وسياسي للمدينة العربية في حين يرى Eugen Wirth أنه لا توجد مدينة إسلامية ولكن ربما مدينة شرقية لأنه الطرز العمرانية التي توجد لا تفي لتحديد وضبط المدينة العربية الإسلامية(1) ؟

أما عن مخططات تشييد المدن الإسلامية فقد كان يعتمد على المخططات الإغريقية والرومانية ثم بدأ يتغير حسب طبيعة المناطق و إختلاف تضاريسها.

في حين كانت المحاور الرئيسية وهي الطرق الأساسية تؤمن الإتصال بين مراكز المدينة و الأحياء المختلفة و كذا أبواب المدينة .

أما الطرقات و المعابر الأخرى ، كانت تملأ الأحياء و تصل بينها و بين الطرق الرئيسية .

---

[1]) D. Grandet : Architecture et Urbanisme Islamiques, OPU juin 86 P 22.

-كما أن المدينة العربية الإسلامية تنقسم إلى أحياء مميزة ، يميزها الإنتماء العرقي مثلا (العرب ،العجم) أو الديني (المسلمين ، اليهود، النصارى) أو القبلي، أو الحرفي (حي النجارين، أو الحدادين ....إلخ) .

-كما تميز المدينة العربية الإسلامية المسجد الكبير ، وعادة يتوسط مركز المدينة.

-السوق و هو أهم ميزة للمدينة بحيث يمثل شرايينها النابض و يمثل السوق والحمام والمسجد الكبير رمز لمركز المدينة.

-تقسم المدينة العربية الإسلامية إلى قسمين ، قسم خاص بالنشاطات الاقتصادية والتجارية والمهنية وقسم خاص بالإقامة و السكن.[1]

3- التراتيب المعمارية والمعايير الهندسية للمدينة العربية الإسلامية:

إن العمارة الإسلامية هي قبل كل شيء مجموعة مبادئ مستفادة من العقيدة والشريعة يطبقها المجتمع الإسلامي في ظروف مكانية وزمنية معينة. وقد نتج عن ذلك تقليد عمراني مقيد بالزمان والمكان قد يكون صالحا لعصرنا.

- إن العمارة العربية الإسلامية أخذت تلك الأشكال وأعادت إنتاجها في المدينة الحديثة دون تقييم إصلاحياتها والمبادئ التي أفرزتها، وهي في الكثير من الأحيان مغالطة بفعل تسميتها بالعمارة الإسلامية لكونها لم تنطلق من المعايير وإنما من الأشكال.

-وهناك عدة معايير هندسية ميزت المدينة العربية الإسلامية خلال العهود السابقة يمكن تحديدها انطلاقا مما يلي:

أ- المعايير الهندسية:

-هي مجموعة المقاييس والمقادير المتعلقة بالبناء والتعمير. و هي تحدد طرق وكيفيات استعمال مواد البناء وتقنياتها وترشد استهلاك المصادر الطبيعية المتوفرة وتنظم العلاقات الاجتماعية بين السكان وتستجيب لمتطلباتهم الثقافية. وغايتها:

-حفظ أمن وسلامة وصحة السكان.

-ضمان نوعية البيئة الحضرية والتحسين المستمر لها.

-الاستجابة للمتطلبات الاجتماعية والثقافية للمجتمع الحضري.

---

1 A. Raymond - Grandes Villes Arabes à l'époque othomane . Paris 1960- P 168.

تضعها السلطاتُ هذه المعايير لإدارة المدينة ومراقبة الأنشطة فيها، ويلتزم بها أفراد المجتمع في معاملاتهم بينهم.

ولكون مصالح المجتمعات الإسلامية كانت تنضبط بمقاصد الشريعة وهي تعرف بالكليات الخمس التي يدور عليها التشريع في الإسلام وهي: حفظ الدين ، وحفظ النفس، وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال، فقد جاءت المعايير الهندسية لتستجيب لمتطلباتها.

ب- المعايير التقنية :

تهدف هذه المعايير إلى ضبط جودة البناء ونفي الغش والجهالة ومنع الضرر المادي وقد كانت في الغالب تسند إلى إدارة الحِسبَة. وتعتبر من الناحية الشرعية مشتقة من حفظ المقصدين الشرعيين الثاني والرابع و هما النفس والمال.

ج- مواد البناء:

لعل أهم ما يتعلق بموضوع البناء الحسبة على مواد البناء ومقاومتها وتقنيات استعمالها. وهكذا فقد جاء في كتاب الفقيه الأندلسي ابن عبدون ضرورة اهتمام القاضي والمحتسب بعرض الحوائط الحاملة لكي تحمل الأثقال وتمسك البنيان [فيجب أن تكون جهة ألواح البنيان في عرضها شبرين ونصف لا أقل من ذلك ... ويجب أن تكون الآجر وافرة ، معدة لهذا المقدار من عرض الحائط . ويجب أن يكون عند المحتسب أو معلق في الجامع قالب في غِـــلظ الآجر وسعة القرمدة ، وعرض الجائزة وغلظها ، وغلظ الخشبة ، وغلظ لوح الفرش، هذه القوالب مصنوعة من خشب صلب لا يستاس معلقة في مسامير في أعلى حائط الجامع، يحافظ عليها كي يرجع إليها متى ما نقص منها أو زيد فيها، ويكون عند الصناع آخر لعملهم، وهذا من أحسن شيء ينظر فيه ويؤكده][1].

وفيما يخص تقنيات البناء ومنع الأخطار، فقد كان المحتسب يقوم بالمراقبة اليومية للمباني. فإذا كان هناك حائط مائل يوشك على السقوط أمر صاحبه بهدمه مباشرة وقد حدث ذلك لابن الرامي، حيـــث لاحظ حائطا مائلا في مدينة تونس قبيل صلاة المغرب فاستشار في ذلك

1 (رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة القاهرة ص44)

القاضي عبد الرفيع فأمره بهدم الحائط ودفع أجور العمال ببيع مواد ذلك الحائط لأن صاحب الدار كان غائباً[1].

كما كانت هناك نقابة تجمع البناءين وأصحاب الحرفة يستعان بهم في الحكم على إتقان البناء وجودته، وكانوا يسمون بأهل الخبرة وأهل البصر، وكان ذلك في مدينة الجزائر وفي تونس وفي القاهرة وفي المدينة المنورة.

وفي مدينة القسطنطينية بالعهد العثماني صدر مرسوم من السلطان سنة **1572** للمهندس المعماري سينان باشا يأمره بمنع بنائين جاءوا من منطقة روميليا من مزاولة مهنة المعمار وذلك بسبب جهلهم بالصنعة وضوابطها ومعاييرها[2].

د- معايير الأضرار:

يقصد بها هنا الاهتزاز والرائحة والدخان والإزعاج والنظافة و الحرائق. فقد اهتم الفقهاء المسلمون بوضع ضوابط ومعايير للحكم بوجود ضرر ناتج من الأنشطة الصناعية والتجارية والحرفية . ففيما يخص الاهتزاز مثلا يذكر ابن الرامي في تونس انه تخاصم جاران بسبب الاهتزاز الناتج عن دق النوى عند أحدهما مما خيف أن يؤدي إلى تصدع البناء. فذهب إلى عين المكان وأمر بقصبة وورقة وحبات قصيرة، فرشق القصبة في الجدار وعلق إليها الورقة أفقيا بواسطة خيوط من أطرافها ووضع حبات القصيرة وسط الورقة ثم أمر صاحب الصناعة أن يشغل آلته. فإذا اهتزت حبات القصيرة عند التشغيل ثبت الضرر وإلا لم يكن هناك حجة لتوقيف تلك الصناعة[3].

فيما يخص ضرر الرطوبة والإزعاج الصوتي يرى ابن عيد الرفيع في كتابة معين القضاة والحكام انه يمنع من أحداث إسطبل عند بيت الجار لما فيه من ضرر البول على الحوائط وحركة الدواب بالليل والنهار . وقد حدث ذلك في تونس ، فأمر ابن الرامي صاحب الإسطبل بناء حائط آخر لمنع نفاذ الرطوبة والإزعاج الصوتي[4].

---

1 محمد إبن الرامي (ق 14م) الإعلان بأحكام البنيان مجلة الفقه المالكي المغرب سنة 1982.

2 يراسيموز ستيفان المنظومة العمرانية العثمانية المعهد الفرنسي للتخطيط جامعة باريس /ص40)

3 ابن الرامي. المرجع السابق . ص 305

4 المرجع نفسه .ص 306.

أما عن الدخان فقد قسم إلى نوعين منه ما يمنع ومنه ما لا يمنع. فالذي يمنع منه في الأحياء السكنية دخان الحمامات والأفران والحدادين والفخارين والطواحين. بينما لا يمنع ضرر دخان المطبخ والتنور للخبز الذي يحضر للبيت . ويأتي الضرر لسببين أحدهما ذات الدخان والثاني هو خطر الحريق[1] وحتى في المناطق المخصصة لهذه الأنشطة في المدينة فقد كان هناك قانون في القاهرة يقضي بأصحاب هذه الصناعات بتوفير كمية من الماء بغرض إطفاء الحرائق[2].

أما عن النظافة العامة ، فقد كانت تقوم بها الإدارة المحلية في بعض المدن العثمانية، بينما يكلف المحتسب السكان والصناع بنظافة الشوارع والمحيط في مدن أخرى. وهكذا ففي بعض مدن شمال إفريقيا مثل تلمسان كانت هناك علامات مثل العتبات تقسم الفضاء العام المشترك فيتولى كل محل نظافة الجزء المقابل له بين علامتين (قوسين أو خشبتين). أما في المحلات السكنية فقد كان لكل حي بوابة تحدد المجال الذي يقع تحت مسؤولية الجيران من حيث النظافة.

هـ-المعايير الوظيفية والجمالية:

هـ-1-معايير الاستعمال:

تهدف هذه المعايير إلى ضبط و ترشيد الاستهلاك المادي للفرد الضرورية مع الاحتفاظ بوحدة المجتمع والتكافل الاجتماعي بين أفراده. ولذلك فقد جاءت الأحاديث التي تحث المسلم على اقتناء المسكن الواسع واعتباره من سعادة الدنيا[3].

لكنه في المقابل يمنع أفراد المجتمع من التنافس في البناء. فقد جاء في الحديث أنه [من علامات الساعة التطاول في البنيان][4]. كما جاء في حديث عن أنس بن مالك قال [قال رسول (ص) النفقة كلها في سبيل الله إلا البناء فلا خير فيه][5]. وفي حديث آخر لإبراهيم

---

[1] ابن الرامي المرجع السابق، ص 300-302.
[2] اندري ريمون المدن الكبرى في العهد العثماني سندباد باريس 1985.
[3] ابن الرامي المرجع نفسه ص 306.
[4] الجار الصالح و المركب الهنيء و المسكن الواسع] مسند الإمام أحمد رقم 14830 .
[5] سنن الترمذي ، حديث رقم 2406.

النخعي عن النبي (ص) أنه قال [البناء كله وبال، قلت أرأيت ما لا بد منه؟ قال لا أجر ولا وِزر][1].

وقد يفسر هذا التوجيه بضرورة عدم الإسراف من جهة والاكتفاء بالحاجة، ومن جهة ثانية بمنع المنافسة لئلا تتّجه هِمم المسلمين إلى الركون للمادة فيتكاسلوا عن العبادة.

هـ2- المعايير الجمالية:

لقد جاء في صحيح مسلم أن الرسول (ص) قال [إن الله جميل يحب الجمال]. ومع ذلك فقد وضع ضابطاً لضرورة التجانس الجمالي في المدينة الإسلامية لتحقيق وحدة الأمة وعدم السماح للأفراد بالتظاهر في المجتمع و التنافس المادي. فقد بنى أحد المسلمين فوق مسكنه قبة تظهر متميّزة في المدينة المنورة وليس هناك غيرها فلما رآها الرسول (ص) غضب ولم يرد السلام على صاحبها. ففهم ذلك المسلم سبب غضب الرسول (ص) فقام وهدمها. فمر النبي (ص) بعد ذلك فلم يرها فسأل عنها فأخبر [إنه وضعها لما بلغه عنك فقال برحمه الله يرحمه الله][2]. ولا يعني ذلك تحريم القبة بقدر ما يعني منع التنافس والإنفراد عن الأعراف ولأنماط السائدة في المجتمع.

كما جاءت سوابق تاريخية في عهد عمر (ض) في منع أهل الذمة من رفع بنيانهم والاستطالة على المسلمين. وقد جاء في أوامر السلطان العثماني في سنة **1719**م منع الذميين من تجاوز طابقين في القسطنطينية ويقصد بهذا المعيار إظهار الجانب العقيدي كعنصر تفرقة[3].

و- معايير الجوار:

و1- منع ضرر التكشف والإطلاع:

يعتبر هذا المعيار من أقوى ضوابط العمارة الإسلامية السكنية. وسبب ذلك أن حفظ عرض المسلم وحرمته مقصد من مقاصد الإسلام. وقد كانت أول حادثة في ذلك ما ذكره الإمام مالك عن ابن لهيعة أنه كتب إلى عمر بن الخطاب في رجل أحدث غرفة على جاره ففتح فيها كوة (فتحة / نافذة) فكتب إليه عمر (ض) أن يضع وراء تلك الكوة سريراً يقوم

---

1 سنن الترمذي ، حديث رقم 2404.

2 سنن ابن ماجه ، حديث 4151.

3 يراسيموز ستيفان. القوانين الحضرية العثمانية ق16-ق19 جامعة باريس 8. غير مطبوع .

عليه رجل فإن كان ينظر إلى ما في دار الجار مُنِـــعَ من ذلك وإن كان لا ينظر لم يمنع. وقال فقهاء مالكية أن السرير هو الكرسي وما شاكله[1].

ولذلك فقد قرر الفقهاء منع فتح النوافذ على الجيران و ضرورة رفع ستائر الأسطح إلى متوسط قامة الإنسان. وقد ذكر ابن الرامي وهو المحتسب والبنـــاء التونسي أنه تمنع حتى مآذن المسجد من الإطلال على ما في البيوت المجاورة. وعلى الذي يسكن في مكان مطل على المدينة ألا يفتح نوافذه إلا بمسافة تقدر بطلقة الفرس حيث لا يمكنه أن يدرك بعدها وجه المرأة من وجه الرجل[2].

و2- منع عرقلة السير:

لقد كانت هناك حرية تامة للساكن في بناء مسكنه بشرط عدم الإضرار بالحياة الجماعية والجيران. ولذلك فقد جاء في حديث الرسول (ص): [إذا اختلف الناس في الطريق فحدها سبعة أذرع][3]. ويكون بذلك عرض الطريق مناسبا لمرور فارسين محملتين. كما حدد الفقهاء الارتفاع بما يسمح. بمرور الهودج وهو البيت الذي يوضع فوق الجمل للعروس مثلا[4]. كما حكم الفقهاء الحنفية بمسؤولية صاحب البناء لأي جرح نتيجة دُنُوِّ الشرفة أو خروج نتوءات إلى الشارع العام وهكذا فرغم عدم استقامة الشوارع وانعراجها في الكثير من المدن الإسلامية العتيقة فإن الفضاء الوظيفي للحركة كان محترما.

كما جاء في السنة النبوية الشريفة النهي عن رفع البناء الذي يحجب الهواء والشمس عن الجيران، بقصد الضرار. ويستثنى من ذلك البناء للحاجة الماسة حيث يعتبر الفقهاء المالكية أن منع المالك من التصرف في ملكه أكثر ضرراً من حجب الشمس والهواء.

ي- المعايير العمرانية:

لقد اهتم المسلمون بوضع معايير لتخطيط المدن وتنظيم الحياة المدنية بقدر ما اهتموا بتفاصيل البناء. وذلك لكون الإسلام دين تحضر وحضارة كما قال جورج مارسي. فلا يمكن إقامة حدود الإسلام وشعائره التعبدية مثل صلاة الجمعة والصلوات الخمس والتعليم إلا

---

1 ابن الرامي. المرجع نفسه .ص 308.

2 المرجع نفسه، ص 312- 313.

3 صحيح البخاري و في الترمذي بلفظ آخر.

4 ابن الرامي سبق ذكره.

بالاجتماع وإنشاء المدن. ولذلك فقد عرف فقهاء الحنفية المدينة بكونها المكان الذي يكون فيها سلطان يقيم الحدود وقاض ينفّذ الأحكام. وعرفها آخرون مثل الماوردي بكونها الوطن الذي تجتمع فيه المنازل: أي المكان الذي يستقر به وتـــقام فيه صلوات الجمعة والأعياد.

وقد استعمل المسلمون لذلك مجموعة معايير هندسية تخطيطية لتنظيم المدينة وقد تكرر بعضها في الكـــثير من المدن وعبر مختلف العصور بحيث أصبحت أعرافاً وتقاليد في فن تخطيط المدن. وتعطي مدينة الكوفة نموذجاً واضحاً لهذه المعايير لكونها قد تعرضت للوصف من قبل الإمام ابن جرير الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك.

ز- مقاييس الشوارع:

كتب عمر (ض) إلى سعد بن أبي وقاص في سنة **16** هـــ، بأن يدعو صاحب التنزيل (أي رئيس فرقة الهندسة في الجيش) وهو أبو الهياج بن مالك فيأمره أن يحدد لهم خطط المدينة. وقد حُدّت المدينة بضربات رمح للاتجاهات الأربعة وهو ما يعادل مربعا مساحته (**240م×240م**)[1].

ز1- الشـــوارع:

بعدما حُدد مركز المدينة على هيئة صحن صغير يتوسطه المسجد الجامع ودار الإمارة بقي الفضاء المحيط بهما مفتوحاً يستعمل كأسواق لا تحتكر بل هي على [سُنة المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه][2].

ثم قسمت الأراضي المحددة ما بين صحن المركز ومحيط المدينة وفق شبكة هندسية من الشوارع والطرقات والأزقة. فقد أمر عمر بن الخطاب (ض) أن يجعل في المدينة مناهج (أي شوارع) بعرض أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثين والصغيرة منها عشرين ذراعاً ، وأن يجعل فيها أزقة الزقاق سبعة أذرع، ليس دون ذلك شيء.[3]

وهكذا اختطت إلى الشمال من المسجد خمسة أنهج، ومن جهة القبلة أربعة أنهج، وإلى الشرق ثلاثة وإلى الغرب ثلاثة. وهذه الشوارع هي المناهج العظمى. ويضيف الطبري أنه اختطت مناهج ثانوية دونها تسير موازية للشوارع الرئيســـة وتتقابل معها في النهاية (؟) وقد

---

1 هشام جعيط مدينة الكوفة الكويت 1986، ص48.

2 صالح الهزلول المدينة العربية الإسلامية دار السهن الرياض 1996، ص37.

3 ابن جرير الطبري تاريخ الأمم والملوك ج2 – عن السنة السابعة عشر هجرية، ص334.

يكون المقصود أنها تلتقي على شكل إشعاعي عند الصحن الكبير وسط المدينة . ومن الواضح أن تكون الأزقة ذات المقاييس 7 أذرع شبكة ثانوية داخل الأحياء السكنية.

ز2 – الخـــطـــط:

فيما يتعلق بالفضاء السكني في الكوفة يذكر الطبري أنه وراء الصحن المركـــزي وكنتيجـــة لشبكة السير نشأت ما يسمى بالخِطَط وهي جمع خِطة. وهي قســـيمة أرض يحـــددها الحـــاكم ويمنحها لأفراد المسلمين بغرض بناءها ولكون المجتمع آنذاك مكوّنا من عدة قبائل. ونحن هنا أمام فرضيتي بالنسبة لهذه الوسيلة الهندسية في كيفية تحديد معاييرها . فإما أن تكون الخطـــط كلـــها متساوية القياسات بحيث تأخذ القبيلة الكبيرة (مثل بني ضبة) أكثر من خطة أو قسيمة. وتشترك القبائل الصغيرة أو العائلات أو الأفراد في خطة واحدة وهذا ما سمـــي عنـــــد الطـــبري بخِطـــة الأخلاط. ويبين ذلك أمر عمر بن الخطاب بجعل عرض الخطة ستين ذراعاً. والفرضية الثانية وهي أن تكون كل خطة وحدة هندسية مختلفة المقاييس يحددها عدد أفراد القبيلة الواحدة.

ز3 – معايير استهلاك الفضاء السكني:

يذكر الطبري أن الكوفة كانت مبنية بالقصب فوقع حريق مهول فيها أتى عليها كلـــها. ولذلك طلب سكانها من الخليفة عمر (ض) السماح لهم ببناء بيوتهم باللّبن فسمح لهم بذلك حفظا على أرواح المسلمين من الحرائق. لكنه أضاف شرطا مهما فقال: [إفعلوا، ولا يزيدنّ أحـــدكم على ثلاث أبيات (أي غرف) ولا تطاولوا في البنيان، ألزموا السنة تلزمكم الدولة. وابنوا مـــا لا يقربكم من السرف، ولا يخرجكم عن القصد. وكان أول ما بنوا المسجد][1].

ويبدو أن هذا الأمر تطبيق لحديث الرسول (ص) السابق الذي يقول أن ما ينفق ابـــن آدم في البناء وبال عليه إلا ما لا بد منه مما يحتاج إليه. ولذلك يمكن الاستدلال بهذه الحادثة في ثبوت حق الحاكم المسلم في تقييد استهلاك البناء بالاحتياج وضرورة منع الناس من السرف والتنـــافس والمباهاة بينهم والتطاول.

[1] ابن جرير الطبري المصدر السابق ص 347

ز4- معايير تنظيم الأسواق:

لعل أهم ميزة عرفتها المدن الإسلامية مع اختلاف مواقعها الجغرافية وتاريخها هو تنظيم الأسواق وفق مبادئ حددتها الحسبة في الإسلام. وقد تجسدت هذه المبادئ في معايير تنظيم التوزيع المكاني للأسواق. فقد كانت تجمع الصناعات المتجانسة في مكان واحد. يقول في ذلك أبو نصر الشيزري (ت **1192**م) [وعلى المحتسب أن يجعل لأهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم. وتعرف صناعتهم فيه فإن ذلك لقاصدهم أرفق ولصانعهم أنفق. ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار كالخباز والطباخ والحداد، فالمستحب أن تبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين، لعدم المجانسة بينهم وحصول الأضرار][1].

ونستنتج من ذلك عدة معايير هندسية تخطيطية منها:

-معيار التجانس بين الصناعات المتشابهة والمتكاملة.

-معيار الضرر الذي يقتضي إبعاد الأنشطة بسبب وقعها على المحيط وعلى الإنسان (الدخان، الرائحة، الإزعاج الصوتي، التلوث، العرقلة).

-معيار الحاجة اليومية للسكان بتسهيل أيجاد المكان المخصص وإمكانية المقارنة المرتبطة بالجودة.

-معيار المراقبة بالنسبة للمحتسب الذي يسهر على منع الغش والجهالة، والغرر وقد كان يساعده في ذلك عرفاء المهن وخبرائها.

في منهجية تقليدية تعتمد على إعادة الأشكال المعمارية القديمة دون وعي بالمعايير التي أفرزتها.

وما يمكن استنتاجه من المعايير التي عرضت سابقا هو ارتباطها الوثيق بالتشريع الإسلامي الذي يقوم على الاستجابة لمقاصد الشريعة التي حددها الفقهاء والأصوليون. ولذلك فإن أي محاولة لاستنباط المعايير الهندسية سواء من الماضي عبر تاريخنا الحضري أو في الحاضر عبر اقتباس المنظومات المعيارية المعاصرة السلطة إلا أثناء التراعات والتجاوزات التي تم العامة.

---

1 أبو نصر الشيزري نهاية الرتبة في طلب الحسبة_ بيروت 1969.

4- مدينة ندرومة من خلال المصادر و المراجع التاريخية:

تعد مدينة ندرومة من أعرق مدن الغرب الجزائري ، الزاخرة بتراث عمراني شاهد على حقبة زاهرة من التاريخ الإسلامي ، خاصة في العهد الوسيط .

وقد أسست المدينة في سفح جبل فلاوسن ، وتمتد على طول منحدر هذا الجبل على إرتفاع **360** متر إلى **470** متر .

ويعتبر جبل فلاوسن أعلى جبال ترارة حيث يبلغ إرتفاعه حوالي **1200** متر.

ويقابل المدينة البحر الأبيض المتوسط ، بحيث تبعد عنه على خط مستقيم يقدر **06** كلم. وتقع بين وادين ، وادي الحمراء من الجهة الشرق ، ووادي الدمين من جهة الغرب[1].

كما تشرف على سهل مزاورو الخصيب، ويحدها غربا منطقة سيدي يوشع، التي تبعد عنها بـــ **18** كلم .

من جهة الجنوب يحدها جبل فلاوسن ، و شرقا مدينة تلمسان التي تبعد عنها بحوالي **60** كلم، أما غربا فهناك مدينة مغنية التي تبعها بحوالي **35** كلم ، وشمالا على بعد **22** كلم مرسى الغزوات.

وقد كانت في منأى عن الطريق الكبرى التي كانت تربط الشرق بالغرب ، لكن بمحاذاة ميناء الغزوات.[2]

لقد تطرق العديد من المؤرخين إلى تاريخ بداية التعمير في منطقة ندرومة، ولعل أول الكتابات جاءت خلال القرن الخامس الهجري ، في كتابات المؤرخ الإسلامي "البكري"، بالإضافة إلى كتاب "وصف إفريقيا" لصاحبه "الحسن بن محمد الوزان"، كما تطرق الإدريسي إلى التطور العمراني الذي عرفته المنطقة خلال القرن السادس الهجري.

كما وجدت بعض الأبحاث والكتابات التي اختصت بتاريخ العمران بالمنطقة وقد اشرف عليها مؤرخون وعلماء آثار فرنسيون مثل **René Basset** في كتابه " **Nedroma et les**

---

1) – الدكتورة : أنيسة بركات : مدينة ندرومة عبد العصور – محافضة في الملتقى التاريخي الأول حول تاريخ مدينة ندرومة ونواحيها، ص02.

2 Marie -Anne Prenant -Thuumelin : Nedrema , Annales Algeriennes de Geografique . N° 4 1968/P : 21.

Traras" والمؤرخ **Alfred Bel** في كتابه "**Nedroma Metropole musulmane des traras**. ومارمول **Marmol** وكذا شاو" **Show**" .

لكن رغم ذلك يبقى التاريخ الحقيقي لبداية العمران في المنطقة مبهما ، وتظل آراء المؤرخين متضاربة من عصر لآخر. كما يبقى أصل تسمية المدينة محل جدال، فهو إسم قبيلة بربرية [1] تارة وتارة أخرى أسم روماني ، متعلق بالتواجد الروماني في المنطقة.

إن معرفتنا بندرومة قبل القرنين **5** و **6** هجري / **11** و **12** ميلادي ما زال يحيط بها الغموض بصفة عامة وفي مجال الدراسة الأثرية بصفة خاصة، كما لا يزال لا يعرف شيئا عن المدينة على سبيل المثال، كما يجهل مصدر اسمها وتطورها العمراني.

إن ما يورده حول اسمها الحسن بن الوزان الفاسي[2]، حول تأسيسها بقوله أنها من تأسيس الرومان، وأنهم اختاروا لها موقعا مماثلا، وتصميما مشابها لمدينة روما، وان اسمها مشتق من كلمة "ند" في لغة الأفارقة (أي العربية)، والتي لها نفس المدلول في كلمة "سيميليس" اللاتينية التي تعني "المثيل".

والمعروف أن الدراسة الأثرية للمدينة والمنطقة لم تصل إلى أي نتيجة يحتمل من خلالها أن تكون ندرومة مدينة رومانية، فغياب أي آثار للرومان بالمنطقة والمدينة يوضح أنها مدينة احدث من العهد الروماني.

ويحاول باسي "**Basset**"[3] أن يربط بين التسمية والمدينة صلة بما أورده اليعقوبي في كتابه "البلدان" عن مدينة أسماها "فلاوسن" تسكنها مجموعة من قبائل البربر، ويرى أن هذه التسمية مشتقة مناسم لقبيلة، غير أن باسي نفسه اعتمد على التصوير وربط العلاقة بين الاسم وأسماء ، ومشتقات أخرى غير صريحة في مجملها.

إن اسم مدينة ندرومة، يورده "البكري" لأول مرة في القرن **5** هجري/ **11** ميلادي، وبصيغة صريحة، وهو لا يتحدث عن مدينة حديثة ، وإنما عن مدينة ذات أهمية كبيرة من

---

[1]) الحسن بن محمد الوزان : وصف إفريقيا -ترجمة عن الفرنسية. محمد حجي ومحمد الأخضر. دار المغرب الإسلامي .ط 1 بيروت 1983 - ص 13.

2) المصدر نفسه ، ص 13-14.

3 Basset (U) : Nédroma et les Traras .pub de l'école des lettres d'Alger . Paris 1901. pp 5-7

الناحية الاقتصادية والعمرانية. فهي أي "ندرومة" في طوف جبل "تاجرا" وغربها وشمالها بسائط طيبة ومزارع، وبينها وبين البحر عشرة أميال، وساحلها مرساها وادي "ماسين" أي يشكله وادي ماسين، وهو نهر كثير الثمار ، وهو مرسى مأمون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به، إذا سرق أحد فيه أو أتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته[1] ثم يضيف البكري.

ومدينة ندرومة مسورة، لها نهر وبساتين فيها من جميع الثمار[2]، فالبكري إذن يشير إلى مدينة محاطة بسور، ولها مرسى مأمون عليه حصنان ورباط للحراسة يحمي المدينة من أي هجوم قد يباغتها، كما أشار البكري إلى أن هذا الرباط يتبرك به، يوحي إلى أن وظيفته العسكرية قد تراجعت إن لم نقل قد زالت، وهي ظاهرة عرفها شرق وغرب العالم الإسلامي بتحول الرباطات إلى أماكن للعبادة والزيارة.

والمعروف أن شواطئ المغرب الإسلامي كانت تتعرض بانتظام لغزو السفن البريطانية التي كانت تتخذ من جزر صقيلية وموانئ جنوب إيطاليا قواعد لها بالاضافة إلى بعض جزر البحر المتوسط خاصة في الفترة التي سبقت القرن **4** هـ/ **10** ميلادي حيث تراجع امتداد المسلمين في البحر المتوسط.

وفي نفس الفترة المبكرة عمل المسلمون على بناء قواهم البحرية من جهة، كما قاموا بتشييد الحصون والرباطات من جهة أخرى لصد هجومات البيزنطيين.

ومن المحتمل أن سواحل المغرب الأوسط، كانت تتعرض كغيرها لهذه الهجومات، وقد أقيم هذا الرباط الذي يتحدث عنه البكري، ولا يعرف متى ولا من قام بتشييده ولا شكله وتصميمه العمراني، وما يمكن استنتاجه أنه أقيم لحراسة منطقة عمرانية واقتصادية هي مدينة ندرومة، التي كانت تعتمد على التبادل التجاري ابتداء من مرفأ "الغزوات" المعروفة قديما بـ "نمور" والذي لا يبعد عنها بأكثر من **20** كلم، كما تتجه القوافل التجارية نحو تلمسان التي تبعد بحوالي **60** كلم أو نحو مدينة فاس البعيدة بـ **300** كلم.

ويذكر البكري في معظم ذكره عن أهمية المدينة ومكانتها الاقتصادية، لكنه يعزف عن ذكر باقي الخصائص العمرانية التي وجدت في المدينة كالمسجد، والسوق وغيرها، ويذكر في

---

1 البكري (أبو عبيد) : المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب نشر .maison d'œuvre . Paris 1965 ص80.

2 نفس المصدر والصفحة.

معرض حديثه عن مدينة ترانا القريبة من ندرومة على بعد ثمانية أميال منها أنها كانت "معمـــورة، ولها سوق ومسجد جامع وبساتين كثيرة" [1].

وبعد قرن تقريبا أي خلال القرن 6 هـــ / 12 ميلادي، بذكر الإدريسي نصا يتعرف فيه إلى مدينة ندرومة، ويتضح من خلاله أن المدينة تطورت تطورا ملحوظا منذ عهد البكـــري أي خلال القرن 5 هـــ/ 11 ميلادي. إذ يقول بأن "مدينة ندرومة مدينة كبيرة عامدة وآهلـــة ذات سوق وسور وموضعها في سند ولها مزارع كثيرة، ولها وادي يجري في شرقها، وعليـــه بســـاتين، وجنات وعمارة وسقي كثير "[2].

وعندما نقارن ذكر البكري وما جاء في كتاب الإدريسي، يتضح أنه وقع تطورا سريعا في النسيج العمراني للمدينة، وهي آهلة بالسكان وبها عمارة وسقي كثير ولها سوق وهذا ما لم يذكره البكري من قبل.

غير أن الإدريسي نفسه لا يشير إلى كافة الثرات العمراني مثل المساجد، لكن التطور الذي أتـــى على ذكره سكانيا وعمارة وزراعة، يؤكد بوجود مسجد جامع، بالرغم من الاهتمـــام بالســـور والسوق والرباط.

وقد ورد أنه وجد حوالي ثمانية مساجد إلى أحد عشر مسجدا جامعا في أواخر القرن التاسع عشر [3]، حسب ذكر باسي . Basset

ويبدوا أن مدينة ندرومة والمدن الأخرى المحيطة بها، كانت على ارتباط بالاحداث التاريخية الـــتي عرفتها مدينة تلمسان، بمعنى أن المنطقة بأكملها خضعت إلى حكم الخوارج الصفريين ثم انتقلـــت إلى الأدارسة برغبة منها ابتداءا من سنة 174 هـــ /791 ميلادية ، وقد تولى الحكم فيها سليمان بن عبدالله خلال عهد إدريس الأول، ثم محمد بن سليمان في عهد إدريس الثاني[4].

---

[1] البكري المصدر السابق. ص 80.

[2] الإدريسي : المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق، مفقه محمد حاج صادق. ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر 1983. ص 190.

[3] Basset (René) : Nédroma et les Traras. P 08.

[4] Ibid .p 08.

إن المدينة العربية الإسلامية، كانت أساس الحضارة العربية الإسلامية ومرآتها العاكسة لمدى التطور الحضاري و العمراني و الثقافي.

فهي بكل وضوح بؤرات للتطور الحضاري و هي أجهزة الاستقبال و الإرسال المادي والعلمي، ومركز الاستقطاب الفكري و الإشعاع الثقافي[1].

إذا كان هذا هو الدور الحيوي الذي تمارسه المدينة العربية ، فهل يتناسب معه إهتمامنا العلمي وجهدنا الأكاديمي؟ إن الذي يدرس المدينة الأوروبية لأمثك أنه سيجد مشكلته في كيفية استثمار الكم الهائل من المصادر والأبحاث والدراسات، في حين لا تزال المدينة العربية تبحث عن من ينفض الغبار على مكفوناتها، مقابل بحوث قام بها مجموعة من العلماء والمختصين أغلبهم مستشرقين عمدوا إلى دراسة التاريخ الإسلامي و لواحقه خلال العقبات الاستعمارية وربما تكييفها حسب تطلعات سلطاتهم وإدارتهم.

ولعل مدينة ندرومة، مثال على ذلك الإرث الحضري العربي الإسلامي الذي لايزال يعاني من الاندثار والإهمال الذي ربما لن يعرف بقاء في ظل التطورات التي تعرفها المنطقة وباقي المراكز الأثرية الأخرى.

---

1 دكتور : جمال حمدان – المدينة العربية – معهد الدراسات العربية العالمية 1964 . ص01 .

الفصل الأول:

جغرافية وتاريخ منطقة ندرومة

1-الإطار الجغرافي لمدينة ندرومة

أ- موقع ندرومة

ب- التضاريس

2- الإطار التاريخي لمنطقة ندرومة

أ- التسمية ودلالتها

ب- تطور المنطقة

3- التطور التاريخي لمدينة ندرومة

أ- ندرومة في العهد الإسلامي

4-الحياة العامة للمنطقة

أ- الحياة الاجتماعية

ب- الحياة الاقتصادية

مدينة ندرومة مدينة تاريخية قديمة ذات موقع جميل، لازالت حولها بقايا أثرية قديمة، وهي ذات شهرة في تاريخ شمال إفريقيا لكونها مثلت مهدا لأهم دولة إسلامية هي دولة الموحدين، تقطن المنطقة قبائل عديدة منها قبيلة كومية التي أنجبت عبد المؤمن بن علي مؤسس هذه الدولة ومازالت ندرومة تحتفظ بملامح وميزات المدينة العربية الإسلامية.

تتصف مدينة ندرومة بقوة الاستقرار الحضاري، إنها تتوسط منطقة ترارة[1] فهذا الموقع يسمح لها بتنمية أنشطتها الحرفية والتجارية. أحواز المدينة غنية بمنتوجاتها الزراعية والحيوانية، حيث أن فئة هامة من سكان المنطقة تمارس الزراعة وتعيش من مردودها، وأخرى يغلب عليها طابع الحرفة والتجارة.

نالت منطقة ندرومة مرتبة هامة في النسيج كما اشتهرت بالصناعة الفخارية، وأصبحت مركزا سياسيا واقتصاديا وثقافيا هاما وساهم في وجود هذا الدور كل من تاريخ المدينة العريق والدور الهام الذي احتلته كمركز إشعاع ثقافي وحرفي إضافة إلى الدور التجاري.

شكل الإطار الطبيعي والإطار التاريخي لهذه المنطقة إطارا عاما متكاملا ومنسجما عمل على تطور واستمرار الحياة الحضرية.

1- الإطار الجغرافي لمنطقة ندرومة:

أ- موقـــــع ندرومة:

أ1- الموقع الإقليمي:

تقع ندرومة في منطقة جبلية على بعد **60**كلم إلى الشمال الغربي من تلمسان على الطريق العابر منها إلى فاس التي تبعد عنها بحوالي **300**كلم، وذلك مرورا بمرسى (الغزوات)، وهو أحد موانئ المدينة ومراسيها التجارية ويبعد عنها بـــ **20**كلم فقط، وبينها أي مدينة ندرومة وبين مرسى هنين مسافة قصيرة تقدر بحوالي **13**كلم.

ويعد المرسى على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لتلمسان وندرومة معا.

---

1 كلمة استعملت في القرن 16م لأول مرة في تاريخ المنطقة وتعني التجمعات القبلية التي تحيط بالمدينة.

وكانت تسكن جبال تاجرا الممتدة بين مرسى هنين ومدينة ندرومة قبيلة مشهورة هي قبيلة كومية[1]، ولا شك أن مدينة ندرومة كانت تستفيد تجاريا من هذا المرسى الذي كان مقصودا من التجار.

وبموقعها ذاك تحتل المدينة موقعا متميزا على الطريق التجاري الكبير الرابط بين تلمسان ومدينة وجدة ومنها إلى رباط تازا وإلى فاس.

كما تعد ندرومة إحدى المدن الهامة والرئيسية للمملكة تلمسان الزيانية (**633-954م**) في المغرب الأوسط.

أ2- الموقع الإداري:

ندرومة مقر بلدية ودائرة تابعة لولاية تلمسان، تقدر مساحتها بحوالي **140** كيلو متر مربع يسكنها **22600** نسمة.

يحدها من الشمال دائرة الغزوات ومن الغرب دائرة مغنية ودائرة باب العسة ومن الجنوب دائرة الرمشي ومن الغرب دائرة بني صاف التابعة إداريا لولاية عين تموشنت.

ترتفع ندرومة عن سطح البحر ب **650** متر فهي منطقة متوسطة الارتفاع.

تتكون إداريا دائرة ندرومة من ثلاث بلديات وهي ندرومة وعين الكبيرة وفلاوسن.

ب- التضاريس:

ب1- المنطقة الجبلية:

وتتكون جبال منطقة ندرومة من ثلاثة سلاسل موازية للبحر ذات أشكال موشورية أو مخروطية وتقترب من بعضها عند الساحل، وتشكل امتدادا طبيعيا لجبال منطقة ترارا بكاملها كما تعد ندرومة قلب هذه المنطقة حيث يحدها شرقا وجنوبا وادي التافنة وغربا وادي كيس الذي يفصلها عن المغرب، وكانت كل قبيلة في المنطقة تحتل مكانا محددا في جبالها على شكل قرى اختيرت بحيث يمكن الدفاع عنها طبيعيا وبشريا بكل سهولة ويسر، وكذلك منحدرات وعرة يصعب الولوج إليها أو الوصول إلى مضاربها حيث تبدو كل قرية أو مركز كما لو كان حصنا أو قلعة[2].

---

1 كومية هي قبيلة بربرية كبيرة وشهيرة بالمنطقة، ينتمي إليها عبد المؤمن بن علي الكومي مؤسس الدولة الموحدية.

2 Canal. Monographie de l'Arrondissement de Tlemcen, Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la Provence d'Oran. T.VIII, 1888 . P83.

ب2- المنطقة السهلية:

أهم ما يميز إقليم ندرومة أنه يقع على المنحدر الشمالي لجبال فلاوسن يمتد على الهضبة الشرقية المتوجهة نحو البحر الأبيض المتوسط، خصوبة أرضه توحي بوجود مياه وافرة للمنطقة، ولهذا فإن خصوبة الأرض وأهمية الموقع شكلت دائما مظاهر إغراء للإقامة والاستيطان.

إن موقع ندرومة الممتاز وغير البعيد عن البحر يجعلها ذات أهمية استراتيجية ونقطة حساسة في العملية التجارية.

سهولة المنطقة ثرية صالحة للزراعة حيث نجد غابات متنوعة وأشجارا مختلفة مثل التين، الزيتون، التوت البري والخروب أي كل منتجات الحوض المتوسط.

مناخيا فإن منطقة ندرومة تنقسم فيها السنة إلى مرحلتين كبيرتين: موسم رطب بارد يمتد من أكتوبر إلى أواخر أفريل وموسم حار وجاف يمتد من أوائل شهر ماي إلى أواخر شهر سبتمبر ويقدر متوسط التساقط على المنطقة ما بين **400** و**600** ملم.

2- الإطار التاريخي لمدينة ندرومة:

أ- التسمية ودلالتها:

إن المعرفة بمدينة ندرومة قبل القرن **5** هـ/**11**م من الناحية التاريخية مازال يحيطه الغموض بصفة عامة، وفي مجال الدراسة الأثرية والعمرانية بصفة خاصة، فنحن نجهل تماما مصدر اسمها واشتقاقها على سبيل المثال، كما نجهل ظروف تأسيس المدينة ونشأتها وتطورها العمراني.

فإن ما يورد حسن الوزان حول اسمها من أنها من تأسيس الرومان وأنهم اختاروا لها موقعا مماثلا وتصميما مشابها لمدينة روما، وأن اسمها مشتق من كلمة (ند) في لغة الأفارقة ويقصد بها كما في اللغة العربية، التي لها نفس مدلول كلمة سيميليس (**Similis**) اللاتينية التي تعني (مثيل)[1] وهي معلومات خاطئة وغير صحيحة، نقلها عنه مارمول من غير تمحيص وزاد عليها معلومات أشد خطأ إمعانا في تأييد سابقة وإرضاء لتعصبه[2].

---

1 حسن الوزان، وصف إفريقية، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان 1983ص –ص13-14

2 كربخال مرمول، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ص222.

والمعروف أن الدراسة الأثرية للمنطقة والمدينة لم تصل إلى أي نتيجة يحتمل معها أن تكون المدينة رومانية، فقد حاول الكثير من الملاحظين والدراسيين الفرنسيين أن يؤدوا وجهة نظر حسن الوزان، فأجروا حفريات في أماكن مختلفة من المنطقة والمدينة نفسها دون جدوى[1]، فغياب أي أثر أو آثار للرومان بالمنطقة والمدينة يجعلنا نؤكد أنها مدينة أحدث من العهد الروماني في شمال إفريقيا.

ويحتمل أن اسم المدينة حل محل اسم قديم لها نتيجة أحداث وتطورات وقعت فيها ربما على يد قبيلة كومية[2] التي كانت تشرف على المدينة والمنطقة بأكملها.

ويحاول باسي أن يجد للتسمية والمدينة صلة بما أورده اليعقوبي في كتابه "البلدان" عن مدينة بربرية أسماها (فلوسن) كانت تسكنها مجموعة قبائل البربر، ويرى أن هاته التسمية مشتقة من اسم لقبيلة[3]. غير أن باسي نفسه اعتمد على التصوير وربط العلاقة بين الاسم وأسماء ومشتقات أخرى غير صريحة في مجملها، ذلك أن (فلوسن) هذه مجهولة الموقع والحدود.

غير أن الاسم الحقيقي لمدينة ندرومة يستدل عليه مما يورده بن خلدون في حديثه عن قبيلة كومية، إذ يقول أنه كان لهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم، وهي ندرومة وصغارة وبني يلول، ويضيف: أن مواطن كومية كانت بالمغرب الأوسط في المناطق الساحلية بنواحي أرشكول[4] وتلمسان.

ومن هنا يتضح أن اسم قبيلة ندرومة أطلق على المدينة والمنطقة لانتجاعها فيها أو في نواحيها، ولا شك أن هذه القبيلة كانت درجة من القوة والكثرة فرضت بهما نفسها على بقية القبائل الأخرى حتى أصبحت المدينة والمنطقة تعرف باسمها. غير أننا لا نعرف بالضبط متى أسست هذه القبيلة مدينتها ومتى أصبحت تعرف بها.

ب- تطور المنطقة تاريخيا:

على أية حال اسم المدينة يورده البكري في القرن **5هـ/11م** لأول مرة وبصفة صريحة ومحددة يدل على أنه لا يتحدث عن مدينة حديثة بقدر ما يتحدث عن مدينة ذات أهمية كبيرة

---

1 Canal, Op Cit , T.VIII , 1888 P 207.

2 H. Basset, Nédroma et les Traras, Publication de l'Ecole des Lettres d'Alger Paris 1901, P6-7

3 H.Basset. Op cit ; P7

4 أرشكول تسمى اليوم رشقون وفي قرية ساحلية تابعة إداريا لولاية تموشنت.

من الناحية الاقتصادية والعمرانية، فهو يتحدث عن موقعها وحدودها وما اشتملت عليه من سهول زراعية وبساتين مثمرة، ولكن أهم ما يذكر عنها باعتبارها مدينة، هو إحاطتها بسور، والسور أحد المعايير الحضارية في بناء المدن الإسلامية باعتبارها وسائل تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، وهي من مقاصد الإسلام الكبرى.

وتزداد أهمية المدينة من الدلالات التي يذكرها البكري عن المدينة في موضع آخر في قوله أن ساحلها وادي ماسين ... وله مرسى مأمون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به.

فوجود حصنان ورباط بمرسى المدينة يدل على أهميتها وحيوية المنطقة، ولا شك أن الرباط بالصيغة التي أوردها البكري من التبرك به، لم يعد موجه للحراسة والدفاع عن المنطقة، وبالتالي لم تعد له الوظيفة العسكرية التي أسس من أجلها، فالرباطات مثلما هو معروف بنيت في الحدود والمناطق والنقاط الحيوية التي يمكن للعدو أن يتوغل منها إلى المناطق والمدن السكنية، وهي ظاهرة أصحبت الفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب، وكان المغرب أحد المناطق التي انتزعتها المسلمون من بيزنطا المسيحية، وأمام فشلها برا في استردادها وانحياز السكان للمسلمين وانضوائهم تحت راية الإسلام، عمدت بيزنطا إلى الثأر والانتقام من الإسلام والمسلمين مستخدمة قواعدها البحرية الضاربة في جنوب إيطاليا في الهجوم على السواحل المغربية خصوصا وأن قوة المسلمين البحرية كانت ضعيفة في القرنين التاليين للفتح الإسلامي، فما كان منهم إلا بناء سلسلة من التحصينات والأربطة على طول السواحل للمراقبة والاستشعار وكان أهم تلك الأربطة رباطي سوسة والمنستير، وبكل تأكيد رباط تاونت أو الغزوات التي يتحدث عنه البكري أيضا.

غير أن هذه الأربطة لم تعد لها أهمية دفاعية لتحول المسلمين إلى قوة بحرية خلال القرن 3هـ/9م وما بعده، وإنبرائهم إلى سياسة الهجوم وتهديد القواعد البيزنطية نفسها في جنوب إيطاليا والنيل منها في أوقات مختلفة ومتكررة، مما أدى إلى تعطل الوظيفة العسكرية للرباطات، وتحولها إلى إقامات وملاجئ للمتصوفة والصلحاء والزهاد، وهو ما يعبر عنه البكري في العبارات السابقة.

فالرباط يبني عادة إذن للمراقبة وحماية المنطقة والمدينة من أي هجوم بحري أو بري مباغت، ويبدو أن رباط تاونت أو الغزوات بني من أجل ذلك غير أننا لا نعرف متى أقيم ولا من أقامه، كما نجهل شكله وتصميمه المعماري.

ومع أهمية المنطقة والمدينة يسكت البكري تماما عن الإشارة إلى أي مسجد أو جامع للمدينة، وسكوته لا يعني أنه لم يكن لها مسجد بل على عكس ذلك فإن إيمان الناس القوي في عهده والذي يتضح في حديثه عن إيمانهم بالغيبيات التي تدل عليها زيارتهم للرباط وتبركهم به، وأنه إن سرق أحدهم فيه أو أتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته الإلهية وقد تعارف الناس على ذلك مثلما يذكر. وهو ما يجعلنا نؤكد أنه كان للمدينة مسجد، إذ لا يعقل أن تكون مدينة بهذه الأهمية، لتخلو منه، فالبكري نفسه يشير إلى معرض حديثه عن المدينة ترنانا القريبة من ندرومة والتي لا تبعد عنها إلا بثمانية كيلو متر كانت مسورة ولها سوق ومسجد جامع وبساتين كثيرة فترنانا وندرومة متشابهان من حيث إحاطتهما بسور وهو أحد المعايير الموحية بأهمية المدينة وكونها مصرا أو مركزا حضاريا كبيرا لا بد أن يشتمل على مسجد وهو أحد العناصر الهامة في أي مصر أو مدينة.

* وبعد قرن من الزمن تقريبا أي في القرن 6هـ/12م يورد الإدريسي نصا عن مدينة ندرومة، يتضح من خلاله أن المدينة تطورت تطورا ملحوظا عما كانت عليه في عهد البكري، فهو يذكر أنها: "... مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور وسوق وموضعها في سند وبها مزارع كثيرة وبها وادي يجري في شرقيها وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقي كثيرا ..." ، ويؤكد نص الإدريسي كان قد ذكره البكري عن إحاطة المدينة بسور وما كانت تتميز به من سهول وبساتين ولكنه يضاف إلى ذلك عناصر جديدة أهمها السوق والجنان والسقي الكثير والعمائر، وذلك كله يدل على مدى التغيير الذي طرأ على المدينة وبكل تأكيد سينعكس على نسيجها العمراني، غير أن الإدريسي نفسه لا يشير إلى وجود أي مسجد بالمدينة ولكن التطور الذي أتى على ذكره زراعة وعمارة وديمغرافيا يؤكد وجود مسجد جامع، إذ لا يعقل أن تكون مدينة بهذه الصفة تخلو منه ذلك أن **CANAL** أعد في الربع الأخير من القرن 13هـ/19م ثماني مساجد وفي نهاية القرن أحصى **BASSET** أحد عشر مسجدا بمدينة ندرومة في أماكن وفترات مختلفة منها.

3- التطور التاريخي لمدينة ندرومة حتى نهاية العصر العثماني:

ارتبط مصير مدينة ندرومة والمدن الأخرى بالمنطقة بمصير تلمسان، ذلك أن مدينة تلمسان اتخذت منذ الفترة السابقة عن الإسلام عاصمة ومركزا للمغرب الأوسط الغربي، ثم عاصمة للمغرب الأوسط بأكمله منذ العهد الزياني، وكانت ندرومة في جميع تلك الأحوال تابعة لها، وإحدى مدنها الهامة منذ مطلع القرن 5هـ/11م.

أ- ندرومة في العهد الإسلامي:

أ1- ندرومة في عصر الولاة:

ولا شك أن ندرومة ساهمت إلى جانب تلمسان في الصراع السياسي والمذهبي الذي عم البلاد بوفاة الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز وذلك بسبب سياسة الظلم والاستبداد التي استمسك بها عمال المغرب في العهد الولاة من قبل الخلافتين الأموية في دمشق والعباسية في بغداد وبرضاء منهما، وهي السياسة التي وضع خطوطها العريضة الحجاج بن يوسف في المشرق.

وطبقت فيه كما طبقت في المغرب ولكن البربر كانوا أشد مقاومة لها لتعارضها مع روح التعاليم الإسلامية التي فهموها وآمنوا بها واتخذوا الإسلام دينا لهم على ضوئها خصوصا وأن ندرومة فرع من قبيلة كومية المنتسبة للقبيلة الأم زناتة التي لعبت دورا خطيرا في الأحداث السياسية والصراع المذهبي في المغرب منتحلة المذهب الصفري.[1]

وفي حدود 135هـ/752م تجمعت قوات زناتة بنواحي تلمسان تحت زعامة أبي قرة اليفرني عازمة على الانضمام إلى ثورات العرب والخوارج والبربر القائمة آنذاك ضد والي القيروان عبد الرحمن بن حبيب بإفريقيا والمغرب الأدنى وطرابلس، ولم يكن هذا التجمع خافيا على الوالي، فخشي من هذا الحلف، مما جعله يبادر إلى مهاجمة تجمع تلمسان وتمكن من تفريقه وإلحاق الهزيمة به[2]. لا شك أن قبيلتي كومية وندرومة الزيانيتين كانتا ضمن هذا التجمع، وأصابها ما أصابه.

---

1 ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ح.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان 1980، ص-ص 65-68.

2 السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق وتعليق الأستاذان جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب1954، ص105.

وبعد سقوط الخلاف الأموي تواصلت ثورات البربر ضد الخلافة العباسية، وكانت منطقة تلمسان دائما متزعمة لحركة الثورة، فقد أحست زناتة أن هناك مشروعا موجها ضدها تقوم الخلافة العباسية بإعداده لمنطقة المغرب[1] وذلك من خلال تعيين الأغلب بن سالم التميمي ومحمد بن الأشعث الذي بادر إلى تحصين القيروان واتخذ طبنة قاعدة متقدمة للقيروان في المغرب الأوسط، فعمدت زناتة التي كانت تتزعمها آنذاك قبيلة بني يفرن إلى مبايعة أبي قرة اليفرني بالخلافة وذلك سنة **148هـ/765م**[2] فاتخذ من تلمسان قاعدة له في المغرب الأوسط ومن طنجة مركزا له بالمغرب الأقصى.

وكان أبو قرة يمتاز بالقوة والشجاعة والدهاء، إذ تمكن من ضم زناتة المغربين الأقصى والأوسط تحت زعامته[3]، وسارت جيوش الطرفين كل منهما للآخر، واقتربت من بعضها في منطقة الزاب، غير أن المعركة لم تحدث بينهما لتخوف كل منهما من صاحبه، فتحاشى كل منهما مواجهة الآخر لما كان تحت يد كل منهما من قوات، فعادا كل منهما إلى مركزه دون قتال[4]، وظل الحال على ذلك من مساهمة تلمسان ونواحيها كندرومة وتاجرا في الصراع السياسي والمذهبي الخارجي الموجه ضد ولاة العباسيين.

أ2- ندرومة في عهد الإمارة الإدريسية:

قيام الإمارة الإدريسية[5] في المغرب الأقصى، وتأسيس مدينة فاس عاصمة لها، فتقبلت قبائل المنطقة من مغراوة وبني يفرن وكومية وغيرها سلطة الأدارسة، وهي السلطة التي أقامها أحد العلويين هو إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وذلك بعد أن فر من المشرق مطاردا من العباسيين، فلجأ إلى المغرب متخفيا في زي التجار حتى بلغ مدينة وليلي بالمغرب

---

1 السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان 1981.

2 عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، مج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1983 ص 233.

3 السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص، ص 247-248

4 السلاوي، الاستقصاء، ج1 ص116.

5 ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر تور، أبسلا، 1848، ص-ص11-25، وأيضا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، القاهرة، مصر، 1803م، ص-ص 76-90.

الأقصى، وهناك عرض نفسه على الناس فتقبلوه وناصروه مكونا الإمارة الإدريسية سنة **170هـ/790م** ومشيدا مدينة فاس عاصمة له سنة **171هـ/791م**[1].

وفي سنة **173هـ/793م** نزل الأدارسة بتلمسان فقبل سلطتهم سلما بنو يفرن من زناتة، وفتحوا لهم أبواب المدينة، وكانت شهرتهم قد بلغتهم فانضوى تحت لوائهم زعيمهم محمد بن خزر بن صولان المغراوي مع أهل تلمسان ونواحيها وقبلوا إمامته، فتلقى البيعة ودخل تلمسان[2]، وتقريرا منه للمدينة وسكانها شيد لهم جامعا صنع له منبرا، وذلك في رجب من سنة **173هـ/793م**، وفتح للصلاة بعد ذلك في صفر **174هـ/794م** وكان على لوح المنبر نصا تأسيسيا مضمونة: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة **174هـ/794م**"[3].

وبعد وفاة إدريس الثاني توزعت الإمارة الإدريسية بين أولاده وأحفاده، وكانت تلمسان ونواحيها من نصيب حمزة على ما يذكر ابن أبي زرع[4] بينما تجمع مصادر أخرى على أن متوليها كان ابن عمه سليمان بن عبد الله أخو إدريس بن عبد الله[5]، وكان سليمان هذا قد نزل متنكرا بتاهرت ونواحيها بعد وفاة أخيه إدريس بوليلي من جبل زرهون، حيث حاول استمالة سكان المنطقة ونواحيها فاستنكروه لجهلهم به وبنسبه، وتناهى خبرة إلى عمال بني الأغلب، فسعوا في طلبه والتخلص منه ففر منهم، وبفراره صحح نسبه وشاع أمره بين الناس وعرف قدره والتحق بتلمسان فملكها سلما، وأذعنت له زناتة وسائر القبائل بها[6].

وبعد ووفاته توزعت نواحي تلمسان بين أبناء محمد بن سليمان، ولم يكن حكم بعضهم فيها يتجاوز حدود المدينة التي يحكمها لدرجة أن كثيرا من المدن أو المناطق حملت اسمهم أو

---

1 أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب (وهو جزء من المسالك والممالك)، نشبه دوسلان بنصه العربي والفرنسي Librairie, A Maisonneuve, Paris,،1965 ص 118.

2 عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر ... ، مصدر سابق، مج 4 ص 24.

ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ... ، مصدر سابق، ص، ص 7-8.

3 ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس ...، مصدر سابق، ص8.

4 نفسه، ص38.

5 عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه ، ص28.

6 المصدر نفسه، ص 34.

نسبهم العلوي، وكانت هذه المدن والمناطق تتقاطع معها مدن أخرى تتزعمها قبائل أخرى ويتولاها رؤساء زناتيون من بني يفرن أو مغراوة أو مطماطة أو مكناسة[1].

وتسكن النصوص التاريخية عن ذكر منطقة ترارا ومدينة ندرومة، فقد كان اهتمام المؤرخين ينصب على العواصم والأمصار وما يدور فيها من أحداث.

ويبدو أن منطقة ندرومة في ظل هذه الأحوال كانت تعيش وضعا أشبه ما يكون بالاستقلال تحت زعامة قبيلة محلية، وظلت على ذلك حتى ظهرت الدعوة الفاطمية في المغرب وأثمرت عن تأسيس الدولة الفاطمية بالقضاء على الإمارة الأغلبية في إفريقية والرستمية في تيهرت وذلك في حدود سنة **296هـ/908م**[2].

أ3- ندرومة في العهد الفاطمي:

وقد ركز الفاطميون على المناطق الغربية للمغرب الأوسط وكذلك المغرب الأقصى مما يلي تيهرت وكانت تلك المناطق خاضعة للأدارسة من بني سليمان بتلمسان ونواحيها وبنو عمر بن إدريس في فاس والمغرب الأقصى، فضلا عن مناطق مستقلة لبعض قبائل زناتة.

وكان أمرا طبيعيا أن يصيب تلمسان من سياسة التوسع الفاطمي ما يصيب فاس وهي مطمحهم، فتلمسان في الطريق إليها وقريبة منها والاستيلاء عليها يتطلب الاستيلاء على تلمسان لموقعها ومكانتها الحضارية والاقتصادية والتجارية، ولذلك كانت معظم الحملات العسكرية التي يوجهها الفاطميون إلا تمر بتلمسان وضواحيها.

ولتحقيق ذلك عمد الفاطميون إلى اتخاذ تيهرت قاعة عسكرية لهم تستريح فيها جيوشهم القادمة من إفريقية ومنها تعبأ الجيوش وتوجه الحملات نحو المغرب، وكانت جهود الفاطميين تتعارض مع سياسة أمويي الأندلس الذين كانوا يخشون التوسع الفاطمي مع الدعاية الفاطمية فيها، ولذلك وقفوا موقفا حادا وقويا وألبوا قبائل المغرب الشرقي ومنطقة تلمسان ونواحيها ضدهم وأمدوهم بالأموال والسلاح مع أجل ذلك عاشت هذه المناطق في فوضى مثلما يقال وفي صراع دائم ومستمر لدرجة أن أتخذ ذلك الصراع مظهرا محليا بين القبائل والنواحي يحرك

---

1 سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، ص505-513.

2 ابن الأثير، المصدر السابق ...، ج6، ص132-133.

خيوطه الفاطميون وأمويو الأندلس، فاشتد التنافس بين الحسن بن أبي العيش من عقب الأدارسة وموسى بن أبي العافية الزناتي صنيع الأمويين[1].

أ4- ندرومة في العهد الحمادي:

وعندما حل الحماديون محل الزيريين والفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر وضعوا أيديهم على المغرب الأوسط.

ويبدو أن ندرومة وضواحيها كان يلحقها ما كان يلحق تلمسان من الغزو والسيطرة والاستيلاء، فقد عانت المدينة من جو الصراع الحمادي الزناتي وخاصة في عهد بلكين بن محمد بن حماد[2] وعهد الناصر بن علناس وابنه العزيز، ففي غزوهم لمدينة فاس وقبائل المغربيين الأوسط والأقصى كانوا يستولون وهم في طريقهم على المدن المهمة ولا شك أن المدينة ندرومة كانت من بين تلك المدن.

أ5- ندرومة في عهد المرابطين:

الدولة المرابطية[3]، دول أُقِيمت على أساس دينية إصلاحية مثلما يدل عليها اسمها، أقامتها صنهاجية باتحادها مع قبائل أخرى كجدالة ولمتونة ومسوفة ولمطة، وهي قبائل كانت تمتد على مناطق شاسعة في الجنوب وحوض نهر السنغال الحالي.

وترجع الجهود في إقامة هذه الدولة إلى فقيه مالك من منطقة السوس استقدمه زعيم قبيلة جدالة لتفقيه قومه في أصول الدين، فتطور الأمر إلى إقامة دولة ما لبثت أن أخذت في التوسع شمالا على حساب القبائل المتصارعة في ربوع المغربين الأقصى والأوسط فارضة عليه وحدة سياسية ونمطا من الحياة أساسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تمكنت من إخضاع

---

1 عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر .....، مصدر سابق، مج6، ص-ص 273-275، وأيضا – رشيد بورويبة، تاريخ الجزائر السياسي في عهد الفاطميين، تعريب محمد بلقراد في الجزائر في التاريخ، ج3، عصر الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص-ص 151-155.

2 رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1977، ص-ص 15-18.

3 عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، مج6، ص373-390، أيضا،

- A. Benachenhou, La Dynastie Almoravide et son Art, Alger 1974, et :
- H. Terrasse, L'Art Hispano-Mauresque des Origines au XLL éme Siècle Paris, ED G. Van Oest, 1932, P217-223.

جل القبائل وبناء عاصمة لها، هي مدينة مراكش سنة **456/1063**م، ومنها امتد نفوذها إلى المغرب الأوسط[1].

وفي حدود **472هـ/1079**م وصل المرابطون إلى تلمسان في غزوة وجه فيها يوسف بن تاشفين قائده التتلكاتي في جيش كبير استولى على تلمسان وقتل أميرها العباس بن بختي، وفي السنة التالية **473هـ/1080**م غزا يوسف بن تاشفين بنفسه للمرة الثانية المغرب الأوسط: "فافتتح مدينة وجدة وبلاد بني يزناسن ثم افتتح مدينة تلمسان واستلحم من كان بها من مغارة ... وأنزل بها محمد بن تينعمر المسوفي في عساكر المرابطين فصارت ثغرا لملكه ... ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل ونشريس إلى الجزائر وانكفا راجعا إلى المغرب ..."[2].

ولا شك أن دخول تلمسان تحت حكم المرابطين سبقه دخول ندرومة ونواحيها والمناطق الممتدة حولها في حكمهم.

ويبدو أن يوسف بن تاشفين وجد مناصرين له في ندرومة كما وجد المدينة على درجة من الأهمية جعلته يوليها عنايته ببناء جامع لها تحت إشراف قاضيه على سبتة أبو محمد عبد الله بن سعيد.

والواقع أن المرابطين قاموا ببناء جوامع في كل المدن الهامة بالمغرب الأوسط فقد فعلوا ذلك في الجزائر وفي تلمسان[3] ويبدو أن ندرومة كانت ذات أهمية كبيرة بدورها فحباها المرابطون ببناء ذلك الجامع.

ويرجع الأستاذ بورويبة أن يكون السور الذي ذكره البكري والذي بمدينة ندرومة من بناء المرابطين[4]، والسور والجامع يدل كل منهما على أهمية المدينة ووضعها موضع الأمصار والمدن الكبيرة، وإن لم تكن عاصمة أو مصرا كبيرا فهي مركز حضاري إقليمي.

وقد ظلت ندرومة تحت ظل الدولة المرابطين خانعة إلى الهدوء والاستقرار، تنموا على مر الأيام وتتطور وشأنها يتعاظم حتى سقوطها وقيام الدولة الموحدية.

---

1 السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج2، ص،ص 704-705.

2 عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، مج6، ص،ص 380-381.

3 R. Bourouiba, L'Art Religieux Musulman en Algérie, Algezr N.E.D.1973, P72-74.

4 R. Bourouiba, L'Architecture Militaire de L'Algerie Medievale, Alger, O.P.U. 1983 P93.

أ6- ندرومة في العصر الموحّدي:

وهي دولة شبيهة بالدولة المرابطية[1] من حيث قيامها على أسس دينية إصلاحية، وتنسب إلى رجل فقيه عالم، هو محمد بن تومرت الهرغي السوسي، من مصامدة جبال الريف، وهو داعيتها وموجهها، شعارها التوحيد، والتوحيد مذهبها وهو الاسم الذي أطلق على أتباعها وعلى المنطقة التي توسعت فيها، وقد استطاع بفضل أحد أتباعه وأصحابه وهو عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي[2] المتسم بالقوة والشجاعة والدهاء، أن يسلب الحكم من المرابطين ويقضي على دولتهم وهي في أشد قوتها وشبابها.

ويرجع الفضل أساسا في قيام الدولة واستقرارها وتوسعها إلى المؤمن فقد لعب دورا كبيرا في تنظيمها وأعلاه شأنها، وموطنه المغرب الأوسط من قبيلة كومية العتيدة القاطنة بجبل تاجرا بمنطقة ندرومة على بعد ثلاثة كلم من مرسى هنين من إقليم تلمسان.

ولعبت قبيلة عبد المؤمن الندرومية دورا أساسيا وخطيرا في الصراع الموحدي – المرابطي، وكانت مدفوعة لمناصرة والوقوف إلى جانب الموحدين في مواجهة المرابطين بعصبيتها، وبفضلها تمكن عبد المؤمن من إحراز انتصارات عسكرية وسياسية كبيرة على خصومه من القبائل والمرابطين.

وكانت ندرومة ونواحيها قد انضوت تحت لوائه ودخلت تحت طاعته قبل تلمسان نفسها[3] كما وجد في سكانها موردا بشريا قويا ألحقه بجيوشه وإدارة دولته وخاصة بعد أن استخلص الحكم لأسرته من يد المصامدة، فاعتمد عليهم في إدارة شؤون الدولة وقيادة الجيوش، وأعدهم إلى تلك المهمات بذكاء وفطنة، وبث منهم ما يزيد عن الثلاثة آلاف بين علماء المصامدة وأذكيائهم وفطنائهم، يتلقون العلم ويحصلون على المعارف والفنون التي تمكنهم من الاضطلاع من بالمسؤوليات التي تنتظرهم حتى فاقو الذين تدربوا على أيديهم، فعرضهم

---

1 ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1981، ص248 وما بعدها، وأيضا

– عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، حياته وأرائه، وثورته الفكرية والإجتماعية وأثاره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

2 عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971. ص ؟

3 عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه، مج6، ص 260.

عبد المؤمن يوما على أشياخ الموحدين طالبا منهم التخلي عن مسؤولياتهم ووظائفهم لصالح الشباب المتعلم ويتفرغون هم للاستشارة والتوجيه[1].

وبعد التحاق منطقة ندرومة بعبد المؤمن أخذ الصراع المرابطي-الموحدي في تلمسان وضواحيها مجرى آخر بعد المعركة الفاصلة بين الفريقين، فقد نزل المرابطون بموضع صفصيف بينما نزل الموحدون بالصخرتين إلى الشمال الغربي لتلمسان، ولم يوفق المرابطون في ضرب الموحدين وتأكد لأميرهم تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين أنه أخطأ النزول بالمدينة لأن نواحيها كانت قد انضمت لأعدائه، فتحول عنها إلى وهران وتبعهم الموحدون في جيوش جرارة من قبائل زناتة كبني يلومي ومنهم بنو عبد الواد وبنو توجين وغيرهم[2].

وفي وهران أحاطت الجيوش الموحدية بالمرابطين وتمكنوا من إحداث الاضطرابات في صفوفهم واقتحامهم لحصن تاشفين بن علي، مما اضطره إلى الفرار ولكنه سقط من على ظهر جواده وقتل وكان ذلك في 27 رمضان **539هـ/1144م** وبذلك سقطت الدولة المرابطية[3].

ويبدو أن ندرومة مثلها مثل المنطقة بكاملها ظلت على ولاءها للدولة الموحدية، تخدمها وتنتفع بخدماتها كما ظلت كعمالة من أعمال تلمسان، ولا شك أن المنطقة حظيت باهتمام عبد المؤمن وخلفائه، وأن ندرومة تلقت العديد من المباني وأن خطتها اتسعت بفضل الاستقرار الذي عرفته وأن عدد السكان قد زاد فيها بفضل ازدهارها وهو ما سوغ لعبد المؤمن تجديد جامعها الكبير وفاء لبني جلدته كومية وذلك بدلا مما يذهب إليه الدكتور علي علام من أنه بني علي يد عبد المؤمن[4]، ذلك أنه مثلما ذكرنا من منشآت المرابطين. ولا يمنع أن يكون الموحدون قد جددوا أسوار المدينة على غرار ما فعلوه في معظم المدن المغربية وخاصة مع الفتن التي أثارها ابن غانية للدولة الموحدية في المغربين الأدنى والأوسط، وقد أثبتت تلك الفتن أهمية إحاطة المدن بالأسوار الدفاعية والتحصينات مثلما فعل الموحدون مع أسوار تلمسان من حيث تجديدها وتقويتها[5] ولا شك أنها كانت نموذجا في بقية المدن بما في ذلك ندرومة.

---

1 عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر العام،المصدر نفسه، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص8.

2 عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج6، ص 477.

3 عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 131.

4 المرجع نفسه، ص 183.

5 السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه ص 836.

لقد كانت لمساعدة بني يلومي ومنهم بني بنو عبد الواد للموحدين وانحيازهم إلى صفهم في صراعهم مع المرابطين ومع بني غانية فيما بعد، أثر في إقطاع عبد المؤمن بن علي لهم سهول المناطق الممتدة بين تلمسان ووهران وإطلاقهم ليدهم فيها وخاصة لمساعدتهم لهم إبان غزو بن غانية للمنطقة مما أدى إلى تعيين يغمراسن بن زيان العبد الوادي عاملا على تلمسان ونواحيها ومنها ندرومة، وهو منصب لم يكن يتولاه قبل ذلك غير الأمراء من البيت الحاكم[1].

وقبل تولي يغمراسن وقعت أحداث من تلمسان استغلها بنو عبد الواد إلى السلطة وخاصة على يد يوسف بن جابر الذي عينه الخليفة الموحدي المأمون على تلمسان ونواحيها نظير إفشاله لمشروع إعادة إحياء الدولة المرابطية بالاتفاق مع بقاياها وبقايا بني غانية الذي كان بطلهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي وهو زعيم بقايا المرابطين بتلمسان[2].

غير أن مدينة ندرومة رفضت الخضوع ليوسف بن جابر من بني عبد الواد وهو أخو يغمراسن بن زيان على خلاف بقية حواضر المغرب الأوسط التي رضيت به وربما كان ذلك الموقف أنفة منها من محاكم من غير الأسرة المؤمنية الموحدية أو لكنه من غير قبيلة كومية فتوجه إليها يوسف بن جابر ضاربا حولها حصارا شديدا يقاتلها من خارج أسوارها، وهي ممتنعة عليه، ورماه أحد الجند من أعلى سورها يدعى يوسف الغفائري بسهم أصابه فقتل وذلك سنة **629هـ/1231م**[3] وبموته خلفه ابنه الحسن، ثم ترك الحكم لعمه عثمان ابن يوسف ولكن سكان المدينة أخرجوه منها وطردوه من الحكم لغلظته وفظاظته وفساد سريرته وعراكه الدائم مع الناس وكان ذلك سنة **631هـ/1233م** بعد سنة ونصف من بداية حكمه خلفه أبو عزة زجدان بن زيان بن ثابت بن محمد ولكنه قتل خارج تلمسان سنة **633هـ/1235م** في حرب بين بني عبد الواد وبني راشد، فتولى الحكم بعده بإجماع الناس أخوه يغمراسن[4] فاستقل بالمغرب الأوسط عن الموحدين ومحى رسوم دولتهم و لم يبق منها غير الدعوة لها على المنبر.

---

1 شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، العصر الإسلامي، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص، ص 200-201.

2 يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، منشورات المكتبة الوطنية الجزائر، 1980، ص199.

3 المصدر نفسه، ص 200.

4 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أ7- ندرومة والصراع الزياني – المريني:

ظلت مدينة ندرومة ونواحيها بعد قيام الدولة الزيانية[1] إحدى أعمالها الغربية الهامة إلا في أوقات قليلة كانت تخضع للمرينيين عند مقدمهم لحرب تلمسان وحصارها، ولكنها لا تلبث أن تعود لحضيرة الدولة بعد عودة بني مرين إلى بلادهم.

والواقع أنه كان يصيب المدينة ما كان يصيب تلمسان بل ربما كانت إصابتها أشد لأن بني مرين وهم في طريقهم إلى تلمسان كانوا يلجؤون إلى غزو ندرومة وفتحها وكثيرا ما كان يتم ذلك عنوة فتخضع المدينة للقانون التقليدي من تقتيل الغالب للمغلوب وتنكيل الفاتح بسكان المدينة لمقاومتهم له.

وقد استقرت أحوال ندرومة في عهد يغمراسن والتزمت طاعته طيلة حكمه بالرغم مما كان يصيبها على يد بني مرين فالنصوص التاريخية لا تشير إلى أي اضطراب وقع فيها أو انحياز لها عن تلمسان وربما كان ذلك لرضا بني عبد المؤمن على يغمراسن وخاصة في عهد الخليفة المأمون والرشيد ومهاداة هذا الأخير وله التالف معه ضد بني مرين[2]، وذلك إذا ما استثنينا تلك الفترات التي يشتد فيها الصراع بين الطرفين ويتقدم فيها بنو مرين نحو تلمسان لحصارها ولا شك أن مدينة ندرومة كانت خلال هذه الغزوات تضطر إلى التسليم أو المقاومة التي تنتهي بالتسليم والتنكيل بها وذلك مثلما يبدو في حركة السلطان المريني أبي يوسف إلى تلمسان على إثر معركة وادي ايسلي التي انتهت بهزيمة يغمراسن ومطاردته إلى عاصمته سنة **670هـ/1271م**، وخلال ذلك كان المرينيون قد استولوا على حصن تاونت وهو معقل قبيلة مطغرة حليفة يغمراسن، فشحنه المرينيون بالعدة والعتاد والأقوات وجعلوا عليه تابعا لهم من نفس القبيلة هو شيخها، وظل الحال على ذلك حتى استرده سنة **675هـ/1276م**[3].

ولا شك أن مدينة ندرومة كان مصيرها كمصير تاونت خضعت للمرينيين سلما أو حربا، فقد تعرضت في عهد عثمان ابن يغمراسن إلى غزوات كثيرة على يده تحقيقا لمشروعهم في إعادة توحيد المغرب تحت رايتهم مثلما كان عليهم أيام الموحدين ولتحقيق ذلك كان لابد من استئصال والاستيلاء على تلمسان مفتاح المغرب الأوسط وبوابة إفريقية، وأدرك بنو عبد

---

1 عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، مج7، ص162-163.

2 عبد الرحمان بن خلدون، نفسه، مج7، ص164.

3 يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص 209.

الواد ذلك وتيقنوا من مطامع بني مرين فذادوا عن حوضهم بسلاحهم ووقفوا موقفا حادا منهم تأمينا لوجودهم وحفاظا على استقلالهم، وكان يغمراسن قد أوصى ابنه عثمان بعدم التعرض لبني مرين والتوسع شرقا على حساب بني حفص والإمارات والقبائل المجاورة[1] شرق تلمسان وجنوبها والتزام أسوار عاصمته إذا قدم عليه بنو مرين لتفوقهم عليه عددا وعدة وعدم قدرته عليه.

ففي سنة **689هـ/1290م** خرج أبو يعقوب لحصار تلمسان، فنزل بذراع الصابون من ظاهرها ولكن لم يستطع اقتحامها فأفرج عنها وعاد إلى فاس[2] ويبدو أن ندرومة تعرضت خلال هذه الحملة إلى الهجوم عليها، فقد كان المرينيون يرسلون فرقهم العسكرية للمدن الواقعة على الطريق الذي يسلكونه في حملتهم لإخضاعها مثل تا لإخضاعها مثل تانين وندرومة، وفي سنة **695هـ/1295م** تجدد الصراع بين الفريقين خرج فيه أبو يعقوب المريني للمرة الثالثة لغزوة تلمسان، فنزل بمدينة ندرومة بعد أن خرج مدينة وجدة وكانت تابعة للزيانيين، ويبدو أن ندرومة استعصت عليه بالرغم من حصارها والتضييق عليها فتركها وعاد إلى بلاده[3].

وكانت الغزوة الثالثة للمرينيين على تلمسان سنة **696هـ/1296م** فنزلوا بذراع الصابون من ساحتها لحصارها ولكنهم لم يتمكنوا منها[4].

وفي السنة الموالية **697هـ/1297م** خرجوا في حملتهم الرابعة فنزلوا بأفران الجيار إلى الشمال من المدينة[5] وتركوا حامية كبيرة بمدينة وجدة تباشر قتال المدن الحدودية بين الدولتين مع الساعات والأحايين مثلما يذكر ابن أبي زرع[6] متبعين سياسة الأرض المحروقة من التهديم والتخريب وإفساد الطرق وحرق الزروع والأغراس. ولا شك أن مدينة ندرومة وضواحيها كانت أكثر هذه المدن معاناة وأشدها تعرضا للضغط والتخريب باعتبارها أهم تلك المدن وبسبب ذلك اضطربت أحوال الناس واشتد عليهم الضيق، فاستصرخت ندرومة عثمان بن

---

1 عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص 14.

2 يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص 209.

3 السلاوي، مصدر سابق، ج3، ص76.

4 عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، مج7، ص455.

5 يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص209.

6 ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 236.

يغمراسن فلم تتلق منه جوابا لانشغاله في حملات تأديبة في بلاد بني توجين لمساعدتهم أعدائه[1] فلم تستطع ندرومة الصبر من شدة ما أصابها من الضغط والأذى، فاضطرت إلى التسليم والانحياز إلى أبي يعقوب المريني مؤوية له فروض الطاعة والولاء طالبين منه الأمن والأمان لأهله وسكانه[2] وذلك بعد أن انصاع قائد عثمان بن يغمراسن للمرينيين وهو زكريا بن يخلفتن الذي خلع الطاعة للزيانيين.

ويبدوا أن مكانة ندرومة وشهرتها كانت كبيرة ليس بالنسبة لتلمسان فقط ولكن لكل مدنها وبواديها وهو ما يعبر عنه يحي بن خلدون بسبب تلك في قوله:

"... فاضطربت أرجاء حضرته نارا لذلك ..."[3].

لقد شجع انحياز ندرومة لبني مرين السلطان أبا يعقوب على غزو تلمسان للمرة الخامسة، فالتحق بحمايته في وجدة واتجه بجيوشه إلى تلمسان فنزل بضاحيتها الغربية بمكان يعرف باسم محشر بن الصقيل ضاربا طوقا من الحصار حول المدينة وهو الحصار المعروف في التاريخ باسم الحصار الطويل الذي دام ما يزيد عن سبع سنوات، و لم ينته إلا بمقتل أبي يعقوب نفسه على يد أحد خدمه في قصره بمدينة المنصورة التي أسسها في موضع معسكره في انتظار افتتاح تلمسان[4].

وظلت ندرومة طيلة سبع سنوات وهي مدة حصار تلمسان، مثلها مثل مدن المغرب الأوسط بأكمله، تحت السيطرة المرينية وإحدى مدنهم، ولكنها تعود مرة أخرى لحضيرة الدولة الزيانية بعد انسحاب المرينيين من المغرب الأوسط على إثر مقتل سلطانهم.

وبقيت ندرومة على ولائها للزيانيين منذ ذلك الوقت حتى تجدد الصراع بين بني مرين وبني عبد الواد سنة **714هـ/1314م** على عهد السلطان المريني أبو سعيد وذلك بسبب نقد بني

---

1 يحي بن خلدون، مصدر سابق، الصفحة نفسها.

2 عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، مج7 ، ص456.

3 يحي بن خلدون، مصدر سابق، الصفحة نفسها.

4 عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مج7، ص-ص 457 – 459، وأيضا

- يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص 210، وأيضا

- ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 267 – 268.

عبد الواد لبنود معاهدة الصلح بينهما فضلا عن استقبال أنباء بني عبد الواد للثوار الخارجيين عن الحكم من البلاط المريني[1].

وقد أقبل أبو سعيد على تلمسان يجر جيشا كبيرا مرورا بوجدة والمدن الحدودية حتى نزل بأسوار المدينة محاصرا لها، وخلال الحصار وكانت فرقة عسكرية تجوب ضواحي تلمسان ومناطقها ومدنها مثخنة فيها مخربة عمرانها ومنتسفة زروعها[2]، ولاشك أن ندرومة كانت من بين تلك المدن والمناطق التي تعرضت للضغط المريني، غير أن النصوص التاريخية تسكت عن وصف ما حدث لها هذه المرة.

وتعكر الجو السياسي من جديد سنة **735هـ/1334م** بين بني مرين وبني عبد الواد ذلك بسبب سياسة التوسع الزياني التي انتهجنا أبو تاشفين عبد الرحمان على حساب بني حفص أصهار أبي الحسن المريني الذي تدخل شفيعا لهم عند أبي تاشفين، فردت شفاعته، وكان ذلك بداية لعودة الصراع بينهما فاتفق بنو مرين وبنو حفص على غزو تلمسان[3] فخرج أبو الحسن لحصارها مرورا بوجدة فنزل بمدينة ندرومة حيث قاتلها يوما ودخلها عنوة فقتل حاميتها ونكل بسكانها لمقاومتهم له وعند مغادرته لها حامية[4]، فوصل إلى تلمسان ونزل بمغربها في مدينة المنصورة، مدينة جده أبي يعقوب ونصب عليها آلات الحصار وباشرها بالقتال حتى تمكن من افتتاحها عنوة بعد سنتين وفي دخولهم لها قتل سلطانها أبو تاشفين عبد الرحمن وأولاده وخواصه[5] وبذلك دخلت تلمسان وقبلها ندرومة للمرة الأولى تحت حكم بني مرين.

وقد واصل أبو الحسن طريقه بعد مدة لافتتاح إفريقية والاستيلاء على بلاد بني حفص وذلك سنة **748هـ/1348م** مرورا ببجاية. وفيها أقطع أبو الحسن مدينة ندرومة ونواحيها إلى صاحب بجاية الحفصي أبا عبد الله بن أبي زكرياء مقابل تخليه عنها لأحد عماله وأنزله بها وصرف إليه جبايتها[6].

---

1 ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص272، وأيضا السلاوي، مصدر سابق، ج3، ص99.

2 السلاوي، مصدر سابق، ص 105.

3 عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، مج7، ص226 وأيضا السلاوي، نفسه، ص119.

4 عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، مج7 ، ص533.

5 عطاء الله دهينة، الغزو المريني لتلمسان – في- الجزائر في التاريخ، ج3، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص- ص 389- 390 .

6 عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني .....، ص71، وأيضا

وظلت ندرومة على ذلك من الولاء للمرينيين فارضين عليها طاعتهم على غرار بقية مناطق المغرب الأوسط، وذلك حتى هزيمة أبي الحسن أمام القيروان على يد عرب النواحي وما تبع ذلك من إشاعة مقتله في المعركة ووثوب ابنه أبي عنان على الحكم ورفضه التنازل عنه بعد وصول الأخبار بأن أباه على قيد الحياة[1].

وقد أدت الهزيمة إلى محاولة الزيانيين إعادة إحياء دولتهم فتحالف الأخوان وأبا ثابت الزعيم وأبا سعيد مع أبي عنان للتصدي لأبيه وحربه، فتمكنوا بذلك من إحياء الدولة واسترجاع تلمسان عاصمتها وكان ذلك سنة **749هـ/1348**[2] وعندما كان الأخوان أبو سعيد وأبو ثابت في مهمتهما لإحياء الدولة ومصارعة بني مرين والمناطق الداخلة في طاعتهم بالمغرب الأوسط اغتنمت منطقة كومية كهنين وندرومة وغيرهما من مدن وقرى السواحل الغربية لتلمسان جو الصراع وحالة الأوضاع غير المستقرة لتعلن استقلالها عن المرينيين والزيانيين معا ودعا شيخ كومية بالمنطقة، وهو من بني عابد قوم عبد المؤمن بن علي لنفسه، فازدادت الأوضاع اضطرابا لذلك واشتدت الفتنة فخرج إليهم ابو ثابت غازيا ودخل هنين وندرومة عنوة فاستباحهما قتلا وسبيا وفي مقدمتهم زعيم الثورة الذي أسره أبو ثابت وسجنه في تلمسان ثم تخلص منه بعد أشهر[3]، وبذلك عادت ندرومة مرة أخرى إلى حضيرة الدولة الزيانية.

وتجدر الإشارة إلى أن أبا الحسن عندما احتل تلمسان نقل معظم أمراء بني الواد للعيش في مدينة فاس لإبعادهم عن موطنهم وتيسير مراقبتهم، غير أن هزيمة القيروان وما تبع ذلك من اضطراب أحوال المغربيين الأوسط والأقصى وانبراء الأخوين أبي سعيد وأبي ثابت لإحياء دولتهم عجلت بعودة هؤلاء الأمراء إلى بلادهم وكانت في مقدمتهم عائلة أبي يعقوب والد حمو موسى الثاني مع ابن عمه زيان وأبي سعيد وكان عن أي نشاط سياسي، وفيها تزوج أبو

– محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص118.

1 السلاوي، مصدر سابق، ج3، 164.

[2] يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص 236 – 237

السلاوي، نفس المصدر، ج 3 ، ص 171 - 172

[3] عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، مج 7 ، ص 244

حمو من سيدة لا تذكر المصادر التاريخية شيئا عنها، وولد له فيها أكبر أولاده أبو تشفين سنة 752 هـ / 1351م[1].

ويرجع الدارسون الأسباب التي أملت على أبي يعقوب وابنه أبي حمو الانعزال في ندرومة والانقطاع بها حبا في العبادة والزهد على ما تذهب اليه المصادر ولكن أبا يعقوب كان أكبر اخوته وهو مقام يفرض التقليد أن يتبوأ كرسي الحكم ولكن الظروف السياسية والاضطرابات القائمة في البلاد جعلته ينظر للأمر نظرة أخرى فانعزل في ندرومة، وكان انعزاله فيها تعبيرا منه لاخوته عن خلو ذهنه من أي طموح سياسي أو رغبة في الحكم خصوصا وأن الصراع على أشده بين دويلات المغرب وقبائله وبين أمراء عائلة الدولة الماحدة، وهو ما دفع الإخوان أبا سعيد وأبا ثلب إلى النهوض لاعادة إحياء الدولة الزيانية دون تخوف من أخيهما الأكبر أبا يعقوب والد أبي حمو المنعزل في ندرومة[2].

ولا شك أن ندرومة ظلت تحت حكم بني مرين وتابعة لدولتهم في عهد أبي عنان فارس، ذلك أنه أعاد أبو حمو موسى الثاني إحياء الدولة الزيانية للمرة الثانية عام 759هـ/ 1360م حتى بادرت ندرومة مع من بادر من مدن أخرى كوجدة و هنين إلى مبايعة أبي حمو وأوفدت وفودها إليه[3] وهو بتلمسان، وذلك أمر يبدو طبيعيا فالسلطان الزياني الجديد أبو حمو لم يتنكر لدى أهل ندرومة فقد أقام بينهم مدة من الزمن مثلما ذكرنا، وهو فوق ذلك صهرهم لزواجه من سيدة منهم على ما يرجح ومما لا شك أن هذه العلاقة سيكون لها أثر قوي في التزام ندرومة صف أبي حمو في صراعه الطويل مع بني مرين من جهة ومع أمراء البيت الزياني كمحمد بن عثمان بن أبي تاشفين الملقب بالقبي وبعده ولده أبو تاشفين الذي ولد في ندرومة من جهة أخرى، وكان بنو مرين قد لجؤوا إلى تأليب البيت الزياني على أبي حمو وإثارة التنافس بين أمرائه وخاصة على يد السلطان أبي سالم والسلطانين عبد العزيز وأبي العباس وقام بعض هؤلاء السلاطين فضلا عن ذلك بغزو تلمسان واحتلالها لمدة قصيرة وكان أبو حمو يضطر إلى

---

[1] عبد الحميد حاجيات، السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 8، جانفي 1970، ص 8

[2] المرجع نفسه ص، 73- 75

[3] عبد الحميد حاجيات، إحياء الدولة الزيانية – في – الجزائر في تاريخ، العصر الإسلامي، ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 402.

ترك عاصمته عند مقدمة ويقوم بالإغارة على الجهات الشرقية من بلاده قاطعا خطوط المواصلات والإمدادات بينهم وهم في تلمسان وبين فاس عاصمتهم ملحقا أضرار كبيرة بتلك المناطق وهو ما يجعلهم يعودون إلى بلادهم تاركين تلمسان فيسترجعها أبو حمو.

وكان الصراع بين أبو حمو وبين بني مرين وبين أمراء بيته منحصرا في الجهات الشرقية والجنوبية الشرقية من تلمسان وقد دام ذلك الصراع حتى مقتله سنة **791هـ/1388م** على يد جند ابنه أبي تاشفين[1].

ولم تذكر النصوص التاريخية شيئا عن حالة المناطق الغربية من تلمسان ومدنها وعلاقتها بذلك الصراع في الجهة الشرقية، ولكنه يرجح أنها انكمشت على نفسها تحت زعامات محلية كبني عبيد مؤدية فروض الطاعة الصورية لأبي حمو أو أي متغلب على المنطقة نازعة إلى الإمساك عن تقديم الأموال للمتصارعين إلا إذا وجدت نفسها مرغمة على ذلك لتعود إلى حالتها الأولى في أول فرصة.

ولا نكاد نحصل على أي معلومة عن ندرومة ومناطقها في الفترة الممتدة بين وفاة أبي حمو الثاني وسقوط الدولة الزيانية نهائيا سنة **962هـ/1554م** على يد الأتراك العثمانيين.

غير أن باسي يرجح أن المنطقة استغلت ضعف الدولة الزيانية وقررت قبائلها المكونة من ذوي عبيد الله والمعاقل العربية أن تفرض على السلطان الزياني إلحاق المنطقة الممتدة بين تلمسان ووجدة، ووضعها تحت إشرافهم وهي وجدة وندرومة وبني يزناسن ومديونة وبني سنوس، كما فرضت عليه التخلي عن المطالبة بالضرائب التي إعتادت الدولة المطالبة بها وجعلها بين أيديهم[2].

أ8- ندرومة في العهد العثماني:

إن الظروف التي آلت غليها دولة الزيانية مند أواخر القرن **9هـ/15م** من ضعف لأسباب كثيرة منها الصراع السياسي والعسكري على الحكم بين الأمراء الزيانيين وبين الدولة الزيانية وبني مرين وبينهما وبين القبائل المناوئة فضلا عن صراعها مع الحفصيين، كل ذلك أدى إلى فراغ سياسي في المنطقة يصفه أحمد توفيق المدني كما يلي:" .... لقد أخذ صرح بني عبد الواد

---

1 عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر... ، مج 7، ص- ص 254- 306

- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني... ، ص- ص 93-154

2 H. Basset, Op, cit, P 15.

يتساقط مند ركن ملوك هذه الدولة إلى التواكل والتخاذل، وتثاقلهم عن القيام بالمصالح العامة وانشغالهم بالوصول إلى الرئاسة، والغهتمام بأنفسهم، فسقطت هيبتهم من أعين الرعية.... واستبد الولاة ورؤساء القبائل والشيوخ وعمال الجهات وولاة النواحي وقادة الجيش بما اتصل بأيديهم من أسباب الولاية والحكم"[1].

وهو ما أدى بكل تأكيد إلى انغلاق كل منطقة على نفسها والاستقلال بذاتها، ويرجح أن منطقة تاجرا وندرومة كانتا مستقلتين عن الدولة باستثناء مدينة هنين باعتبار مرسى تلمسان وقلبها التجاري والاقتصادي وفيها كانت ترسو السفن وتحط أحمال التجارة والسلع.

ونظرا لتلك الأهمية قام السلطان الزياني بتحصينها وتقوية دفاعاتها عندما احتل الإسبان المرسى الكبير في وهران ووهران نفسها في **911هـ/1505م** وذلك خوفا من احتلال الأسبان لها ويعني ذلك نهاية الدولة وزوالها ولأن ما تبقى لها من الحياة مرتبط بما يجلبه مرسى هذه المدينة من تجارة وأموال[2]. ذلك أن جل المناطق الأخرى لم تعد تدفع الضرائب للخزينة وبالفعل فان كان الزيانيون يخشوه حدث، فقد بادر الأسبان إلى احتلال المدينة سنة **938هـ/1531م**.

وذلك لإحكام القبضة على تلمسان الزيانية استعدادا لإخضاعها إلى سلطتهم أو نفوذهم وإرغامهم على تنفيذ ما يرونه لها. ولا شك أن احتلال المرسى لو يكن سهلا وأن السكان دافعوا على دولتهم وتمكنوا من قتل ما يزيد عن أربعين جنديا إسبانيا بالتعاون مع سكان المنطقة في الدفاع عن أراضيهم[3].

ربما كانت ندرومة قد ساهمت في المقاومة، فالمنطقة كانت تحت مراقبة قبيلة كومية أو مطغرة وكانت ندرومة شبه مستقلة، إذ يصف حسن الوزان أن المدينة أي ندرومة قائلا:" ... كان السكان... تقريبا أحرارا لكونهم تحت حماية جيرانهم الجبليين (قبيلة مطغرة) فالملك (سلطان تلمسان) لا يستطيع أن يحصل على أي خراج من المدينة، لأن العمال الذين يوفدهم إليها إنما يقبلهم السكان إذا رضوا عنهم وإلا رفضوهم وردوهم على أعقابهم، ومع ذلك فإنهم يرسلون أحيانا إلى الملك هدية بسيطة ليتمكنوا من إدخال سلعهم إلى تلمسان[4].وبذلك

---

1 أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د. ت) ، ص 70

2 محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 231

3 أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 238

4 حسن الوزان، مصدر سابق، ص14

شحت الأموال على خزينة الدولة فلم تعد قادرة على الدفاع على نفسها ولا استرداد ما أخذه منها الأسبان والمدن العديدة.

أو- ندرومة في العهد التركي:

وعلى أية حال فإن احتلال الإسبان للمراكز والمدن الساحلية الاستراتيجية كهنين ووهران والمرسى الكبير ومستغانم والجزائر وبجاية وغيرهما، وضعف الأمراء الزيانيين مكنهم من التدخل في شؤون تلمسان والسيطرة على مقاليد الأمور السياسية والمالية فيها إذ أصبحت تابعة لهم يولون عليها من أرادوا مقابل أموال وجزية ويخلعون منها من يرون فيه عصيانا لهم وخاصة في عهد محمد الخامس بن محمد الثابت ومن أتى بعده فقد أصبحوا للإسبان منحازون إلى صفهم يحاربون معهم الأتراك العثمانيين الذين قدموا إلى الجزائر لنجدتها ضد الإسبان بطلب من أهلها فيحاربونهم إلى جانبهم مثلما فعلوا مع عروج الذي استدعاه أهالي تلمسان فوقف ضده بنوا زيان والإسبان فحاصروه وباشروه بالقتال وهزموه وقتل سنة **924هـ/1518م**[1].

وكان عروج و أخوه خير الدين قد قدما إلى الجزائر بدعوة من سكانها لإعانتهم على مواجهة الإسبان الذين استولوا على طول الساحل الجزائري، فبلادهم كانت تعيش فراغا سياسيا و فوضى قبلية و الولاية الزيانية في نزعها الأخير و الكل في البلاد راكب راسه ليس فيها من يستطيع جمع الأمة حوله و مواجهة العدو مما استدعى حضور الأخوان التركيان اللذان استطاعا في سنوات قليلة من تحرير بعض المراكز كجيجل وشرشال والجزائر وكانت المناطق تدعوهم كلما ازداد تقدمهم حتى وصلوا إلى تلمسان وقتل عروج مثلما ذكرنا في مكان اختلفت فيه الروايات فبعضها يذكر أن ذلك كان بمقطع الوادي المالح بنواحي وهران والبعض الآخر يذكر جبل بني موسى بناحية بني يزناسن قرب وجدة[2].

وتصدوا للجيش المغربي عند مجرى نهر الشلف وألحقوا به هزيمة نكراء واسترجعوا على إثرها مستغانم ثم تلمسان و تقدموا نحو قبة سيدي ابراهيم التي شهدت مصرع عروج، فالتقى الجزائريون مرة أخرى بالجيش المغربي المتراجع الذي كانت قد وع الذي كانت قد وت

---

1 عبد الحميد حاجيات، خطر النصارى و انهيار الدولة الزيانية – في – الجزائر في التاريخ، العصر الإسلامي، ج3، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص، ص456-457.

2 نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب، الجزائر 1965 ص – ص 42 – 50.

عسكرية إضافية أرسلها الشريف السعدي تحت قيادة ابن ثان له هو الشريف عبد القادر، والتقى الجمعان مرة أخرى في هذا المكان، فانهزم الجيش المغربي هزيمة للمرة الثانية وقتل الإبن الثاني للسلطان المغربي و تراجع ما تبقى من فلوله ما وراء نهر الملوية فعاد الجزائريون على تلمسان ليعلنوا نهاية الدولة الزيانية وكان من نتيجة هذه الصدامات أن أرسل حكام الجزائر الأتراك باسم السلطان سليمان القانوني وفدا للتفاوض مع السلطان السعدي في مراكش يرأسه الشيخ الفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي وذلك بغرض تعيين الحدود بين البلدين والتخفيف من القيود والمحن المضروبة على المنكوبين من بني وطاس المرينيين حكام المغرب السابقين، وذلك للاعتراف المتبادل بين السعديين والعثمانيين ولكن الوفد لم ينجح إلاّ في تحديد الحدود بين البلدين وذلك من البحر إلى الصحراء ومنذ ذلك الوقت انضوت تلمسان وضواحيها تحت راية إيالة الجزائر التركية ويرجح أن ندرومة ونواحيها التحقت بها تلمسان ولتكون تحت إشراف هذه الأخيرة وربما كان ذلك بفضل الانتصارات التي حققها الأتراك والأهالي على السعديين والأتراك معا[1].

ويبدو أن ندرومة وضواحيها عانت من جو هذا الصراع بين الجزائر وأشراف المغرب وأنها كانت محل نزاع بينهما مثلما حدث بين الزيانيين والمرينيين في النصف الأول من القرن **38** هـ/**14**م فالأشراف كانوا يحاولون تجنيد أبناء المنطقة الواقعة غرب تلمسان إلى جانبهم ويعملون على إلحاقها بهم مستخدمين فيها وسائل مختلفة وسبل متباينة، معتمدين بعد سقوط الدولة الزيانية وخلال القرن **11** هـ/**17**م على بعض رؤساء الزوايا كزاوية سيدي عبد الرحمن اليعقوبي، فشيخ هذه الزاوية لم يكن راضيا على الحكم التركي فاتجه إلى المغرب و استخدمه الأشراف لتحقيق أطماعهم في المنطقة وتبادلوا الرسائل معه ومع أحفاده وغيرهم.

وعبد الرحمن اليعقوبي هذا ينسب لعائلة العاقل العربية التي تنتهي في نسبها لعلي بن أبي طالب، فقد درس في ندرومة ثم التحق بتلمسان وعايش الصراع التركي السعدي، وكان ذا شخصية مهابة ومطاعة وذا أثير في الوسط الاجتماعي يصلح بين الأفراد ويحكم بين الجماعات، ويذكر بن مريم أنه عقد الصلح بين أولاد طلحة وسكان ترارا وإن كان ابن مريم يعد من كرامته وكان قد التحق بواد دفو (بمغنية) وذلك عندما احتل الإسبان تلمسان سنة

---

1 عبد الرحمن بن محمد الجلالي، تاريخ الجزائر العام، ط1، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص 47.

950 هـ/1543م. وشكل هناك رابطة على هيئة اتحاد يجمع شيوخ ندرومة وأنكاد وأنجاد (بوجدة) وبني سنوس وترارا ومدغارة (مطغرة) وذلك سنة 955 هـ/1549م وكتب ذلك الصلح محمد العقباني وصادقت عليه شخصيات هامة في تلمسان وشيوخ تلك المناطق وكان هذا الاتحاد يرمي إلى مواجهة الإسبان ومحاربتهم[1].

ويبدو أن هذه الرابطة تشكلت بعد أن تبين لهؤلاء الشيوخ عجز حكام بني زيان عن التصدي للمسيحيين الإسبان ومواجهتهم وتكالب الزيانيين عليهم طالبين منهم يد العون والمساعدة في صراعهم فيما بينهم وتقاتلهم على العرش في الوقت الذي كان فيه الإسبان قد تمكنوا ممن احتلال مراكز كثيرة في المغرب الأوسط فارضين عليها ذلا وهوانا وغرامات كبيرة واعتداءات مستمرة.

وبالفعل فإنه في حدود 1004 هـ/1595م قدمت ندرومة أحد أبنائها قائدا اسمه يوسف بن العادل.

إذا كان القرن 10هـ/16م قد شهد تنافسا شديدا و قويا بين الأتراك والسعديين على تلمسان ونواحيها ومنها ندرومة وترارا[2].

فإن القرن 11 هـ/17م شهد تراجعا لذلك التنافس وخفت حدّته بين الدولتين، وكانت المنطقة شبه مستقلة حتى أعاد السلطان المغربي العلوي الجديد مولاي محمد الشريف غزو المنطقة الحدودية بدافع من عرب وجدة وأراضي بني يزناسن وبني سنوس وندرومة ومناطقها وقبائلها كمطغرة وولهاسة وذلك في حدود سنة1061هـ/1650م فشن الغارات وأرهب الناس وسلب أموالهم ومواشيهم، وقف له السكان وقاتلوه مع الحامية التركية فأوقعوه وهزموه فعاد على بلاده وشغله دايات الجزائر بمساعدتهم لغيلان في شمال المغرب وهو تأثر ضد السلطان مولاي محمد الذي كان يعمل لتعويضه بأحد أبناء إخوته، ولكن غيلان ينهزم أمامه و يقتل سنة 1048هـ/1673م.

ويبدو أن علويي المغرب رأوا في إثارة الأتراك للثورات و الفتن في بلادهم تدخلا خطيرا فيها، فهاجم مولاي إسماعيل للمرة الثانية الجزائر سنة 1089هـ/1679م وتخطى الحدود حتى

---

1 يحي بوعزير، الموجز ف6ي تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 266.

2 المرجع نفسه، ص263.

وصل بالقرب من الشلف ولكنه تراجع وانتهى الصراع بينهما إلى التفاوض واعتراف العلويين بوادي التافنة كحد فاصل بين الجزائر والمغرب.

أما في القرن **12هـ/18م** فقد خضعت ندرومة تماما للدولة الجزائرية التركية، وأصبحت تابعة لبايلك الغرب وباي وهران بعد استرجاعها ومرساها الكبير من يد الإسبان، وقد وضع الأتراك حامية استقرت في ندرومة للحفاظ على الأمن والاستقرار بالمدينة ومراقبة المنطقة والإشراف على السعديين والعلويين ومتابعة تحركاتهم.

وقد شهدت ندرومة ونواحيها في هذه الفترة وخاصة بعد استرجاع وهران أحداث داخلية سياسية وعسكرية، بدايتها مقتل أحد جند الحامية مما دفع بالداي حسن إلى قيادة حملة على ندرومة، استقبله سكانها بلطف مبدين له الطاعة ومبدلين له الهدايا، فرضي بذلك ولكنه فرض على المدينة إتاوة سنوية من القطن مقدارها ثلاثون حملا سترتفع إلى ألف فيما بعد[1].

ويبدو أن الأشراف العلويين كانوا يتابعون الأحداث في المنطقة عن بعد، ويتحينون الفرص لإثارة الفتن والقلاقل في المدينة الحدودية ندرومة مع أنهم يعيشون في شبه عزلة وضعف وقعود عن مواجهة الأتراك خلال هذه الفترات، لذلك نشروا بين سكان المدينة الدسائس فانقسموا على أنفسهم قسمين: أحدهما يناصر العلويين في المغرب، وهو القسم الأضعف والثاني يناصر الأتراك. وبسبب ذلك وقعت فتنة في المدينة وقام صراع بين سكانها تطلب تدخل داي الجزائر، فوجه حملة عسكرية خيمت بجوار المدينة، ودخلت مجموعة من الجند داخلها، فتحرش بها سكان المدينة المناصرون للعلويين، مما أدى إلى المواجهة ونتج عنها العديد من القتلى في شوارع المدينة، وهروب العديد من الأسر والعائلات إلى القبائل المجاورة، وعند عودة الداي إلى الجزائر ترك حامية قوية تتحكم في المدينة والمنطقة الممتدة عبر التافنة ويس.

ورافق اعتلاء مولاي سليمان عرش العلويين في المغرب فوضى وفتن داخلية فيها اغتنمتها حامية وجدة المغربية لتهاجم المناطق الحدودية من جديد لمرات متعاقبة مما استدعى تدخل داي الجزائر بطلب من ندرومة فوجه حملة عسكرية حوالي سنة **1210هـ/1795م** قامت باحتلال مدينة وجدة، وكادت تؤدي بحرب جديدة بين الدولتين ولكن داي الجزائر أفهم السلطان

---

1 يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص264.

العلوي برسالة منه أنه لا غرض من احتلال المدينة إلا المصلحة العامة وحماية الأرواح وإعادة الأمن، وأنه سينسحب فورا فرضي السلطان العلوي وأوقف استعداداته العسكرية.

وكان لهذه الحركة من جانب حكومة الجزائر تجاه ندرومة ونواحيها وتلبيتها طلبها وحمايتها لها معنى كبيرا لدى سكانها، فخضعت المدينة كلها للأتراك وأطاعوهم وأصبحوا يساهمون في كل الحركات والأحداث إلى جانبهم كمساهمتهم معهم في التصدي لفتنة درقاوة تحت قيادة عبد القادر بن الشريف ضد الأتراك، ومساهمتهم معهم في حملة باي وهران على بني ورسوس لعب فيها الندروميون دورا هاما أرضوا بها باي وهران.

أ10- ندرومة في عهد الأمير عبد القادر:

وقد أخلصت ندرومة للأتراك واستمر ذلك الإخلاص إلى الاحتلال الفرنسي، وتنظيم المقاومة ضده على يد الأمير عبد القادر، فقد رفضت الانضواء تحت لوائه لإزاحة بقايا الأتراك والكراغلة المستقلين في بايلك الغرب بما فيهم تلمسان وندرومة والمتعاونين فيما بعد مع العدو، مما اضطره للدخول معهم في صراع وحروب وخاصة مع كرغالة تلمسان والمنضوون تحت رايتهم، وبحثت ندرومة على الانضمام للمغرب، وطلبت حمايته ولكن الأمير عبد القادر استطاع إقناع الندروميين بالانضمام إليه والبقاء إلى جانبه لمقاومة الاستعمار الفرنسي، فقبلوا ذلك منه وجعل عليهم ممثلا له فيها، وهو الحاج مصطفى الذي أعاد للمدينة الأمن والسلام بعد طرد السكان لعامل الأتراك عليها، ثم استقر الأمير عبد القادر نفسه فيها سنة **1252هـ/1836م** عند سيدي يعقوب وهزيمته للفرنسيين بها.

وقد احتل الفرنسيون تلمسان سنة **1258هـ/1842م** وتقدموا إلى الغرب فاحتلوا ندرومة في نفس السنة محتجزين أبناء المنطقة منهم ستة من ندرومة كرهائن لديهم نقلوهم إلى تلمسان وقد سبق ذلك إنقتال الأمير عبد القادر منها إلى ترارة ثم التحق بالمغرب لإعادة تنظيم صفوفه[1].

1 فتحي دردار، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية (1832-1847)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2001، ص55.

4- الحياة العامة للمنطقة

أ- الحياة الاقتصادية:

بالرغم من أن منطقة ترارا (ترارة) وندرومة بالذات من المناطق الجبلية الوعرة ولكنها مع ذلك كانت تشرف في أسفلها على جيوب فلاحية في هيئة وديان صغيرة، إضافة إلى سهول واسعة لزرع الحبوب ويتخذ منها مراعي للماشية، وكانت هذه الأراضي الزراعية تسمى عندهم العزب أو العزيب، وكانت أسافل ندرومة ومنحدرات وادي (الثلاثة) تحتلها قبيلة بني منير، أما قبيلة بني مسهل فكانت تختص بوادي تافنة والقرى المتجمعة حول جبال فلاوسن، وكانت تتضمن عددا كبيرا من البساتين المتوفرة على المياه[1].

وكانت تلك السهول والبساتين والجيوب الفلاحية على الوديان الصغيرة تكون لسكان ندرومة وضواحيها تربة خصبة وأراضي زراعية يستغلونها في إنتاج الحبوب المختلفة والخضر والفواكه المتنوعة وهو ما يعبر عنه البكري في القرن 5هـ/11م أنه: "... بغربي لمدينة وشمالها بسايط طيبة ومزارع ووواديها وادي ماسين كثير الفواكه والثمار"[2].

ولا شك أن هذه البساتين وتلك البسايط والجيوب الفلاحية كانت تذر غلاوة وفيرة على المنطقة جعلتها تحتل مكانة هامة في نظر الدولة المجاورة، كما جعلتها تحتل الصدارة كمركز حضاري إقليمي يتنافس عليه الحكام وتحاول حواضر المغرب أن تلحقه بها خاصة بعد سقوط الموحدين وهو ما يؤكد الإدريسي في القرن 6هـ/12م في حديثه عن مدينة ندرومة ذاكرا أن موضعها في سند ولها مزارع كثيرة ولها واد يجري في شرقيها عليه بساتين وجنات وسقي كثير.

وفضلا عما ذكره البكري والإدريسي عن زراعة ندرومة ومنتجاتها الفلاحية، حسن الوزان يشير إلى أن باديتها منتجة إلى أقصى حد، فحول المدينة بساتين كثيرة وأراضي مغروسة بأشجار مثمرة أهمها شجرة الخروب الذي يستهلك في المدينة ويصدر إلى المدن والمناطق المجاورة لكثرته وحلاوته.

---

1 Canal, Op-cit, T, VII, 1887, P84.

2 أبو عبيد البكري، مصدر سابق، ص80.

وكانت المنطقة تتوفر على المياه الجارية يستخدمها السكان في سقي أراضيهم وبساتينهم، وكانت السهول تنتج كميات كبيرة من الحبوب كالقمح والشعير.

كما كانت المنطقة تنتج كميات معتبرة من العسل الذي كان يعد مادة أساسية في التغذية لا شك أنهم كانوا يصدرون كميات منه للحواضر والمدن المجاورة، كما كانوا يصدرون منتجات صناعية أخرى مثل الملابس الصوفية والمنتجات النسيجية وخاصة القطنية منها لإشهار المنطقة بزراعته والمدينة بتصنيعه وإنتاجه، ويتاجرون فيه مع مدن المغرب الأوسط كتلمسان والجزائر.

وكانت منطقة ندرومة تتوفر على عدد كبير من قطعان الماشية من أغنام وماعز وأبقار، وساعدهم على ذلك توفر المرعى السهلي والجبلي الذي يعد مصدرا أساسيا لتربية الحيوانات.

ومن جهة أخرى فإن وقوع المدينة في منطقة جبيلة صخرية وقريبة من البحر، جعلها تتمتع بمناخ معتدل ممطر شتاء ومعتدل حار صيفا، وأكسبها غطاء نباتيا معتبرا عبارة عن غابات كثيفة تمتد بامتداد منحدرات جبالها ومرتفعاتها حتى تلتقي عن السواحل في الغزوات وهنين، وقد أفادت المدينة من ذلك في التدفئة ومواد البناء من الخشب والحجر.

ب- الحياة الاجتماعية:

كانت ندرومة ونواحيها منزلا ومرتعا لمجموعة من قبائل البربر من زناتة تجوب نواحيها منذ فترة سابقة عن الإسلام، وكانت قبيلة كومية أشهر هذه القبائل، ويشير ابن خلدون إلى أن هذه القبيلة كانت تعرف قديما باسم سطفورة، وهم اخوة لماية ومصغرة ولكنهم ينسبون إلى جدهم فاتن، ودخلت لماية من اخوة كومية في الصراع الخارجي بالمغرب مما أدى بها إلى الانتشار في أماكن مختلفة من أرض إفريقية والمغربين الأوسط والأقصى، وأصابتها بسبب ذلك كثير من المحن والمهالك[1].

أما كومية فهي كبيرة كثيرة العدد، ذات فروع وأفخاذ وبطون، وبطونها الكبرى: ندرومة وصغارة وبنويلول، وعنهم تتوزع قبائل أخرى كثيرة، فمن ندرومة تتوزع نغوطة

1 عبد الرحمان بن خلدون، مصدر نفسه، مج6، ص-ص247-254.

وحرسة وفردة وهفانة وفراتة، ومن هذه الفروع تتوزع أفخاذ أخرى وهكذا...[1] وكانت كومية قد اعتنقت الإسلام منذ الفترة المبكرة من فجر الدعوة الإسلامية بالمغرب[2].

ولم يكن من السهل التعرف على الحدود الحقيقية التي كانت تحتلها كل قبيلة وكل فرع من قبيلة في المنطقة الممتدة من وجدة إلى تلمسان وخاصة في المناطق الجبلية بهما، ويشير ابن خلدون إلى أن كومية كانت تنتجع سواحل البحر أو سيفه على حد تعبيره من المغرب الأوسط بجبل تاجرا، وأنه كان لهم كثرة موفرة وشوكة مرهوبة وخاصة بعد أن اعتلى ابنهم عبد المؤمن بن علي حكم الدولة الموحدية.

لقد قام الضباط الفرنسيون عند احتكاكهم بسكان المنطقة، إضافة إلى مسؤولي الإدارة الاستعمارية بدراسة السكان دراسة أنثروبولوجية من حيث أصولهم وأحوالهم النفسية وخصائصهم الفسيولوجية من قامة ووجه وأنف وجبهة وشعر[3] وغير ذلك من وسائل التمييز العنصري إضافة إلى اعتمادهم على أسماء الأشخاص والأماكن والقبائل، وهذا المنهج الدراسي المركب خضع لخلفيات تتوخى أهدافا تأسيسية استعمارية أدت إلى تنميط سكان ندرومة وترارا، كما هو الحال في بقية مناطق البلاد، تنميطا هجينا في أصلهم وديانتهم وتقاليدهم وصفاتهم، فهم وفقا لذلك يهودا ومسيحيين وبربرا وعربا، ووصموهم بصفات وأحوال نفسية أقل ما يقال عنها في أكثرها غير موضوعية وهو منهج اتبعه كل الدراسيين الفرنسيين ضباطا وسياسيين وباحثين وذلك في كل ما يتعلق بالجزائر منذ احتلالهم لها، والهدف الأساسي لهذا المنهج هو تكريس الاختلاف وتعميق الهوة بين أبناء الأمة والواحدة داخل سياسة (فرق تسد) ليخلو لهم طريق السيطرة واستعباد البلاد والعباد وإبقاء الأمة وسيطرة الفكر الاستدماري.

لقد كانت منطقة ترارا مرتبطة سياسيا بندرومة وظلت كذلك حتى انفصلت عنها في ثورة **1261هـ/1845م** ضد الغزو الفرنسي للمنطقة، وكانت ترارا تتضمن مجموعة عناصر سكانية متجمعة في قبائل أهمها كومية التي يشكلها اتحاد ترارا الذي نشأ بسبب الخلافات المحلية في جو الصراع بين الأتراك والسعديين، وكان ذلك الاتحاد يتكون من كومية وبني منير وبني

---

1 المصدرنفسه، ص257.

2 عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص86.

3 - MERAD, Boudia, A.La formation sociale Algérienne précoloniale, OPU. Alger. 1981.P 43

مسهل وبني عابد الذي ينتسب إليهم عبد المؤمن بن علي وبني خلاد في ضواحي ندرومة وبني ورسوس وولهاصة الغرابة.

الفصل الثاني :

المعالم الأثرية الدينية في مدينة ندرومة.

1- المساجد

أ-الجامع المرابطي الكبير

ب- مسجد القدّارين

2- الأضرحة والزوايا.

أ- مفهومها.

ب- دورها الاجتماعي والثقافي.

ج- أهم الأضرحة.

د- الزوايـــــا.

1- المساجد:

- إن المسجد أو الجامع، بالإضافة إلى دوره الديني المتمثل في إقامة الشعائر الدينية، فله دور علمي وثقافي وسياسي، بالقدر الذي يمكن أن يمثله المسجد للدولة من صيت ودعاية وحسن تقبل لدى الناس، بالقدر نفسه يمكن أن يؤدي إلى الثورة والرفض وعدم قبول دولة جائرة وظالمة، ويلاحظ ذلك من خلال لقاءات الناس ببعضهم أيام الجمعة أو خلال الأيام العادية، ومناقشتهم لأمور الدين والدنيا، وكذا مناقشة أمور السياسة والاقتصاد، وبالتالي تكوين الرأي العام وتشكيل مساره.
- وكان الحكم ولاولاة عند اعتلاءهم مقاليد الحكم أو الاستيلاء عليه، يعهدون إلى تشييد وبناء المساجد، إرضاء للناس وإظهار للدين وتقربا من الناس وكسبهم كحليف لدعم الحكم.

ولقد عمل يوسف بن تاشفين حين استولى على المنطقة على بناء الجامع الكبير بندرومة، وما كان له أن يفعل ذلك لو لم لهذه المدينة أهميتها الاقتصادية والاستيراتيجية، وهي الأهمية التي أملت على الخليفة الموحدي عبد المؤمن بعده، باتخاذها قاعدة انطلاق لامتداده نحو المغرب الأوسط والأدنى[1].

أ- الجامع المرابطي الكبير:

أ1- تاريخ الجامع:

اختلفت الآراء حول تاريخ بناء جامع ندرومة، كما اختلفت حول من شيده وقام ببناءه، وقد اعتمدت كل تلك الآراء على دراسة كتابة لوحة من خشب الأرز كانت جزءا من منبر جامع ندرومة، وبالظبط الجزء الذي يشكل متكأ لظهر الإمام بجلسته في أعلى المنبر، واللوحة على هيئة عقد مصف دائري ارتفاعها **1** متر وعرضها **0.72** سم، وتتألف من **12** سطرا، الأسطر **3**، **11**، **12** ممحاة تماما و لم يبقى من السطر الخامس والسابع إلا كلمة في الأول وكلمتين في الثاني بينما نجد بعض الكلمات ناقصة في السطرين التاسع والعاشر[2].

---

1 عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول. المطبعة العربية 1954- ص351.

2 Réné Basset : Nedroma et les traras. P 22-23.

أسلوب الكتابة : نقشت الكتابة بشكل بارز بالأسلوب الكوفي الذي تنتهي حروفه القائمة والمدات القائمة وللحروف المستلقية بعناصر غير مكتملة لوريقات نباتية.

وتمتاز هذه الكتابة برقة في الفن ودقة في التنفيذ، كما تمتاز بالتناسق والانسجام والتوازن بين الأسطر وما تنظمه من كلمات وما تحتويه هذه الكلمات من أحرف.

ويتشابه أسلوب رسم حروف منبر جامع ندرومة بمثيلها في منبر جامع الجزائر الكبير والكتابات الكوفية بجامع تلمسان الكبير[1].

مضمون الكتابة[2]: تتضمن الكتابة ما يلي:

- **كتابة المحيط** : هي عبارة عن البسملة والتصلية والتسليم والشهادة وبداية الآية **19** من سورة آل عمران.

- **السطر 1، 2 والسطر 3 المحي** : يتضمن الآية **85** من سورة آل عمران "كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم و شهدوا أن الرسول حق و جاءهم البينات و الله لا يهدي القوم الظالمين.

- **من السطر الرابع إلى السطر السابع** : تتضمن عبارات المدح وألقاب المنعم واسمه وكثير من ذلك محذوف.

- الأسطر **8-9-10** عبارات تمثل الفراغ من البناء والمشرف عليه وتاريخ البناء وهو ناقص.

- تاريخ البناء : يرجع **Basset** التاريخ الحقيقي لبناء هذا الجامع بحوالي **474هـ/1081** ميلادي وهي الفترة التي استولى فيها يوسف بن تاشفين على الجزء الشرقي من المغرب الأوسط[3]

- و يجمع رشيد بوروبة و **Basset** أن مؤسس هذا المسجد هو يوسف بن تاشفين اعتمادا على الألقاب وبعض الحروف الباقية.

---

1 rene BASSET Op.cit p 98.

2 Ibid p 22

3. بوروبة (رشيد) : الكتابات الأثرية : ص 54 _(و هو يعرض في ذلك رأي جورج مارسي

أنظر أيضا استعراض الرأي من طرف Golvin (L):Essai sur l'architecture religieux musulmans p144 T4 Paris 1979

- لقد تعرض جامع ندرومة الكبير إلى العديد من الإصلاحات و الترميمات عبر العصور المختلفة ، بعضها مسجل كتابيا ، كالمئذنة المضافة في العهد الزياني عام **749** هـ/**1349** م[1]، والبعض الآخر منها غير مسجل كبعض الدعامات في البائكة المتطرفة الجنوبية الغربية ، وكذلك الجزء الذي يلي الصحن مباشرة من الناحية الشمالية بالإضافة إلى المحراب الذي تلقى هو بدوره تجديدا واضحا و لكننا نجد بصفة عامة أن التخطيط المعماري للمسجد ما يزال يحتفظ بجوهره المرابطي[2].

كما نجد مساحة مربعة تلي المحراب مشكلة بثلاث عقود وفتحة، ويظهر من ذلك أن هذه المساحة كانت تعلوها قبة في العصر المرابطي ثم أزيلت بعد ذلك.

أ2- الوصف المعماري للمسجد

- يشبه الجامع الكبير بندرومة المسجد الكبير بالجزائر العاصمة وذلك من حيث الشكل المعماري العام، وهو تصميم يتألف من مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب كالجامع الأموي بدمشق، وجامع القرويين بفاس، بينما نجد معظم المساجد الإسلامية في المشرق والمغرب على السواء، على هيئة مربع أو مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب، وقد أدى هذا التصميم العام إلى أن يكون عرض المسجد أكثر عمقه ومقاساته العامة **28.30** متر/ **20**متر (أنظر المخطّط رقم **1**).

ويتألف المسجد من الداخل من صحن أوسط مكشوف مقاساته **9** متر/**6.80** متر تحيط به أربع أروقة أكبرها رواق القبلة أو بيت الصلاة وعلى الجانبين رواقين متماثلين.

- **رواق القبلة** : وهو مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب وعرضه أكثر من عمقه مقاساته **28.30** متر/ **09** متر ويتألف من ثلاثة أساكيب وأحد عشر بلاطة عمودية على جدار القبلة وهو جدار سمكه **1.70**متر، يتوسطه محراب غائر متعدد الأضلاع (خماسي) بارز من الخارج إلى اليمين منه فتحة حجرة مستطيلة للمنبر وإلى اليسار على البلاطة الثانية من المحراب غرفة أخرى استعملت كمكتبة واستراحة للامام ويليها على البلاطة ما قبل الأخيرة باب يوصل إلى الخارج (أنظر اللوحة رقم **4**).

---

1 بوروبة رشيد : الكتابات الأثرية : ص 54 Golvin (L): opc .cit .P.171

2 Bourouba R: L'art religieux PP 78.79 Golvin(L): ibid .PP.173-174

- ويقدر عرض الأساكيب بـ **2.40** متر إلى **2.50** متر بينما عرض البلاطات يقدر بـ **2.45** متر فيما عدا البلاطة المركزية التي يزيد عرضها عن بقية البلاطات، وأمام المحراب على البلاطة المركزية مساحة مشكلة بواسطة عقد أوسط وعقدين على شكل مربع من المحتمل أنها كانت مغطاة بقبة اندثرت فيما بعد، ويشرف بيت الصلاة على الصحن بثلاثة عقود(أنظر اللوحة رقم **06**).

الرواقان الجانبيان : على جانبي الصحن الشرقي والغربي رواقين متماثلين يشرف كل منهما على الصحن بعقد ويتألفان ثلاث بلاطات هي امتداد لبلاطات بين الصلاة العمودية على جدار القبلة (اللوحة رقم **03**).

الرواق المقابل لرواق القبلة: وقد جدد هذا الرواق في وقت غير معروف ويشرف على الصحن بعقدين بدلا من ثلاثة عقود على مقدار ما يقابله (أنظر اللوحة رقم **04**).

الحوامل : يتضمن بيت الصلاة ثلاثة صفوف من الدعامات المربعة الشكل في معظمها يتكون كل صف من ثماني دعامات والثالثة من جهة الصحن ذات شكل غير منتظم بعضها متقاطع والبعض الآخر على شكل لام متوسطة (لـ) مشرف من الجانب الشمالي الشرقي ، ومجمل الدعامات في المسجد خمسة وثلاثون دعامة (أنظر اللوحة **03**).

العقود : ترتكز عقود المسجد على الدعامات وهي عبارة عن هيئة حذوة القوس منكسرة قليلا في القمة (أنظر اللوحة رقم **04**)

المداخل : للمسجد ثلاث أبواب عادية تذكارية ، أحدها إلى يسار المحراب مقابل البلاطة ما قبل الأخيرة ، والآخر في الركن الشمالي الغربي والثالثة بجانب المأذنة في الركن الشمالي الشرقي (أنظر اللوحة رقم **01**).

المئذنة : وتحتل الركن الشمالي من المسجد، وقد بنيت على أيدي سكان المدينة في العصر الزياني، كما تشير إليه اللوحة التأسيسية المثبتة على يمين باب الدخول إليها، ويشير التاريخ إلى عام **749**هـ/**1348**م، وتتميز هذه المأذنة كبقية المآذن الزيانية بأنها متأثرة ومقتبسة من المآذن الموحدية خاصة مئذنة الكتبية وذلك من حيث تكوينها وزخارفها (أنظر اللوحتين رقم **09** و**10**).

الوصف الخارجي : يقدر الإرتفاع الكلي للمئذنة بـــ **23.20** متر وارتفاع البرج الأول السفلي بـــ **19.80** متر، كما يقدر طول ضلع القاعدة بـــ **4.72** متر، بينما يصل ارتفاع الجوسق إلى **4.24** متر وقاعدته **2.04** متر.

ويرصع البرج السفلي من جهاته الأربع بزخارف هندسية على هيئة شبكة من المعينات والعقود المفصصة والمنكسرة، وقد قسم كل وجه من أوجهها الأربعة إلى جزئين :

الجزء السفلي : قوامه مساحة مربعة يزيدها عقدان مفصصان ناتئان، يتكون كل منهما من تسعة فصوص، وينتهي كل عقد بمفتاح على هيئة ميم "م".

الجزء العلوي : وهو على هيئة مستطيل ترصعه تشكيلة من المعينات الناتئة تقوم على ثلاث عقود ثلاثية الفصوص ترتكز على أعمدة حائطية صغيرة، وينتهي هذا الجزء بأفريز مستطيل غائر، ويتخلل البرج السفلي فتحات مستطيلة من الخارج وملوية منحرفة من الداخل تسمح بتدفق تيار الهواء، ووظيفة هذه الفتحات التهوية والإضاءة.

الجوسق : وهو صغير الحجم، خال من الزخرفة ما عدا دخلة غائرة في كل وجه من أوجهه الأربعة، وهي فتحة مستطيلة تنتهي بعقد خذوي أملس عادي.

أ3- التحليل المعماري للمسجد:

يتشابه المسجد الكبير بندرومة مع المسجد المرابطي الكبير بالجزائر وذلك من حيث التخطيط العام لكل منهما، والذي يتكون من مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بحيث يشكل عرضه أكثر من عمقه وهي نفس الميزة التي يتميز بها بيت الصلاة في كل المسجدين (أنظر المخطط رقم **03**).

إن هذا التخطيط العام يختلف عن معظم المساجد الإسلامية في المشرق والمغرب على السواء إذا ما استثنينا البعض القليل مثل الجامع الأموي بدمشق، وجامع القرويين بفاس، غير أن هذين الأخيرين بلاطاتهما متوازية لجدران القبلة وليس عمودية عليه كجامع ندرومة والجزائر(أنظر المخطط رقم **02**).

ومن خلال هذا يظهر أن المسجدان أي ندرومة والجزائر، متأثران بنظام تخطيط البلاطات في المساجد الإسلامية في المشرق والمساجد المغربية الأندلسية.

وربما كان التأثير الأندلسي أقوى على العمارة المرابطية من أي تأثير آخر، فقد فتح المرابطون أبواب المغرب لتدخل منه التأثيرات المعمارية الأندلسية كما نراها في جامع الجزائر وتلمسان وجزئيا في جامع ندرومة. والمعروف أن أبواب المغرب كانت موصدة قبلهم ولم يكن لها إلا منافذ قليلة فتحتها الخلافة الأموية بقرطبة بسبتة وفاس، وقد أدى الارتباط السياسي، بين المغرب والأندلس الذي أوجده المرابطون إلى وحدة فنية أصبحت معها الأندلس أستاذا للمغرب في المجال الفني، فانتشرت المظاهر الفنية والمعمارية الأندلسية في بلاد المغرب وظهرت تقاليده في العمارة المرابطية في الجزائر. وهي المظاهر والتقاليد التي ستنتشر في المغرب العربي.

إن اعتماد المعمار المرابطي في إقامة العقود والأسواق على الدعامات المبنية وليس على الأعمدة المنحوتة، لا يرجع إلى ضخامة المساجد التي شيدها المرابطون كما يرى "مورينو" ، فهناك مساجد قبل المرابطين أضخم من مساجدهم كالقيروان وقرطبة. والعمارة الزيرية الحمادية تعتمد على أعمدة، ولكنه يرجع إلى صعوبة الحصول على الأعمدة الرخامية ، التي تتطلب تكاليف وجهدا ووقتا لنحتها بخلاف الدعامات المبنية التي يعتمد فيها على المواد المحلية المتوفرة بعين المكان، ويرجع أصل بداية الاعتماد على هذا النوع من الدعامات المبنية إلى العراق، فقد بينة أعمدة ضخمة تشبه الدعامات بالحجر في مسجدي البصرة والكوفة في عهد زياد ابن أبيه (**45** هـ-**50** هـ/**665** م-**670** م)، كما شيدت بالآجر والحجر دعامات حائطية تشبه الأعمدة في قصر الأخيضر وبوابة بغداد بمدينة الرقة (**115** هـ/**772** م) كما شيدت الدعامات بالبناء في جامع سامراء لتحمل سقفا من غير عقود وفي جامع أبي دلف بعقود تحمل سقفا.

وقد انتقل هذا الطراز إلى الجامع الطولوني بمصر وانتقل إلى المغرب في القرن **3** هـ/**9** م إلى المسجد الكبير بسوسة ومسجد القرويين بفاس، وعمم استعماله في العصر المرابطي ليستمر في العهد الموحدي.

إنما نجد جميع عقود المسجد الكبير بندرومة على هيئة حذوة الفرس من النوع المنكسر قليلا ويعتبر العقد الحذوي بأشكاله المتنوعة مميزا للعمارة المغربية الأندلسية، بحيث ظل المعمار المغربي وفيا لهذا الترع من العقود وفضله على غيره منذ أن استعمل لأول مرة في جامع القيروان وجامع الزيتونة وقرابة ومساجد سوسة (بونتاتة والجامع الكبير).

ويرجع أول ظهور للعقد الحذوي إلى الجامع الأموي بدمشق في الفترة الإسلامية ولكنه ظهر قبل ذلك كما يتضح من أمثلة له مؤرخة عثر عليها شمال الجزيرة العربية تعود إلى العصر الساساني.

ويتصدر جدار القبلة بجامع ندرومة محرابا خماسي الأضلاع، يرجع أنه محراب غير أصلي ولا يمكن دراسته على أساس أنه نموذج للمحاريب المرابطية.

ولعل من العناصر المهمة في المساجد، صحنه وهو يشبه مثيله في الجامع الكبير بالجزائر، وللصحن أهمية كبيرة في العمارة الإسلامية بصفة عامة وفي العمارة الدينية بصفة خاصة، وهو الجزء الغير مستوف بداخل المسجد، ويعتبر امتدادا لبيت الصلاة تؤدى فيه الصلاة أيام الجمعة حين يزدحم المسجد بالمصلين، وكانت صحون المساجد تغرس بالأشجار المثمرة أو الغير مثمرة ليستظل الناس بها، كما كانت ترخص لاستعماله للتجارة أو السهر والجلوس والنوم، ثم أخذ الفقهاء في تحديد وظائفه وقد أورد ذلك كله الزركشي في كتابه : "أعلام المساجد في أعلام المساجد"، فقد اعتبرت بعد ذلك كأجزاء أساسية من المساجد. وفي معظم الأحوال نجد الصحون محاطة بأروقة مغطاة يستظل بها المصلون من الحر والمطر.

وتختلف الصحون باختلاف الأساليب المعمارية، فهناك صحون عمقها أكثر من عرضها والنموذج الأول لها جامع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة بعد توسيعه، والنوع الثاني من الصحون عرضها أكثر من عمقها كما هو الحال في الجامع الأموي بدمشق، وقد وجد النوعان من الصحون في المغرب العربي، النوع الأول يمثله جامع القيروان، والثاني تمثله أمثلة كثيرة من صحون المساجد المرابطية بالمغرب الأوسط، كالجزائر وندرومة.

ولعل أكثر العناصر المعمارية المهمة في المساجد "المئذنة" التي تمتا ز بما حوت عليه من زخارف وما تضمنته من نقوش وزينة، بالإضافة إلى أنها سجل رائع لأطوار الفن الزخرفي الإسلامي في المغرب والأندلس بصغة عامة والجزائر بصفة خاصة.

وقد بنية مئذنة جامع ندرومة وقتا لطراز المآذن المربعة الشكل والذي ساد المغرب والأندلس منذ أول مئذنة أقيمت لأول مسجد في المغرب وهي مئذنة جامع القيروان.

وقد انشق الشكل المربع للمئذنة الإسلامية واسمها من أبراج الزهاد في سوريا والتي ذكرهم ابن جبير في حديثه عن زاهد مسلم كان يعتكف في المئذنة الغربية للجامع الأموي

بدمشق، ويذكر أنه كان للجامع ثلاث صوامع، واحدة في الجانب الغربي، أشبه بالبرج المشيد ...إلخ... وقد شاع استخدام المغاربة لكلمة صومعة للتدليل على المئذنة مما يوحي بالأصل المشترك لهذه المآذن مع الأبراج التي تحدث عنها ابن جبير.

وقد خضعت المآذن الإسلامية بالمشرق العربي إلى تطوير كبير في شكلها وتصميمها وزخارفها كالمآذن العباسية في سامراء وأبي دلف وهي مآذن مستديرة وسلمها من الخارج، وقد أثرت هذه المآذن العراقية (القرن 3 هـ/ 9 م) في مئذنة الجامع الطولوني في مصر.

وقد أطلق على هذه المئذنة اسم الصومعة والمنارة غير أن الاسم الأكثر دقة هي المئذنة لما تشير به إلى مكان المؤذن والأذان.

وعلى أية حال فإن النموذج الأعلى لجميع المآذن المغربية هي مئذنة جامع القيروان التي يزيد ارتفاعها عن **31** مترا وضلع قاعدتها **10.67** مترا، تتألف من ثلاثة طوابق مسلوبة إلى الأعلى، ومن الداخل سلم يصعد إلى الأعلى حول نواة مركزية مربعة ينتهي السلم في نهاية الطابق الثاني.

وقد توالت على المغرب والأندلس بعد مئذنة جامع القيروان سلسلة من المآذن على نمط مئذنة القيروان ولكنها في ثوب زخرفي وفني جديد تطلبه النمو الحضاري والتطور الفني لكل مرحلة تاريخية، ومن هذه المآذن، مئذنة جامع الزيتونة، وصفاقس في المغرب الأدنى، ومئذنة جامع قرطبة وغيره، ثم مئذنة قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط التي وضحت فيها تطورات فنية ومعمارية هامة.

ولم يهتم المرابطون بإقامة المآذن لمساجدهم بصفة عامة حتى جاء الموحدون (**1145م، 1265م**) فشي**145م، 1265م**) فشيجد التي أقاموها وإذا كانوا قد اتبعوا التخطيط القديم المربع الشكل، فإنهم أضفوا على المئذنة من الخارج والداخل نوعا من الزخرفة والفن. كما دققوا من النسبة بين البرج وقاعدته وبين هذا البرج والجوسق الذي يعلوه بحيث جاءت المئذنة متوازنة فيما بينها وبين المسجد بصفة عامة.

إن هذا التوازن والانسجام المعماري للمئذنة جاء نتيجة تجارب واختبارات معمارية عديدة ولم يتحقق ذلك إلا في العصر الموحدي الذي توارثه المعمار الإسلامي بعد ذلك في بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى.

ومئذنة جامع ندرومة الزيانية أو التي شيدت في العهد الزياني تخضع لهذا النمط الجديد للمآذن المغربية التي ظهرت في العصر الموحدي (مثل : مئذنة الكتبية، تازا، شبيلية) كما أنها تتشابه مع المآذن الزيانية الأخرى كمئذنة الجامع الكبير وجامع أغادير ومئذنة جامع المشور وسيدي بلحسن وغيرها.

ب- مسجد القدارين:

ب1- تاريخ المسجد:

يعود تاريخ بناء هذا المسجد إلى عهد الدولة المرابطية، و قد بني من طرف صناع القبور الفخارية الموجودون بحيه و يقع المسجد بحي القدّارين، وقد تقلصت مساحته لأن المساكن الفردية توسعت على حساب أطلاله و لم يبق منه سوى المساحة الحالية وهو مصنف كآثار وطني منذ **18** سبتمبر **1912**.

ب2- الوصف المعماري للمسجد:

يشبه طراز بنائه أغلب المساجد في المغرب الإسلامي، ويأخذ شكلا مربعا **15**مترا/**15**مترا.

أما رواق القبلة فهو مستطيل الشكل مقاساته **15**مترا /**05** أمتار ويتالف من ثلاث اساكيب،بالمقابل نجد المحراب الغائر، الذي تم تزيينه بالرخام الأبيض و إلى يساره توجد فتحة مربعة غائرة كذلك يوضع فيها المنبر (أنظر اللوحة رقم **14**).

أمّا الرواقان الجانبيان فيأخذان تقريبا نفس أبعاد رواق القبلة، باستثناء الرواق الأيسر الذي تتعرضه الباب الرئيسية للمسجد.

أمّا الحوامل فيقدر ارتفاعها بمترين ويوجد بكل صف ثلاث دعامات و اثنين عند المدخل أي أن عددها الإجمالي **8** دعامات تعلوها أقواس عددها **11** قوسا (أنظر اللوحة رقم **15**).

أمّا المدخل فهو الرئيسي والوحيد في المسجد ويشرف على قاعة الصلاة إضافة إلى باب جانبي خاص بالمئذنة .وهناك باب ثانوي آخر يؤدي إلى قاعة صغيرة خاصة بالنساء وتوجد في الأعلى بحيث ترتفع على قاعة الصلاة بحوالي مترين،وهي قاعة صغيرة مربعة الشكل **4**متر/**4**متر تصلي فيها النساء صلاة الجمعة أو صلاة التراويح خلال شهر رمضان (اللوحة رقم **03**).

المئذنة:نجدها عند يسار المدخل الرئيسي للمسجد وتأخذ سكل البرج مستطيلة الشكل أعلاها مفتوح وتشبه في شكلها أبراج المراقبة العسكرية (اللوحة رقم **16**).

2- الأضرحة و الزوايا:

أ- مفهومها:

- إن الأضرحة أو الزوايا تنتشر في أغلب أقطار العالم الإسلامي بأسماء مختلفة فهناك ، القبة ،الضريح أو المشهد.

- ويمثل هذا الطراز ، البناء الذي كان يقام على رفاة ولي صالح أو أمير أو سلطان ويسمى أحيانا (تربة)، وكان صاحب الضريح يدفن فيه ويوضع فوق قبره تركيبة من الحجر أو الأجر وأحيانا تابوت من الخشب، مثل تابوت الإمام المستنصر[1].

- ويرجع تاريخ بداية انتشار الأضرحة إلى صدر الإسلام، وكثيرا ما كانت تبنى للسلاطين والأمراء، وتلصق عادة بالجوامع أو المدارس التي يشيدونها، وكانت الأضرحة في إيران أكثر انتشارا منها في سائر الأقطار العربية[2].

- وكانت الأضرحة أبنية مربعة الشكل عليها قبة ذات أركان محلات بالمقرنصات أو الدلايات وكان تصمم الأضرحة والمشاهد يختلف باختلاف الأقطار الإسلامية وعلى سبيل المثال أن الأمراء والأميرات في إيران يدفنون في مقابر على شكل أبراج أسطوانية وقد يعلوها في بعض الأحيان سقف مخروطي الشكل.[3]

- أما في بلاد المغرب العربي فقد اقترنت الأضرحة بأسماء بعض العلماء والأولياء الصالحين الذين كان لهم صيت كبير خلال الفتوحات الإسلامية بالإضافة إلى دورهم في نشر الإسلام ولعل أقدم الأضرحة بالجزائر مقام سيدي عقبة بالقرب من مدينة بسكرة في شرف الجزائر، وقد شيد هذا المقام تقديرا أو قيمنا بالفاتح العظيم عقبة ين نافع الفهري الذي استطاع فتح ربوع المغرب العربي، وقد أقيم هذا المقام في نفس المنطقة التي قتل فيها هذا الفاتح العظيم.[4]

---

1 د. محمود وصفي محمد : دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، دار الثقافة لطباعة والنشر، القاهرة 1980. ص. 39.

2 المرجع نفسه ص.39.

3 المرجع نفسه ص 40.

4 يبعد ضريح سيدي عقبة بحوالي 12 كلم عن مقر مدينة بسكرة غربا.

- وقد تطورت هذه الطرز العمرانية وانتشرت في أغلب المدن والعمائر الإسلامية، وتجاوز في أغلب الأحيان المدارس القرآنية أو المساجد وفي بعض الأحيان تقام داخل المقابر، وتتميز بشكلها المربع المشيد بالحجارة أو الآجر تلمس جدرانه بالجص وتغطية قبة صغيرة الحجم، فهي صين تعد أضرحة العلماء و أكثر زخرفة وأكثر اتساعا .

- وقد زاد عدد الأضرحة في الجزائر خلال العهد الزياني وما تلاه من أحداث بعد ذلك حيث شيدت العديد من الأضرحة .

ب- دورها الاجتماعي و الثقافي:

إن للأضرحة والزوايا دورة ثقافيا و دينيا خاصا، بحيث تمثل ذلك الترابط بين الإنسان وعقيدته، كما تمثل شاهدا عن تاريخ أو حقبة معينة ، ففي إيران مثلا: كانت تمثل مدى الازدهار والرفاهية التي وصل إليها المجتمع وتخلد غالب الأمراء والسلاطين الذين عاشوا خلال تلك الحقب التاريخية.

كما تمثل الأضرحة تمييزا لدور صاحبها وحفاظا على أعماله وتاريخه خاصة أولئك العلماء و القادة الفاتحين ، أما بالنسبة للمجتمعات الإسلامية فهي مقدسة، بذورها الناس ولعل زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة أو مقام إبراهيم الخليل لأحسن مثال عن ذلك.

وفي بلاد المغرب العربي، ترتبط الزوايا بالمدارس القرآنية ودور العلم، وقد تنوعت هذه الزوايا وانتشر في أغلب المناطق التي كانت تمثل إشعاعا حضاريا و ثقافيا[1]، كما نجد عدة أضرحة أقيمت لعلماء اشتهروا بأعمالهم في ميدان العلوم الدينية و الوضعية، فمثل ضريح سيدي بومدين بتلمسان.

لكن بعد العهد الزياني انتشرت هذه الأضرحة التي أقيمت على شخصيات كان لها صوت محلي سواء في الجانب الديني أو الجهادي ضد الحملات الأوروبية على بلاد المغرب

1Marie Anne Prenant -Thumelim: NEDROUMA .Anales Algeriennes de Geographi .N°4 Juillet-Decembre 1967. Constantine . P27

العربي مثل ما هو الحال بالنسبة لضريح "سيدي الأخضر بن خلوف" بالقرب من مدينة مستغانم[1].

ج- الأضرحة:

ج1- ضريح سيدي احمد البجائي:

يقع هذا الضريح في المدخل الشمالي للمقبرة البلدية، وقد شيّد في العهد الموحدي. وهو في حالة متوسطة ومصنف أثارا ولائيا منذ سنة **1988**.

تقول بعض الروايات أن عبد المؤمن بن علي كان يتجول، عبر أراضي المملكة رفقة جيشه،واستقر به الأمر بالقرب من عين الكبيرة وخلال الإقامة،أبلغه أحد الخدم،وهو درويش ،اسمه سيد أحمد البجائي، بأن مؤامرة تدبر ضده، من طرف بعض أتباعه.وقد جاءه النبأ تأخرا، فارتئي عبد المؤمن أن يتطوع أحد الأتباع و يحل محله،في خيمته،كما يرتدي ملابسه.و لم يكن هذا المتطوع سوى الدرويش سيد أحمد البجائي.

وفعلا قضي الأمر،وخلال الصباح ظهر المتآمرون وهم يحاولون اقتسام نشوة القضاء على الملك عبد المؤمن.ولكن المفاجأة كانت ظهور الملك،و قد أمر بإلقاء القبض على المتآمرين، وكان عددهم كبيرا فأمر ببناء سجن كبير لهم.وهذا ما تثبته بقايا الآثار في أعالي عين الكبيرة، ما هي سوى بقايا ذلك السجن.

وقد رفع عبد المؤمن مخيمه،وتوجه نحو سهل مزاورو.وخلال المسير توقفت بغلة الدرويش سيد أحمد البجائي، فتوقف الجيش،فأمر عبد المؤمن بتشييد مقام في المكان ذاته.ووضعت فوقه قبة،وأصبح بالتالي أحد المرابطين و شيدت من حول ضريحه القصبة وبدأ بذلك العمران يتطور من حولها.ونشأت بذلك ندرومة[2].

يتميز هذا الضريح بشكله المربع كباقي الأضرحة، وأما الأبعاد فهي كالتالي (**05** أمتار، **05** أمتار) أما ارتفاعه فيقدر بحوالي **04** أمتار بحوالي (أنظر اللوحة رقم **17**) .

---

1 يبعد ضريح سيدي الأخضر بخلوف بحوالي 50 كلم شرق مدينة مستغانم .

2 مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 334.

أما ميّزة الضريح من الداخل، ونلاحظ الأقواس التي وضعت فوق الجدران وعددها أربعة أقواس، أما الباب أو المدخل فهو كغيرة من أبواب الأضرحة، يتميّز بارتفاعه الصغير الذي لا يتجاوز ارتفاعه مترا ونصف ويأخذ شكل مقوسا (أنظر اللوحة رقم **18**) .

أما القبر أو الضريح، فيتوسط القاعة، هو عبارة عن صندوق خسشبي وضع فوق القبر . ارتفاعه حوالي **0,5** متر أما الطول فيقدر بحوالي مترين، والعرض متر واحد وقد غطي (أنظر اللوحة رقم 18) بقطعة من القماش الأخضر كتب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

أم القبة فقطرها ثلاثة أمتار، خارجيا يظهر عليها الشكل المسدس، الذي يظهر من خلال الأقسام الستة للقيمة، أما بالداخل فهي محاطة بعقود وعددها أربعة، كما تظهر في الزوايا الأربعة أنصاف قباب(أنظر اللوحة رقم **17**).

كما نجد بالداخل نافذة حائطية تستخدم عادة لوضع الشموع. أثناء زيارة الضريح.

ج2– ضريح قدور بن عاشور:

يقع هذا الضريح في الجهة الشمالية للمقبرة، وهو بناء عادي، يتخذ شكلا مربعا (حوالي **10** أمتار) (أنظر اللوحة رقم **19**). يتوسط بالداخل فناء واسع، وتظهر العمدة الربعة التي تشكل دعامات الرئيسية للسقف، وهي من الاسمنت، أما السقف فهو مربع، ولعله الضريح الوحيد بالمدينة الذي يظهر بدون قبة، وبالداخل نجد تسعة قبور في الوسط نجد قبر الولي الصالح قدور بن عاشور، محاط بقبور أبناءه وأحفاده (أنظر اللوحة رقم **20**).

وقد وضع على كل القبور قبر لوحتان رخاميتان كتب على كل منهما صاحبها وتاريخ ميلاده ووفاته ، وقد فرشت المساحة المتبقية بأفرشة وأغطية، كما يمكن أن ترى النافذة الحائطية على اليمين والتي تستخدم عادة لإقامة الشموع.

ج3– أضرحة زاوية سيدي بن اعمر:

إن الأضرحة التي شيدت على مقبرة زاوية سيد ابن عمر شيدت خلال حقبات تاريخية مختلفة، فكل مقام يمثل ضريحا لأحد رجال الزاوية أو ما يعرف بالمقدم، وقد نجد قبرين في مقام واحد قد يكون لأحد أبناء المقدم أو أحد ورثته، ويمكن أن نصف الأضرحة للزاوية التي تظهر بشكل واضح.

الضريح الأوّل: وهو عبارة عن مبنى متوسط الارتفاع أو ما يعرف بالحويطة، أو المعروف عادة بالسيد، أما شكلها فهو مربع تقريبا حوالي **04** أمتار/**3,5** أمتار، وقد يبني الضريح بالحجر والطين كما لا يدل على أي نوع من الفخامة على عكس باقي الأضرحة، ونجد بداخل قبرين، وبداخل نجد قبر المقدم سيدي علي الذي سميت عليه الزاوية (أنظر اللوحة رقم **21**).

الضريح الثاني : صغير الشكل مقارنة بالأضرحة الثانية، يتخذ شكلا مربعا **02** متر/**02** متر أما ارتفاعه فحوالي مترين كذلك. ويوجد بالداخل قبل واحد أما القيمة التي تعلوه فهي قبة بصلية الشكل مثمنة الجوانب وتظهر في باقي الأضرحة كذلك (أنظر اللوحة رقم **22**).

الضريح الثالث: هو أكبر الأضرحة حجما وشكلا ويأخذ شكلا مربع (حوالي **06** أمتار/**06** أمتار) أما الارتفاع فحوالي أربعة أمتار، ويغطي السقف فقبة كبيرة، بصلية الشكل كذلك، أما بالداخل فنجد قبرين(أنظر اللوحة رقم **22**).

الضريح الرابع:كبير الشكل هو كذلك، أبعاده (**5** أمتار/**5**أمتار) أما الارتفاع فحوالي ثلاثة أمتار، وعلى السقف كذلك قبة مثمته الجوانب أو بصلية الشكل ، وبداخل الضريح قبر واحد وهو للمقدم الشيخ سيدي علي الذي توفي خلال الأربعينات.

د- الزوايـــا:زاوية سيدي بن أعمر:

أن سبب تقهقر الطرقية في الجزائر بعد الاستقلال غير مرتبط بنجاح التيار الإصلاحي، بل يعود سببه أكثر إلى انهدام بنية المجتمع الجزائري وإعادة بناء هيكلة الحكم فيه من جديد، فتمخض عن ذلك نظاما تبنى إسلاما دينا للدولة حدد مفهومه من قبل الإصلاحيين، يقصي المظاهر التصوفية من الحقل الديني في الجزائر المستقلة، بيد أن التيار الصوفي وان اهتز مع عصرنة الهياكل الاجتماعية إلا أنه تماشى قليلا مع مستجدات الأحداث المحلية وبرز بروزا نسبيا حسب مكانته في الخريطة الوطنية الجديدة، حيث واصلت بعض الطرق تحافظ على وجودها بأشكال ووظائف أخرى في مجال التعليم الديني كما هو شأن الطريقة الرحمانية و العلاوية اللتين كانتا

فضاءات دينية اجتماعية للكثير من الوافدين خصوصا النساء اللواتي كن يتجنبن اعتياد المساجد لاعتبارها أماكن للذكور فقط حسب اعتقادهن[1].

وكانت الزاوية تتكون عادة من بيت خاص لإسكان شيخها، وبيوت خاصة بالضيوف وبوكيل الزاوية وبمعلم الأطفال والمسجد والمدرسة لدراسة القرآن الكريم ومساكن الخدم ومخازن لحفظ المؤن وإسطبل ومتجر وحجرة خاصة بالفقراء الذين لا مأوى لهم وهناك أراض موقوفة على الزواية ومساحة الزاوية كانت كبيرة ، بعضها مزروع والبعض الآخر يترك للرعي.

وأما موارد الزاوية المالية فكانت تتألف من الزراعة وتربية المواشي والهبات الخيرية كما كانت الزاوية تجلب الزكاة من القبيلة وسيّما بعد أن أعفت السلطات في دولة الخلافة الإسلامية الزوايا من الضرائب وأعطت لها حق جباية الزكاة. وكانت الزاوية تنفق بعض هذه الموارد على احتياجاتها وفق نظام معروف فيها أما ما يتبقى فيبعث إلى المركز الرئيسي حيث يتصرف فيه رئيس النظام.

وتتألف السلطة في الزاوية من شيخ الزاوية وهو المسؤول الأول عن الزاوية وهو الذي يمثل رئيس قسم النظام ويقود رجال القبيلة في الجهاد وهو الصلة بين القبيلة ورجال الإدارة العثمانيين ويقوم بضيافة المسافرين ويشرف على حصاد الزرع ويؤم الصلاة ويساعد في الوعظ والتعليم. وتتألف السلطة أيضاً من مجلس يضم وكيل الزاوية وشيوخ وأعيان القبيلة المرتبطة بها ووجهاء المهاجرين (الذين أووا إلى الزاوية). ومهمة هذا المجلس النظر في مشاكل الأهالي وفض المنازعات.

ويطلق على شيخ الزاوية اسم «المقدّم» وهو –كما يقول شكيب أرسلان– القيّم على الزاوية الذي يتولى أمور القبيلة ويفصل الخصومات ويبلغ الأوامر الصادرة من رئيس النظام ويليه وكيل الدخل والخرج وإليه النظر في زراعة الأراضي وجميع الأمور الاقتصادية. وبالإضافة

---

1 le maraboutisme et les confreries religieuses musulmanes en algerie—jaque carret-imprimerieofficielle.1959 P-19.

إلى هذين هناك الشيخ الذي يقيم الصلاة في مسجد الزاوية ويعلم أطفال القبيلة ويعقد فيها عقود الزواج ويصلي على الجنائز[1].

د1- الوصف المعماري للزاوية:

الوصف الخارجي للزاوية:

إن الواقف خارج الزاوية باتجاه القبلة يرى بابين لهما نفس المقاسات وهما **1,20**م عرضا و**1,20**م علوا وست نوافذ، ثلاثة علية وثلاثة سفلية وفي الجدار اليميني يبرز باب ضخم يوحي بعظمة الزاوية وشموخها وهو باب رئيسي، مقاساته **3**م عرضا و**4** م علوا، ينتهي في أعلاه في شكل نصف دائري يتقدمه مدخل ذو ثلاث جهات مفتوحة بدون أبواب لتسهيل دخول المصلين والطلبة والمريدين والزوار، الباب الرئيسي يتكون من دفتين عرض كل واحد **1,50**م وهو خشبي منمق بلوالب نحاسية لها دورين الأول تثبيت أخشاب اللوح والثاني زخرفي تجميلي.

وخارج الزاوية فناء كبير مستطيل الشكل محادي لطريق مبعد يوجد في الجهة الغربية للزاوية.

أما مسجد الزاوية فمربع الشكل يمتد على طول **16,50**م X **16,50**م يتوسطه مدخل رئيسي في الجهة الشرقية طوله **2,80**م وعرضه**1,60**م تزينه زخارف هندسية وتعلوه زخرفة كتابية جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: "وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا".

كما يوجد على جدار القبلة، على جانبي المحراب بابان صغيران نسبيا مقاساتهما: **2**م X **0,90**م، الأول يؤدي إلا مقصورة الإمام والثاني يصل إلى الخارج.

الوصف الداخلي:

يمر الداخل إلى الزاوية عبر فناء واسع ثم يمر بسلم قليل الارتفاع إلى باب المدخل وهناك يقابله مباشرة هو واسع مستطيل الشكل بمقاسات: **4**م X **3**م على اليمين يوجد باب خلفه سرداب ينتهي إلى دهليز به ميضاءة خاصة بالطلبة والمقيمين، وعلى اليسار باب متوسط الاتساع بمقاسات **2,20**م علوا و**1,20**م عرضا من دفتين يؤدي إلى قاعات التدريس.

---

1 د.عجيل النشي-الحركة السنوسية وما بعدها-الطبعة الأولى- ص238.

المصلـــــى:

ويسمى عادة المسجد أو قاعة الصلاة وهو مستقل بموضع قريب من الزاوية في شكل مربع.

تأتي قاعة الصلاة على محور واحد مع البوابة فهي تتوسط البهو أخذت شكلا مربعا مقاساتها: **16,50**م في كل ضلع، زينت أرضيتها بالبلاط المزخرف على شكل مربعات بمقاسات **25**سم **X 25**سم.

كسيت جدران القاعة من أسفل على ارتفاع **1,20**م بالفسيفساء الخزفية ذات الزخارف الهندسية، وتحيط الزخرفة بكامل اسفل الجدار في أضلاعه الأربعة ماعدا فتحة المدخل ويفصل هذه الزخرفة عن الأرضية حزام من الخزف دو اللون الأسود عرضه **10**سم وطول كل وحدة خزف **20**سم.

كذلك الأعمدة الموجودة بداخل قاعة صلاة فهي مكسية بالخزف الملون.

عدد الأعمدة **16** عمودا، مربعة الشكل بمقاسات: **3**م علوا و**30**سم لكل ضلع وينتهي كل عمود بتاج له وظيفتان الأولى حمل القوس والثانية زخرفية.

عدد البلاطات خمسة وعدد الأساكيب خمسة.

سقف قاعة الصلاة تزينه الثرايا العديدة رغم أن النوافذ كثيرة وفتحات الإضاءة متعددة مبنية على الطراز المغربي زجاجها مختلف الألوان يضفي نوعا من الجمال.

المحـــــراب:

يتوسط الجدار الشمالي لقاعة الصلاة، تجويف الجدار يبلغ عمقه **1,80**م وعرضه **2**م، ذو أضلاع خمسة كما هو في المحاريب المغاربية ذات الخمسة أضلاع، كسي أسفله ببلاطات خزفية. كوشة المحراب هي قوس حذوي مسنن مزخرف بقوقعتان.

يعلو المحراب لوحة رخامية طولها **4**م وعرضها **1,50**م محاطة بشريط من مراوح النخيل مكتوب عليها بخط كوفي آية قرآنية في ستة أسطر[1] على النحو التالي:

السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم

السطر الثاني: إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة

السطر الثالث: وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون

---

1 الآيتان رقم (29و30) من سورة فاطر.

السطر الرابع: تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم

السطر الخامس: من فضله أنه غفور شكور

السطر السادس : صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة

وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون

تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم

من فضله أنه غفور شكور

صدق الله العظيم

كما توجد على جانب المحراب لوحتان خزفيتان الأولى على اليمين مكتوب عليها اسم الجلالة على النحو التالي:

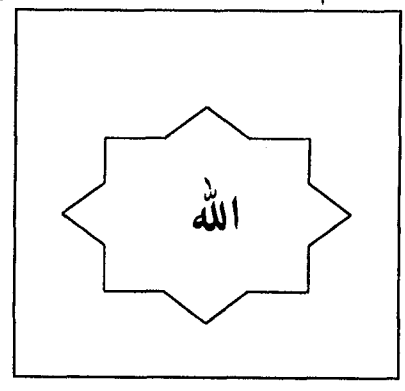

والثانية على اليسار مكتوب عليها:

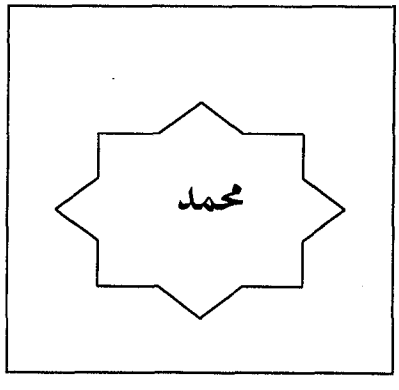

القبـــــة:

تتميز قاعة الصلاة بوجود قبة واحدة مركزية تتوسط السقف مبنية على قاعة رباعية أي تتربع على دعامات أربعة بمقياس **4م X 4م**، يبلغ علو القبة **2,20م**، توجد بها عدة فتحات زجاجية للتهوية والإضاءة.

المئذنـــــة:

تحتل مؤذنة جامع الزاوية الركن الشرقي لبيت الصلاة من الجهة اليمنى، وهي بارزة عنه ذات جزء سفلي مربع، وبدن مربع، يبلغ ارتفاعه **11م**، يبدو من خلال شكلها صفة الحداثة لكونها مكسوة بالآجر الأحمر وهذا دليل على أن التجديدات قد مستها هي الأخرة.

وهي مقسمة إلى قسمين:

القســـم الأول

يتمثل في الجزء السفلي المربع المكون لبدن المئذنة بمقاسات **2,50م X 2,50م** ويصل ارتفاعه إلى **9م**، توجد في ضلعه الجنوبي فتحة في شكل باب مستطيل بمقاسات: **2,20م X 0,90م** يوصل إلى قمة المئذنة بواسطة سلم.

القســـم الثاني

يتمثل في الشرفة والجوسق:

- الشرفة: مربعة الشكل، مسننة، ارتفاعها **1,20م**

- الجوسق: مربع الشكل بمقاسات **1م x 1م**، تعلوه قبة صغيرة يعلوها سفود حديدي تبث في أعلاه هلال.

غرف التدريـــس:

تحتوي الزاوية على أربعة قاعات متساوية الطول والعرض والارتفاع بمقاييس **6م X 6م** لكل منها، وتقع على صف واحد في الجهة الجنوبية الغربية للزاوية، وتطل على رواق مستطيل يعلوه أربع نوافذ للإضاءة والتهوية، وتخلو القاعات من مصادر للتهوية باستثناء الأبواب المطلة على الجنوب بمقاييس **2,50م X 1,20م** لكل واحد منها، باستثناء القاعدة الأخيرة المطلة على الجهة الغربية تعلوها نافذة بمقاييس **2,50م X 1م**.

أما الجدار الخلفي لقاعات التدريس فهو الفاصل بينها وبين قاعة الصلاة.

قد خصصت القاعة الأولى المحاذية للبهو ككتاب لتعلم القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية للأطفال الصغار أما القاعة الموالية فقد أعدت لحفظ القرآن التمام للكبار، والقاعة الثالثة فقد خصصت لمحو الألواح، بها كميات من الصلصال والصمغ، ومن القصب وجرار للماء وبعض الأواني البسيطة، أما الأخير فقد خصصت لراحة المريدين والطلبة الجدد أيام الاستقبال.

هذه القاعات مؤثثة بحصر من الحلفاء والدوم ومجموعة ألواح من الخشب وبعض الكتب النحوية والصرفية وكثير من المصاحف برواية ورش عن نافع وبالرسم العثماني.

قاعتان خاصتـــان:

كما تحوي الزاوية على قاعتين إضافيتين بمقاييس متساوية طولا وعرضا وارتفاعا (**6م X 6م X 4م**)، وقد كتب على باب القاعة الأولى منهما ما يلي:

الحجرة المحمدية

من خلال اللوحة يستشف الدور العلمي والثقافي للزاوية التي كانت متخصصة في شتى العلوم كاللغة والنحو والصرف والمتون والبردة للإمام البوصيري التي كانت تدرس بمخطوطات في تخصصاتها. أما القاعة الثانية فهي مخصصة لعلاج بعض الأمراض كالروماتيزم وعرق النسا... وتقع هاتان القاعتان في الجهة الشرقية المقابلة لبيت الصلاة.

- غرف الطلبـــة:

تتوفر الزاوية سيدي بن عمر على ثلاث غرف متنوعة وبمقاييس متساوية (**4م X 4م**) والتي تقع في سرداب على المحيط الخارجي بواسطة مخرج. وقد خصصت القاعة الأولى والثانية لإيواء الطلبة أما الثالثة فهي الزوار وعابر سبيل.

الميضـــأة:

تقع أسفل قاعة الصلاة في نفس سرداب غرفة الطلبة وفي الجهة المقابلة لهم والتي يبدو عليها الحداثة والتجديد مما أفقدها طابعها المعماري الأصيل وهي اليوم لا تختلف كثيرا عن الميضآت الحديثة، ورغم ذلك وحسب بعض المصادر الشفاهية فإنها كانت تشمل خمس بيوت خلاء مزودة بمياه جارية بواسطة قنوات تقليدية والتي يعلوها صهريج يندفع منه الماء بشكل دائم وقد أوصل هذا الصهريج بالنبع الآتي من عين من أعلى الجبل.

وطغى الشكل المربع في زخارف الزليج التي تكسوا العمائر الإسلامية سواء الدينية أو المدنية منها، فكسيت الأرضيات بمربعات ذات ألوان مختلفة تعكس أشعتها.

ولعل فكرة المربع مرتبطة بالجانب الروحي والعقائدي لدى المسلمين، فالكعبة ذات أربعة أضلاع، وعدد الخلفاء الراشدين أربعة إلى غير ذلك من القياسات التي تبدو سطحية في طرحها.

الزخارف الكتابية:

أخذت الكتابة دورا كبيرا كعنصر زخرفي في العمائر فقد جاءت الكتابة على شكل زخرفة نجد ذاتها كالأشرطة الكتابية الفاصلة بين الزخارف النباتية والهندسية أحيانا والمنفذة بالخط الكوفي المورق المتفرغ في نهايات الحروف التي تصبح متشابكة مما ينتج تشكيلة زخرفية عناصرها مختلفة.

ويصعب التمييز بين الكتابة والزخرفة ولا يتفطن لها إلى الخبير في الفنون والخط.

توجد بغرفة الطلبة لا تفك رموز كتابتها بسهولة لأنها أصلا لم تحمل غاية في القراءة بل هدفها زخرفي محض، هذا ما نلاحظه في عبارات اسم الجلالة "الله" و "الحمد لله" و "محمد رسول الله".

أما النصوص القرآنية والكتابات التأسيسية فكانت تنفذ بالخط الكوفي وهذا ما نراه في الكتابة التأسيسية في أعلى جدار الممر المؤدي إلى قاعة الصلاة، مع الإشارة أن حالتها اليوم متدهورة بسبب الأصباغ المترادفة على سطح اللوح الخشبي، والذي يحول دون قراءة الكتاب.

إن اختيار الفنان في منطقة تلمسان عموما وندرومة خصوصا للخط الكوفي لما فيه من جمال في تعريجاته الهندسية التي نراها على المساحات الجصية للجدران في قاعات الصلاة مثل قاعة المدرسة المرينية خاصة مدارس السلطان أبي الحسن[1].

وعلى العموم فإن الخط الكوفي اقتصر بشكل واضح في استعمال سواء على الجص، أو الخشب كعنصر زخرفي في عبارات متكررة ومتقابلة أحيانا، وأضيف له في العهد الذي عرف به الفن المغربي مرحلة بروز قوية، العناصر النباتية والهندسية فأضحى لا ينفصل عن الإطار الزخرفي إلى المعنى الكتابي له.

---

1 العربي لقريز، نفس المرجع، ص109.

زمن المعروف في العمارة الإسلامية بصفة عامة انعدام الزخارف الكتابية والكتابات على الأرضية، وهذا انطلاقا من قداسة الحرف العربي، واحترام اللغة التي كتب بها القرآن الكريم، فالكتابات دائما تظهر في إطار مقابل على شكل لوحة أو إفريز يحيط بالقاعة وللخط الكوفي الخط الأوفر في هذه الزخرفة.

وقامت الكتابة بدور بارز في الزخرفة وكان مصدر إلهام الكتابات هو القرآن الكريم كعبارة البسمة "بسم الله الرحمن الرحيم" التي انتشر استعمالها وكلمة "لا إله إلا الله" و"محمد رسول الله" و"الله"و"محمد"، والتي تخلص مفهوم الإسلام ونظرا للصورة والجمالية للزخارف الكتابية، أصبحت لوحات فنية ترتاح لها النفس وتشغل البصر[1].

1 - GUSTAVE Lebon. La civilisation des arabes. SNED. Alger. 1969. P419.

الفصل الثالث:

العمارة المدنية و العسكرية .

1- العمارة المدنية

أ- البيت

ب-السوق

ج- الحمّام: الحمّام البالي

2- العمارة العسكرية

أ- الأسوار: أسوار القصبة

ب- الأبواب

1- العمارة المدنية

إن المدينة العربية الإسلامية تطورت بتطور الطرز العمرانية المختلفة التي أدخلت على الفنّ المعماري، كما اختلفت من منطقة إلى أخرى، بما فيها المغرب الإسلامي وكذا المشرق لإسلامي.

في الواقع لا توجد حقا مدينة إسلامية ولكن ربما مدينة مشرقية وذلك لاختلاق الطرز المعمارية، بحيث إن المجتمع العربي الإسلامي نشأ من بنية اجتماعية مختلفة باختلاف البناء المعماري كذلك.

وفي الجزائر فقد تميزت البناءات القديمة بالتناسق وقد عبر الجديد من الباحثين والمختصين عن براعة البناء الجزائري، الذي رغم الاختلاف في النظم السياسية التي تعاقبت على الجزائر، إلاّ انه حافظ على ذلك التناسق. ففي مؤلف"le corbusier"[1]، " manière de penser l'urbanisme[2] أكد أن المعمار العربي جيّد وبارع وكدليل البناءات الطابقية لمدينة الجزائر ويمكن دراسة المدينة العربية الإسلامية من خلال الانطلاق من المسجد أو البيت، ويمكن اعتبار البيت العربي نواة المدينة، بحيث تتجمع أغلب العائلات واختلاف انتطاعها القبلي لتكون ذلك الفضاء المدني وبالتالي قيام النسيج العمراني.

تتنوع العمارة المدنية وتختلف من حيث الطرز المعمارية، على عكس العمارة الدينية التي تشمل بالخصوص المساجد وما تحويه من عناصر معمارية مختلفة، كالمئذنة، المحراب وغيرهما.

وقد أخذت الفنون المعمارية أشكال مختلفة حسب البلدان التي ظهرت فيها لتاثير البيئة عليها من مناخ وموقع جغرافي وطبيعة مواد البناء، وقد أثرت عليها أيضا عقائد الأمم وأخلاقهم وعاداتهم، فترى تأثير الدين على الفنون القديمة وعلى الأخصّ الفنّ المصري والإغريقي وكانت الحوادث التاريخية تسبب ظهور أثار تخليدا لذكرى هذه الحوادث، كما نرى في الفنّ الروماني، أقواس القصر والأعمدة التذكارية[3] كما أن ظهور بعض عظماء الملوك

---

1 Demis Grandet "architecture et Urbanisme Islamique.OPU.1992 P59.

2 Ibid.P63

3 د.محمود وصفي محمد : دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر– القاهرة1980 ص21-22 .

كان سببا لإقامة القصور، وتكوين بعض الأساليب، وتاريخ الفرس خير شاهد على ذلك (إيوان كسرى) كما أنّ الدين المسيحي كان سببا في ظهور الكنائس.

أما الدين الإسلامي فكان له دورا كبيرا في بلاد العرب، والقطار الأخرى بما في ذلك فنّ العمارة، لأن الإسلام حضارة و لم يكن دينا فحسب، والحضارة تصنع الدين، بل هو الذي يصنعها.

وقد ازدهر فن العمارة في بلاد الأندلس، أو ما يعرف بالأسلوب الأموي المغربي إلى القرن الخامس الهجري. **11**ميلادي، بينما احتفظت بلاد المغرب بأساليبها الفنية القديمة فترة طويلة بعد الفتح العربي.

وقد اتبع للأندلس والمغرب أن يتحدى تحت حكم دولة واحدة وهي دولة المرابطين، وهم أسرة من المسلمين البربر وهم السكان الأصليون الذين كانوا يحكمون في المغرب منذ القرن الخامس الهجري وضموا الأندلس إلى دولتهم سنة **483**هـ/**1090**م[1].

وكان المرابطون ثم الموحدون حلقة اتصال بين الأندلس وبلاد الغرب ويحملون إليها الأساليب الفنية التي ازدهارت في بلادهم.

وتظهر أغلب الملامح الفنية الأندلسية على المباني الأثرية في مدينة ندرومة، خاصة المسجد الكبير الذي شيّد في العهد المرابطي (**1081**م) بالإضافة إلى العمائر الأخرى.

وفي هذا الفصل نتطرق على أهم العمائر المدنية، وكنماذج، البيوت والحمامات وكذا الأسواق.

أ- **البيت (الدار والقصور):**

ظهر البيت الإسلامي في كثير من المدن في العالم الإسلامي، وقد لوحظ في تصميم معظمها موافقتها لجوّ البلاد وللعادات الشرقية فكانت حرمة الدار مكفولة ومن ظاهر الدار لا يستطيع المرء رؤية من داخلها.

أما أهم أجزاء الدار، فهناك القاعة الكبرى في الطابق العلوي، وهي عبارة عن غرفة مستطيلة تنقسم إلى ثلاث أقسام، أوسطها مربع أرضيته منخفضة عن أرضيته الجزءين الآخرين

---

1 د. محمود وصفي محمد، المرجع نفسه. ص 30.

وسقفه أعلى من سقفيهما ويسمى هذا الجزء الأوسط بـــ"الدرقاعة" بينما يعرف الجزءان الآخران باسم " الإيواء" وكان سقف الدرقاعة في معظم الحيان منورا ومزينا بما يعرف بـــ" شخشية" محلاة بالقماري أو قمريات، وهي عبارة عن المنافد الحصية المزينة بتفاريخ تكون في مجموعها أشجار أو رسومات نباتية أو زهريات أو كتابات "[1].

إنّ البيت أو المترل يشرف على فناء، كما يشرف على واجدات قد تكون في بعض الأحيان مزخرفة وربّما لتميّزها[2].

ولكل بيت متصل ببيوت أخرى مشكلة النسيج العمراني وكلّها تشرف على ممّر ضيّق يعرف بـــ" الدريبة" التي بدورها لها مدخلات عادة، وهذا ما يؤكد مدى التضامن الاجتماعي الذي توارثه الأهالي والذي نواته الأسرة.

وتوجد بمدينة ندرومة عدة بيوت قديمة مثل دار القاضي التي يجهل تاريخ بنائها وتقع بحي بني زيد، وهي ملك خاص تتطلب الترميم وغير مصنفة .بالإضافة إلى "دار بن رحال"، قديمة البناء تقع بحي التربيعة وهي ملك خاص ،تتطلب الترميم كما أنها غير مصنفة (المخطط رقم 07).

أ1- دار القاضي:

تعتبر من أقدم بيوت مدينة ندرومة وتقع بحي بني زيد، وكباقي البيوت في المدينة. فإنها كانت تشكل نواة التجمعات السكانية في المدينة.

الوصف الخارجي: ما يمكن أن نلاحظه، هو السور الخارجي للدار الذي يمتد على طول **20** متراً، أما عرض السور فحوالي **0,5** متر، وهو مبني من الحجارة والأسمنت (المخطط رقم **25**).

الوصف الداخلي:

الطابق الأرضي: يبدأ من المدخل الذي يوجد في الزاوية المبنى وبأخذ شكل المقوس ارتفاعه حوالي **4,5** متر وعرضة **02** متر وبه باب حديدي تعود إلى الحقبة الاستعمارية.

---

1 د. المرجع نفسه-ص36

2 D. Grandel. Op.cit .P59

السقيفة: بعد المدخل يمكن أن نجد القبو (**cave**) على اليمين، أما على اليسار فنجد الحمام (**W.C**). لنجد مدخل آخر عرضه 3أمتار يطل مباشرة على الفناء (**patio**) وهو فناء واسع مستطيل الشكل، **10**أمتار/**7** أمتار. يتوسطه بئر (وسط الدار). لنجد الغرف الثلاث التي تحيط بالفناء الداخلي، على اليسار نجد غرفة مستطيلة الشكل تعرف – بيت الضيافة- وهي غرفة واسعة مساحتها حوالي **50** متر مربع، لها مدخل واحد عرضه مترين طوله **3,5** متر. أما الجدار الداخلي المطل على الفناء فهو أقل سمكا من الجدار الرئيسي الخارجي زائدا نافذة.

غرفة ثانوية: تقع في الزاوية وهي مربعة الشكل. ومساحتها حوالي **36**م (**6**م/**6**م). لها نافذة خشبية صغيرة تطل على الرواق الذي يفصل بينهما وبين فناء الدار. وفي الزاوية الشمالية نجد المطبخ، وهو أصغر مساحة له باب في الزاوية اليمنى، ويأخذ شكل مستطيل. ومساحته حوالي **24**م^2. (**6**م/**4**م) وليس له نافذة باستثناء ثقبين في أعلى الزاوية اليسرى.

الغرفة الثالثة: تعد أكبر غرفة في البيت تعرف بدار الأولاد. مساحتها **60**م^2 (**6**م **10x**م) لها مدخل في الزاوية اليمنى في حين نجد نافذة في الزاوية المقابلة.

الطابق العلوي: يشمل البناء فقط جزء من مساحة البيت ويبدأ من السلم الذي يمتد مباشرة من فناء (وسط الدار) نحو الأعلى إلى الدربوز. وهو عبارة عن مدخل للسطح يوضع له سقف من قصب والجبس لحماية السلم خلال موسم الأمطار.

على اليمين نجد السطح ويشمل سقف الغرف الموجود في الطابق الأرضي كما أن نرى الفناء الداخلي للبيت من الأعلى.

بالمقابل نجد غرفة صغيرة تطل على الشارع بشرفة، كما نجد مطبخ صغير، وتخصص عادة الأبناء الذين يتزوجون والذي يستقر عادة في الطابق العلوي (المخطط رقم **08**، انظر اللوحة رقم **25**).

أما عن القصور ،فلا يذكر في ندرومة سوى "قصر السلطان" الموحدي،ويعود تاريخ بنائه إلى عهد الدولة الموحدية سنة **1160**م ،بامر من أمير المؤمنين "عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي".ويقع بالجهة الجنوبية من المدينة القديمة وهم عبارة عن آثار وأطلال ومصنف كآثار وطني منذ **18** سبتمبر **1912**م ويتطلب الترميم والتنقيب (أنظر اللوحات رقم **26**، **27**، **28**، **29**).

ب- **السوق:**

كان السوق منذ القديم عصب الحياة في المدينة ،فقد لعب دورا كبيرا في حياة الدولة العربية الإسلامية،فهو مركز الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية أحيانا.

وكانت أغلب الأسواق قبل الإسلام موسمية تقوم في ملتقى الأطراف التجارية ويأتي إليها الناس من أماكن مختلفة، كسوق عكاظ .أما في المدن فنجد أسواق أسبوعية تقام في أيام معينة من الأسبوع،فمثلا كان السوق في بغداد يوم الثلاثاء ،وسوق القيروان يعقد يومي الأحد والخميس.

أما أهل البادية فكانت أسواق موسمية ،تقام في أماكن معينة مدة في السنة أو الفصل أو الشهر أو الأسبوع ،لارتباطهم بالإنتاج الزراعي و الحيواني. أما الجماعات الحضرية فتغلب عليها الأسواق الثابتة، لأن في كل مدينة أسواقها، تباع فيها مصنوعاتها وغلاتها.

وتقوم الأسواق حيث التجمعات السكانية ،إذ يخصص السكان مكانا يجتمعون فيه للتبادل التجاري، وإن اشتهار بعض النواحي بسلعة معينة أو بعبارة أخرى وجود فائض في الإنتاج يستدعي إقامة سوق لتصريف تلك السلعة، فيقصدها الناس من قريب أو بعيد ممن له اهتمام أو حاجة إلى تلك السلع.[1]

كان وضع الأسواق قرب المسجد فيكون المسجد في وسط السوق كما هو الحال في البصرة والكوفة،

وإن وضع الأسواق قرب الجامع ناتج عن كونه مركز التجمع في المدينة، ملتقى طرقها الرئيسية، وإن أسواقها الفرعية تكون عادة قريبة من أحد المساجد.

وقد عرف العالم الإسلامي ثلاثة أشكال رئيسية من المبادلات التجارية:

- **الأسواق التجارية الأسبوعية الريفية:** ونجدها في مناطق غيرحضرية متوسطة الكثافة السكانية، والسمة العامة لتلك الأسواق هي أن المشترين والبائعين يقطنون على مسيرة نصف يوم على الأكثر، ويشكل البائعون حلقة يطلق عليها "دور" ويهدف كل من هذه الأسواق حسب يوم الأسبوع والمكان الذين تنصب فيهما.[2]

---

1 -ر.ب، سرجنست المدينة الإسلامية، تعريب أحمد محمد ثعلب ص 115

2 - المرجع نفسه ص 114

- **أسواق المواسم** :لم تـــكن كبيرة الهمية قط ،وظهرت بعد إختفاء أسواق العرب قبل الإسلام .

- **أسواق الخضر**: وكانت أهميتها كبيرة علي الإطلاق ولا تاثير على الناحية الإجتماعية والإقتصادية.[1]

إلى جانب ما تشمل عليه المدينة ككل من مراكز التبادل التجاري،هناك مراكز خاصـــة أخرى، فكل حي في الواقع به مركز صغير يختص بإعادة التوزيع داخله ،ويعرف مركز النشـــاط الاقتصاد هذا ب "السويقة" وهي سوق بدائية صغيرة يشتري سكان الحي منها ما يحتاجون إليـــه عموما من سلع وأشياء ،وتقوم بذلك البنايات نتيجة أنماط التبادل السارية في المدينة وتباثها الدائم في المكان.[2]

وأقيمت الأسواق والقيساريات في المدن قبل عهد الإسلام والقيساريات، مفردها قيسرية، مشتقة من كلمة قيساريون الرومانية وتسمى السوق الإمبراطورية أوسوق قيصر، بمعنى أنها للقيصر وللحكومة ثم صارت الكلمة اسما علما على المنشئات المماثلة في العهد الإسلامي لأنها بدأ بناؤها في عهده ولها مجموعة من الحوانيت والمصانع ومخازن ومساكن يقيم فيها الصانع والتجار بأجر.

ولم يكن في السوق بناء في البدء وهذا لا يدل على عدم تصميم معين بالنسبة لأهل الحرف، لم يكن في السوق بناء، وفي بداية القرن الثاني الهجري ،بنيت الأسواق وجعل للحوانيت سوق معقودة ،ثم تطور السوق نتيجة الوضاع الإقتصادية ولكن يبدو أن الصناع والباعة تجمعوا بعدئذ كل في موضع وأصبح لكل حرف سوق أو مجموعة حوانيت ضمن إطار السوق الكبير[3].

إن الأسواق كونها تشتمل على حاجات الناس ،فمنها الضروري وهي القوات من الحنطة وما في معناها كالباقلاء والبصل والثوم وأشباهه،ومنها الحاجي الكمالي مثل الأدم والفواكه والملابس والمراكـــب وســـائر المصانع والمباني، فإذا استدجر المصر وكثر سكانه ،رخصت أسعار

---

[1]- رب، سرجنت المرجع السابق ص110

[2]-ذ.أنيس-مجلة العربي -العدد 220-ص25

[3] -ابن خلدون-المقدمة- ص200

الضروري من القوت وغلت لأسعار الكمالي من الأدم والفولك وما اتبعها ،وإذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الأمر بالعكس.

• كما ظهرت الأسواق المتخصصة ،حيث أنه منذ القديم سادت بين الجماعات الحرفية و المهنية العربية الإسلامية نزعة إلى التجمع في أسواق معينة ،فقد تجمع أصحاب كالحرفة أو المهنة في سوق واحد ،ومن المحتمل أن يكون هذا التجمع قديما ،حيث عرفت السواق المتخصصة في مكة قبل الإسلام ،كما نجد في صدر الإسلام تخصصا في أسواق المدينة ،وبعد الفتوحات الإسلامية أصبحت السوق عنصرا مهما في تخطيط أية مدينة إسلامية ،وتجمع أصحاب الحرف في أسواق متخصصة، فالقصابون لهم سوقهم ،كما اجتمع الطحانون في سوق واحدة وكذلك الذباغون.

أما عن مدينة ندرومة فهي كسائر المدن العربية الإسلامية في المغرب الإسلامي ويثبت موقعها الجغرافي الذي يربط بين مجموعة من البوادي والأرياف المحيطة بها ،فقد شكلت نقطة التقاء اقتصادي وتجاري في حقب تاريخية سابقة ،بحيث كانت أكبر سوق تجاري في منطقة "الثرارة" ،إضافة إلى قربها الجغرافي من ميناء الغزوات من جهة أخرى.[1]

وقد كانت تقام سوق للمواشي كل يوم أربعاء وخميس ،وكانت من أهم السواق الخاصة خلال الحقبة الاستعمارية، بحيث كانت تدخلها أكثر من **350** رأس ماشية، **80** رأس من الأبقار، **50** رأس من الحمير ،**60** رأس من البغال والأحصنة، خاصة البغال ،والباقي يمثل الأغنام والماعز، وذلك كل أسبوع ،وأغلبها كانت تأتي من منطقة "المسيردة" وكذلك من منطقة تلمسان[2].

ويقع سوق ندرومة في الجهة الشمالية للمدينة،ويظهر من خلاله أن شيد عند مدخل المدينة، لأن باب المدينة الشمالي"باب المدينة يؤدي مباشرة إليه ،وقد شيدت حوله حاليا عدة بنايات جديدة وأصبح حاليا سوقا للخضر والفواكه، وذلك طيلة أيام الأسبوع أما السوق الأسبوعية فتقام على أطرافه وذلك كل يوم خميس، حيث يأتيه التجار والمتسوقون من الدوائر والبلديات المجاورة للمدينة.

1Marie- Anne Prennant Thumelin.OP-cit .p 46
2Marie- Anne Prennant Thumelin.OP-cit P 47

أما السوق المغطاة والتي لازالت قائمة ،فتأخذ شكلا مستطيلا بنيت على أطرافها دكاكين،أما وسطها فمقسم إلى عدة صفوف على شكل طاولات تعرض عليها، سلع الحضاريين، وتمثل **05** صفوف أما أبعادها فهي **50م/110م**. وقد كان يجاور السوق ما كان يعرف بـــ"الفندق" وهو ما يعرف حاليا بالمرأب، حيث كانت تربط به دواب السوقين،كما توضع أمتعتهم ،إضافة إلى بعض الغرف الخاصة بالنـــزلاء،وقد حول هذا المبنى إلى مركز تجاري (أنظر المخطط رقم **11**).

ج- **الحمّام:**

يعود تاريخ الحمامات إلى الحضارات القديمة ،وتعد الحضارة الرومانية ميزة هذا النوع المعماري ،بحيث ازدهرت خلالها الحمامات ،وتفنن الصناع في تزيينها وزخرفتها ،خاصة وأن أغلب أباطرتها كانوا يقيمون حمامات داخل قصورهم.

وتتكون الحمامات عادة من ثلاثة أقسام ،قسم أول ل مدخلين واحد داخلي وآخر خارجي، ثم القسم الذي تعد فيه أقبية الماء البارد ويعرف بالقاعة الباردة .أما القسم الثالث فهو القاعة الساخنة التي تعد خصيصا للحفاظ على حرارة المياه ،بحيث تستخدم فيه مواد بناء خاصة لحفظ الحرارة كالصخور الملساء أو الحجارة الرخامية.

وتعد الحمامات من مرافق الحياة الحضرية ومن محاسنها ومما هو معروف ومشاهد ،حرص سكان الأرياف على غشيان الحمامات عند وجودهم بالمدينة لفرط حبهم لها والاستمتاع بالاغتسال فيها بالماء الحار.وتلعب الحمامات دورا اجتماعيا ودينيا بالغ الأهمية ،علاوة على المتعة التي توفرها لكافة الناس.[1]

أول ما يلفت نظر الزائر واجهة الحمام المزينة بالمداليك المتناوبة باللونين الأسود والأصفر ويفضي إلى داخل الحمام مدخل صغير يليه ممر يؤدي إلى القسم البراني وهو واسع يتألف من أربع إيوانات معقودة وفي كل إيوان مصطبة وفجوات قوسية لوضع الملابس ويتوسط زوايا مثلثية كروية وقطعت القبة من الأعلى لتشكل منفذا للنور (منور) مثمن الشكل إلى جانب ثمانية نوافير مستطيلة أخرى وقد زينت القبة بزخارف نباتية مدهونة باللون الأحمر والأزرق وفي الجهة الشرقية من القسم البراني مدخل يؤدي بواسطة ممر منكسر إلى القسمين الأوسط

---

1 - د .عطا الله دهينة –تاريخ الجزائر- الجزء3- 4- ص364

والداخلي (الدافئ والساخن) وكل قسم مؤلف من قاعات رئيسية تحيط بكل منها أربعة إيوانات بها غرف صغيرة وفي كل منها جرن حجري ويعلو القسم الرئيسي في كل منها قبة فيها منافذ دائرية الشكل مغطاة بقطع الزجاج الملون (القمريات) ومنها فتحات لتصاعد البخار وأرضية القسم الداخلي (الساخن) مبلطة بأحجار صغيرة متناوبة باللونين الأسود والأصفر بأساليب هندسية متداخلة بديعة التناسق كما يضم الحمام غرف مستودع للمياه وموقدا للتسخين[1].

- وقد مر الحمام بمراحل كثيرة غير مسجلة حتى استقر على وضعه الحالي والمتوارث منذ بضعة قرون سواء من حيث الشكل وهندسة البناء ومواده، أو من حيث الهدف والتقاليد التي ارتبطت به. ولا يستبعد بأن الحمام كفكرة يمنية قد استفاد من الحمام الطبيعي الذي يهبط إليه بسلم، فجرى إنشاء كل الحمامات تحت مستوى الأرض ولا يظهر منها إلا السقف المبني على شكل قباب بعدد غرفه (التي تسمى خزائن) لها فتحات صغيرة يتسرب منها الضوء عبر قمريات استبدلت بالزجاج في العصر الحديث، وبهذا يحافظ الحمام المبني أساسه بالحجر الأسود ثم بالحبش الأسود، وعلى حرارته التي يكتسبها من فرن كبير يبنى تحته في المؤخرة حيث يعلو الفرن الدست من النحاس مبني عليه بالآجر يفضي إلى خزانة (المغطس) الذي يكون مصدرا للمياه الساخنة لكل خزائن الحمام، وإلى جواره حوض عميق آخر للمياه الباردة، كما ينزل إلى الحمام من مدخله عير سلم حجري مريح يفضي بعد عبور ممر له إلى ردهة الحمام حيث الاستقبال وغرفة الملابس (المخلع) وبركة (الشذروان).

ويتم من خلف الحمام النزول إلى الفرن عبر درجات تؤدي إلى غرفة مستطيلة تسمى (المللة) هي مخزن الوقود الذي كان إلى عهد قريب في معظمه من الفضلات البشرية التي يتم تجميعها من أسفل مخرجات حمامات منازل المدينة القديمة ويتم نشرها حتى تيبس في ساحة مكشوفة منخفضة قريبة من (المللة) تسمى (المضحى) قبل إحراقها في الفرن.

أما بقية خزائن (غرف) الحمام وفي رأسها (الصدر) الذي يتوسط خزانتين احداهما (الغطس) فتكتسب حرارتها من تسرب لهب الفرن تحتها عبر فوهات خاصة تمتد إلى تحت الأرضية والجدران المصلولة بالحبش وتصاعد دفئها من مخارج محكمة لقربهمن مصدر النيران

---

1 د. أحمد سلمي. جريدة الرياض 15 نوفمبر 2003 العدد 12565.

وهو المكان الأول – بعد التطهر في خزانة المغطس – الذي يقصده المتحممون للعرق والاستفادة من جوه الحار، وذلك قبل الخروج إلى الخزائن الأخرى المعتدلة الحرارة لتلقي خدمات الحمام على يد الحمامي، أو أحد مهرته من الأساطية الذين يقومون بالتدليك بالكيس والتليف بالصابون حيث يتحلق المتحممون حول أحواض حجرية صغيرة تزود بالمياه من أنابيب ممتدة من المغطس وحوض المياه البارد الذي بجواره، وقد تستخدم الدلاء لنقل المياه في الغالب، خاصة عند الاغتسال النهائي الذي يتم في خزانة المغطس قبل الخروج إلى (المخلع) حيث تترك الملابس بعهدة الحمامي الذي يقوم بواجب الخدمة ومنها تكييس من يحتاج إلى مثل ذلك نظير مقابل لا علاقة له بأجرة الحمام التي كانت تخضع لتقنين رسمي.

وقد تصاعدت أجرة الحمام وغيرها من خدماته عبر السنين لكنها كانت دائما متناسبة مع دخل العامة من الناس وذلك باعتبار الحمام مؤسسة موقوفة للخير العام يرعاها وقف خاص وإدارة يتبعها، وهو ما جعل الحمام مستمرا لأداء مهمته والإنفاق على الصيانة والتجديد، في حين يكون دخله –مقابل الخدمات– للحمامي وأسرته والعاملين معه، الذين يتوارثون العمل والمهنة جيلا بعد آخر.

وكان يعمل في الحمام رجل يدعى "المتقيل" أو "الحمامي"، وآخر هو "المدلك" وثالث وهو "الزبال" ومهمته الإشراف على نظافة الحمام، كما يعمل فيه "الوقاد" وهو المشرف على توقيد الحطاب والحفاظ على النار مشتعلة وآخر يدعى "السقاء" وهو الذي يشرف على تزويد الزبائن بالماء البارد أو الساخن وكان التزيين والتطبيب يستدعى وجود حلاق أو مزين، ويقابله في حمام النساء "الماشطة" التي يقوم بتصفيف الشعر وصبغه ووضع الكحل في العينين وتصقيل الوجه. وكان في الحمام "الحارس" أو "الناطور" ويتولى حراسة ملابس وأمتعة المستحمين، ويبدو أن عدد هؤلاء كان كبيرا في الحمام الواحد، فقد يلغوا في حمام القاهرة سبعين عاملا[1].

ولا يكتمل بحث في الطب الإسلامي دون كلمة عن الحمام الذي يلعب دورا هاما في الصحة العامة في المجتمع الإسلامي

---

1 جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م) ديوان المطبوعات الجامعية ص 122

لقد كان الحمام معروفا لدى الإغريق والرومان قبل العرب ولكنه كان قاصرا على الطبقة الغنية وللترفيه والتسلية فحسب. ولكن المسلمين طوروا استعمال الحمام من حيث الهدف والتكوين فأدخلوا شبكات المياه في مواسير الرصاص أو الزنك إلى البيوت والحمامات والمساجد... وقد أورد كتاب "صناعات العرب" رسما وخرائط لشبكات المياه في بعض العواصم الإسلامية ومعروف أن الكيميائيين العرب قد اخترعوا الصابون، وصنعوا منه الملون والمعطر، وكان في كل حمام مدلك مختص... وآخر للعناية باليدين... والقدمين وبه حلاق للشعر كما يلحق به مطعم شعبي. وقد قدر عدد الحمامات في بغداد وحدها في القرن الثالث الهجري (955م) حوالي عشرة آلاف حمام وفي مدن الأندلس أضعاف هذا العدد... ويذكر الدكتور "ستانووذكب" أنه في عام 1556م أصدر فيليب الثاني في إسبانيا تشريعا صارما يمنع المسلمين من ممارسة شعائر دينهم والحديث بلغتهم العربية... وأمر بتدمير الحمامات العامة التي كانت تزخر بها المدن الإسبانية بسبب وفرة موارد المياه المندفعة من الجبال ومنذ ذلك الوقت كان تردد أي شخص على الحمام واهتمامه بالنظافة[1] مدعاة لاتهامه بأنه دين الإسلام وأنه يخفي حقيقة أمره... ويقدم إلى محكمة التفتيش.

وهكذا كان لتعاليم الإسلام التي تحث على الطهارة والنظافة الفضل في تطور فكرة الحمام بحيث أصبح أحد واجبات الخدمة العامة في الدولة مثله مثل المسجد والمدرسة والمستشفى والمكتبة.

✗ ويعتبر الحمام البالي بمدينة ندرومة، من أقدم الحمامات على مستوى الجزائر، ويعود تاريخ بناءه إلى عهد الدولة المرابطية ما بين (1095-1147م) ويقع في وسط المدينة القديمة، بحي التربيعة وراء الجامع المرابطي الكبير، وهو مصنف كآثار وطني منذ سنة 1912 وقد أعيد ترميمه سنة 2003، ليفتح أبوابه من جديد أمام أهالي المدينة، ولا يزال يحافظ على ميزاته، التي عرفت بها الحمامات العربية الإسلامية في أغلب المدن العربية الإسلامية الذي يظهر من خلال مخططه المعماري. (أنظر المخطط رقم 12).

الوصف المعماري للحمام البالي:

1 جريدة الرياض. 15 نوفمبر 2003. العدد 12565. د. أحمد سلمي ص 25

المدخل: ما يميز المدخل هو الباب الخشبية، أما الهيكل فهو مقوس ويبلغ ارتفاع الباب حوالي مترين كما أنه ينحدر نحو الأسفل عبر درجات يقدر عددها ب عشرة (أنظر اللوحة رقم 30)

قاعة الاستقبال: هي القاعة التي تلي مباشرة المدخل.وهي قاعة الاستقبال كذلك .ما يميزها العمودان اللذان يتوسطان طولهما متر واحد و ثمانين سنتمتر **1.80**م وتنتهي بعقدين اثنين (أنظر اللوحة رقم **31**).

قاعة الاستراحة: وهـــي قاعـــة صغيرة مقابلة للقاعة الباردة أبعادها مترين ونصف/خمسة أطراف ونصف **2.5**م/**5.5**م.وتستخدم عادة للاستراحة بعد الانتهاء من الاستحمام وتكون مرفقة ببعض الكراسي أو حتى بعض الأرائك يتمدد عليها الزبائن (أنظر اللوحة رقم **33**).

القاعة الباردة: تلي قاعة الاستقبال بباب صغيرة.وتعرف كذلك ب **Fregedarium** .وتستخدم كذلك في تغيير الملابس وهي مربعة الشكل .أما أبعادها فهي كالتالي تسعة أمتار /تسعة 9م/9. تتوسطها أربعة أعمدة طولها متر و ثمانين سنتمتر **1,80**م.وتنتهي كل عمود بعقد .أما السقف فتغطيه قبة مثقبة تسمح بمرور الضوء وبالتالي إضاءة القاعة وعددها ثمانية.كما نجد ثمانية /**08** أقواس حائطية. والقاعة محاطة بمقاعد صخرية للجلوس .كما تتوسطها مساحة صغيرة عند أسفل القبة مبلطة وهي أكثر إضاءة بسبب الضوء الذي يكون عموديا عليها وتستخدم للتزيين أو الحلاقة (أنظر اللوحة رقم **33**).

قاعة الساخنة: هي قاعة مستطيلة الشكل أبعادها كالتالي أربعة أمتار –تسعة أمتار **4**م/**9**م.وهي محاطة بمقاعد صخرية للجلوس .تربطها بالقاعة الباردة باب صغيرة أما الأرضية فمبلطة بصخور نارية (أنظر اللوحة رقم **35**).

على اليسار نجد قاعة الأزواج. وهي قاعة صغيرة تستغل خلال المناسبات التي يستحم فيها العرسان قبيل الزفاف.أما أبعادها فهي مترين/أربعة أمتار **2**م/**4**م. مدخلها مقوس بها كذلك أماكن الجلوس (أنظر اللوحة رقم **34**).

أما عند زاويتي القاعة الساخنة فنجد جابيتين و الجابية هي الخزان أو الصهريج الذي يملأ بالماء البارد والساخن .ففي الزاوية اليمنى نجد جابية الماء البارد التي تأخذ الشكل المربع حتى

بالنسبة للبوابة المربعة التي تشرف عليها .وسعة الجابية أكثر من ألف لتر **1000**ل. وتمر عبر أنبوب يتصل بقاعة التسخين(أنظر اللوحة رقم **36**).

أما الجابية الساخنة فتقع في الزاوية اليسرى للقاعة الساخنة فهي كذلك خزان مربع الشكل. لكن البوابة المطلة عليه مقوسة. ولعل هذا الاختلاف هو تمييز لهما (أنظر اللوحة رقم **35**).

ويغطي القاعة الساخنة سقف مخروطي الشكل أبعاده نفس أبعاد القاعة وقطره حوالي متر واحد **1**م.كما أنه مثقب بمجموعة من المنافذ الزجاجية الدائرية الشكل التي تسمح بمرور الضوء خلال النهار.

قاعة التسخين: لها مدخل خاص بها وهي مخصصة للقائمين على الحمام وهي قاعة مستطيلة الشكل أبعادها كالتالي ستة أمتار /اثنا عشر متر. **6**م/**12**م. وهي أقل فخامة من القاعات السالفة الذكر. بها خزان كبير للماء البارد عند اليسار. أما في الوسط فنجد خزانا مائيا من الحديد ارتفاعه على الأرض حوالي **1,5**م. ترفعه دعائم صخرية. وأسفله مباشرة نجد الفرن الذي يعمل حاليا بالمازوت، ولكن لا زال جناح خاص بتخزين الحطاب الذي كان مصدر الوقود للحمام.

2- العمارة العسكرية

إن أغلب مدن المغرب الإسلامي كانت مميزة أسوارها وتحصيناتها، خاصة بعد سقوطها الدولة الموحدية وانقسامه إلى دويلات صغيرة متناحرة فيما بينها، ضف إلى سقوط الأندلس بعد عام **1492**م، وبداية التحرشات الصليبية على بلاد المغرب الإسلامي، وقد استدعى ذلك تشييد الأسوار والحصون وبناء القلاع، خاصة حول المدن الكبرى والعواصم مثل ما هو الشأن بالنسبة لمدينة تلمسان، خلال العهد الزياني.

بالنسبة لمدينة ندرومة، فإن موقعها الإستراتيجي الهام جعلها في منأى عن كل الأخطاء التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي، فمن جهة الخطر الصليبي، فإنها شيدت في ظهر مدينة الغزوات الساحلية التي تعرضت للغزو الأسباني. أما عن الجانب البري، فالمدينة لها حصون طبيعية، فموقعها في حصن سلسلة جبلية يصعب المالك نحوها، أما من الجهة الشرقية والغربية فيقطعها ويدان، لهما انحدار شديد، يشكلان حاجز طبيعيا يمنع التوغل إليها أما من الجنوب فإن

الانحدار الشديد يجعل الداخل إلى المدينة يتريث بحكم المراقبة المحكمة التي توفرها طبيعة التضاريس، أما من الناحية الجنوبية فهناك نقطة الضعف، لأن القادم من هذا الجانب يستطيع أن يطل على المدينة كاملة، الذي تظهر في الأسفل، ولذلك تك تشييد يعد الأبواب للمراقبة ضف إلى ذلك التحصينات التي تجدها والذي تظهر من خلال أثار أسوار القصبة.

ولعل المخطط المعماري العسكري في بلاد المغرب العربي كان متجانس ومتناسق، بحيث شيدت أغلب العمائر العسكرية والتحصينات بعد سقوط الدولة الموحدية، أين بدأ التناحر بين الدويلات الجديدة، ضف إلى ذلك بداية التحرشات الصليبية الأسبانية والبرتغالية على شمال المغرب الإسلامي خاصة بعد سقوط غرناطة عام **1492**م، آخر قلاع المسلمين في بلاد الأندلس.

وقد شهد تاريخ الجزائر خلال العصر الإسلامي الوسيط أحداثا سياسية وعسكرية هامة، بحيث كانت أرض الجزائر مسرحا للصراعات العسكرية، سواء بين القبائل، أو ظهور منافسين جدد للدويلات التي ظهرت فالدولة المرابطية، قضت عليها الدولة الموحدية، وهذه الأخيرة عرفت نفس المصير على يد بني عبد الواد والحفصين وغيرهم.

ومع سقوط الأندلس في يد الأسبان وتوالي هجرات سكان الأندلس نحو شمال المغرب الإسلامي، بدأت ملامح الخطر المسيحي تظهر، لتهدد الدويلات الإسلامية في المنطقة وهذا مع مطلع القرن **15**م.

وأصبح لزاما على السكان وضع نظام دفاعي يحميهم من الهجومات المسيحية التي كانت تستهدف المناطق الساحلية، فيدعوا في تحديث أسوارهم وتشييد الأبراج والحصون حول المدن الرئيسية.

بالنسبة لندرومة يرجع بناء الأسوار والحصون حول المدينة إلى العهد الموحدي، حيث أمر عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين سنة **540**هـ/**1143**م، ببناء أسوار مدينة تاقرا، مسقط رأسه وكذلك حصن المدينة[1].

أ- أسوار القصبـــة:

1 مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر، ج2، ط1، ص33

لم يبق من مدينة ندرومة سوى أطلال أسوار القصبة التي كانت تحيط بالمدينة القديمة، وقد شيدت خلال العهد الموحدي وهي ما يبقى اليوم شاهدا على تاريخ عرفته المنطقة طيلة العصر الوسيط من صراعات سياسية وعسكرية تلت سقوط دولة الموحدين.

وقد شيدت هذه الأسوار بنفس الطريقة التي كانت تبنى وتحصن بها أغلب مدن المغرب الإسلامي، فهي مبنية بالطين المدكوك (**Pize**)، الذي كان يستخدم عادة في هذا النوع من البناء بسبب وفرته وكذا مقاومته للعوامل المناخية كالحرارة والأمطار، وأغلب بقايا أسرار مدينة ندرومة موجودة بالجزء الشمالي وكذا الجزء الجنوبي، لأن الجزأين الشرقي والغربي يشرفان على وادي الدمين ومنطقة الرملية وهما مسلكان صعبان، يصعب على أي شخص الولوج إلى المدينة عبرهما (أنظر اللوحتين رقم **37**،**38**).

فالجزء الشمالي الذي يطل على باب المدينة لم تبقى به أي آثار، سوى سور من الإسمنت المسلح والحجر الصلب يرجع تاريخ بناءه إلى العهد الاستعماري ويشكل الحد النهائي للمدينة القديمة، ويبلغ طوله حوالي **200**متر في حين يبلغ عرضه حوالي **01**متر. ويشرف على السوق التي لازالت قائمة(أنظر اللوحة رقم **41**).

أما الجزء الجنوبي فلازالت بقايا وأطلال الأسوار ظاهرة رغم أن بعض البناءات الجديدة قد التهمت قسما كبيرا منها. إذ بإمكان أي زائر للمدينة العنيفة خاصة بضواحي حي بني زيد أن يلاحظ بقايا الأسوار التي تتوسط المنازل والدروب الضيقة، وهي بقايا لا يتجاوز طولها **02**متر وعرضها **1,5**متر.

وما يمكن ملاحظته هو أن هذه الأسوار كانت داخلية أي أنها كانت تحمي داخل المدينة في حين الأسوار العالية تمثل السور الخارجي، يفصلها مسافة معينة، قد يكون خندق أو سرداب، ما عدا ممر صغير عادة كان يتصل بالباب الجنوبية التي تؤدي إلى داخل المدينة.

وقد شيدت هذه التحصينات بالقرب من قصر السلطان الذي شيده الخليفة وأمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي، لا لتكون ندرومة عاصمة للدولة الموحدية ولكن تخليدا للمنطقة التي ولد فيها وكذلك لكي يكون مقرا للاستراحة خلال حركة الأمير وجيوشه.

لعل البناء الوحيد الذي يميز مدينة ندرومة هو المأذنة النيانية للجامع الكبير التي تتوسط حي بني زيد، لكن الزائر للمدينة والذي يسلك المدخل الجنوبي يمكن أن يلاحظ بناءا عاليا

الخاتمـــــة:

هناك علاقة وطيدة بين فن العمارة والتاريخ، وبعبارة أخرى يمكن أن نستقي دروس الماضي، ليس اعتمادا على نصوص المؤرخين المكتوبة أو المطبوعة، ولكن اعتمادا على النصوص البصرية المتمثلة في الأشكال المعمارية الشاخصة عبر الزمان.

لقد عززت الكهوف القديمة التي يسكنها الإنسان الحجري الشعور الأساسي بأن البناء هو عملية تكوين وإقامة فضاء محدد لحماية الإنسان والمحافظة على أنشطة الأولية من بيئة قاسية ومتقلبة.

ولكننا إذا قفزنا قرونا طويلة نحو الحضارات الكلاسيكية القديمة تلاحظ ما طرأ من تطورات، خاصة في السهول الساحلية للجزيرة العربية وعلى ضفاف الأنهار العظيمة (الرافدين، النيل)، إذ شهدت هذه البقاع إقامة أولى الدويلات، ثم ما ارتأت حتى تكونت الإمبراطورية وتمكن الإنسان من تجميع الثروات وإقامة الحكومات والقوانين بأشكالها الأولي، وبعدما تمكن من تطوير الأدوات من قطع واستخدام الصخور والطين المشوي والكتابة، طفت على السطح أنواع أخرى من البنايات التي لم تكتف بإشباع الحاجات الأولية والغريزية للإنسان والجماعة. بل تعدتها نحو حاجيات إضافية، اجتماعية روحية وعسكرية، هنا ظهرت لدينا الحصون والبنايات وغيرها من المباني التي تجسد الدولة كما تجسد الإنسان.

فهل يمكن لنا اليوم أن تسترجع بعد كرونولوجيا هذا التطور المعماري، لنتعرف على الأنماط المعيشية لأسلافنا ولنعوض في الفكر والثقافة التي ميز تاريخنا القديم. إننا إذا ما درسنا أحد الثوابت المعمارية، كالأهرامات، استقر عنا جبروت الملوك متجسدا في هول الكتلة المعمارية وفي ضخامة حجم الصرح وارتفاعها الذي أريد له أن يكون المرقد الأخير للفرعون.

لكن من خلال هذا البحث المتواضع، يمكن الإدراك أن الإنسان بطريقة أو بأخرى يمحو بصمات الماضي من خلال إهمال هذه المعالم المعمارية، أو السطو على بعض الأماكن التي كان يجب حمايتها من التوسع الفضيع للإسمنت والبناء الفوضوي ولعل العمارة المدنية تشكل إرثا حضاريا وتاريخيا كما تمثل دلالة اجتماعية وثقافية لما تمثله من حضارة وتقدم للشعوب والأمم السابقة و لم تحض بدراسة مستوفية كما حظيت به العمارة الدينية. ولكن اغلبها يتعرض لإهمال وهو آيل للزوال لأن أغلب المهتمين بالتراث العمراني لا ينظرون في غالب الأحيان سوى

للآثار الدينية أو بعض القصور التي ظلت صامدة أما الظروف الطبيعية وأمام عبث الإنسان، في حين تبقى بعض البيوت القديمة أو الحمامات أو الأسواق في ذاكرة النسيان أمام تقدم عجلة الحضارة الحديثة التي لا تجد لها مكانا في قاموسها والتي عوضت خاناتها بطرز عمرانية جديدة غلب عليها الاسمنت المسلّح وبعض الوسائل الحديثة التي أخذت مكانا.

وتبقى مدينة ندرومة نموذجا مصغرا لما يحدث للتراث العمراني في المنطقة، رغم أن التاريخ احتفظ لنا ببعض الآثار التي لازالت شاهدة على فترة تاريخية من التاريخ الإسلامي.

فهل يمكننا اليوم أن نقرأ ما تبقى من هذه النصوص المعمارية على نحو يخدم العمارة العربية الإسلامية ؟ كما يطرح السؤال التالي هل هناك تواصل حضاري عمراني آم أن الحاضر يمح الماضي؟

البيبليوغرافيا

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر

- الجار الصالح و المركب الهنيء و المسكن الواسع مسند الإمام أحمد.
- سنن الترميذي – مؤسسة التاريخ العربي — بدون طبعة
- سنن بن ماجة — دار إحياء التراث — بدون طبعة
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري — مؤسسة التاريخ العربي — دار التراث بدون طبعة
- الإدريسي : المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق، مفقه محمد حاج صادق. ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر 1983.
- أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب (وهو جزء من المسالك والممالك)، نشبه دوسلان بنصه العربي والفرنسي 1965، Librairie, A Maisonneuve,
- البكري (أبو عبيد) : المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب نشر .maison d'œuvre Paris 1965 .
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، القاهرة، مصر، 1803م.
- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر تور، أبسلا، 1848.
- ابن جرير الطبري تاريخ الأمم والملوك ج2 – عن السنة السابعة عشر هجرية.
- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ح.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان 1980.
- أبو نصر الشيزري نهاية الرتبة في طلب الحسبة بيروت 1969.
- الحسن بن محمد الوزان : وصف إفريقيا -ترجمة عن الفرنسية. محمد حجي ومحمد الأخضر. دار المغرب الإسلامي .ط 1 بيروت 1983.
- رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة القاهرة.

- السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق وتعليق الأستاذان جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب**Paris1954.**
- عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، مج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان **1983.**
- عبد الرحمان بن خلدون،المقدمة،تحقيق: درويش الجويدي،المكتبة العصرية، صيدا، بيروت الطبعة الثانية.
- يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، منشورات المكتبة الوطنية الجزائر، **1980.**

قائمة المراجع العربية:

- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د. ت).
- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان **1981.**
- اندري ريمون المدن الكبرى في العهد العثماني سندباد باريس **1985.**
- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م) ديوان المطبوعات الجامعية.
- جوميت مورينو، الفن الإسلامي في، سبانيا، ترجمة عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة.
- دكتور : جمال حمدان - المدينة العربية - معهد الدراسات العربية العالمية **1964.**
- رشيد بورويبة، تاريخ الجزائر السياسي في عهد الفاطميين، تعريب محمد بلقراد في الجزائر في التاريخ، ج3، عصر الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، **1984.**

- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، **1977**.
- رب، سرجنست المدينة الإسلامية، تعريب أحمد محمد ثعلب.
- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ مغرب العربي، ج**2**.
- سعيد محمد رعد : العمران في مقدمة ابن خلدون- الطبعة الأولى.
- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، العصر الإسلامي، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج**2**، الدار التونسية للنشر، تونس، **1978**.
- فتحي دردار، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية (**1832-1847**)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر **2001**.
- كربخال مرمول، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي وآخرون،دار نشر المعرفة،الرباط،**1989**.
- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، **1987**.
- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر **1984**.
- د. محمود وصفي محمد : دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، دار الثقافة لطباعة والنشر، القاهرة **1980**.
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب، الجزائر **1965**.
- صالح الهزلول المدينة العربية الإسلامية دار السهن الرياض **1996**.
- هشام جعيط مدينة الكوفة الكويت **1986**.
- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج**2**، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان **1981**.

- يراسيموز ستيفان المنظومة العمرانية العثمانية المعهد الفرنسي للتخطيط جامعة باريس.
- يراسيموز ستيفان. القوانين الحضرية العثمانية ق16-ق19 جامعة باريس 8. غير مطبوع
- د.عجيل النشي-الحركة السنوسية وما بعدها، الطبعة الأولى.
- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، حياته وأرائه، وثورته الفكرية والإجتماعية وأثاره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، **1983** .
- عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، **1971**.
- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، **1980**.
- عبد الحميد حاجيات، خطر النصارى و انهيار الدولة الزيانية — في — الجزائر في التاريخ، العصر الإسلامي، ج3، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر **1984**.
- عبد الحميد حاجيات، السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 8، جانفي **1970**.
- عبد الحميد حاجيات، إحياء الدولة الزيانية — في — الجزائر في تاريخ، العصر الإسلامي، ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1984**.
- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر **1974**.
- عبد الرحمن بن محمد الجلالي، تاريخ الجزائر العام، ط1، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر **1994**.
- عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، المطبعة العربية **1954**.

- عطاء الله دهينة، الغزو المريني لتلمسان – في- الجزائر في التاريخ، ج3، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر **1984**.
- يحيى بوعزير، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر الحديثة، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، **1999**.
- د. عطا الله دهينة، تاريخ الجزائرفي التاريخ،العصر الأسلامي الجزء3.المؤسسة الوطنية للكتاب،**1984**.

الأطروحات، الرسائل، الدوريات و المجلات:

الدوريات :

- مجلة التاريخ، يصدرها معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد22، 1986
- د. أحمد سلمي (الحمامات العربية) جريدة الرياض 15 نوفمبر 2003 العدد 12565
- أنيس العمري، (أسواق العرب قبل الإسلام) مجلة العربي، تصدرها دولة الكويت العدد 220. السنة 1983.
- محمد إبن الرامي (ق14م) الإعلان بأحكام البنيان مجلة الفقه المالكي المغرب سنة 1982.
- زرهوني الطاهر (ندرومة تاريخ وحضارة) مجلة الثقافة العدد 99 م.و.ف.م.الجزائر
- الملتقيات:
- الدكتورة : أنيسة بركات : مدينة ندرومة عبد العصور – محاضرة في الملتقى التاريخي الأول حول تاريخ مدينة ندرومة ونواحيها.
- لعرج عبد العزيز محمود،جامع ندرومة المرابطي، دراسة معمارية، الملتقى الوطني الأول حول تاريخ ندرومة1978.

الأطروحات:

- لعرج عبد العزيز محمود، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، أطروحة جامعية لنيل دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر 1999.

الرسائل:

- الزين محمد، العمارة الدينية في مدينة ندرومة، مخطوط رسالة ماجستير في الفنون الشعبية،قسم الثقافة الشعبية،جامعة تلمسان.2003.
- العربي لقريز، مدارس السلطان أبي الحسن علي، مدرسة سيدس أبي مدين نموذجا دراسة فنية، مخطوط رسالة لنيل الماجستير قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان،2001.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Benachenhou, ***La Dynastie Almoravide et son Art***, Alger 1974.
- R. Bourouiba, ***L'Art Religieux Musulman en Algérie***, Alger S N.E.D.1973.
- D. Grandet : ***Architecture et Urbanisme Islamiques***, OPU juin 86.
- R. Bourouiba, ***L'Architecture Militaire de L'Algerie Medievale***, Alger, O.P.U. 1983.
- MERAD, Boudia, ***A.La formation sociale Algérienne précoloniale***, OPU. Alger. 1981.
- Basset (U) : ***Nédroma et les Traras*** .pub de l'école des lettres d'Alger . Paris 1901.
- Demis Grandet "***architecture et Urbanisme Islamique***.OPU.1992.
- Canal. ***Monographie de l'Arrondissement de Tlemcen***, Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la Provence d'Oran. T.VIII, 1888.
- H. Basset, ***Nédroma et les Traras***, Publication de l'Ecole des Lettres d'Alger Paris 1901.
- GUSTEVE Lebon. ***La civilisation des arabes***. SNED. Alger. 1969.
- Jaque carret ; le ***maraboutisme et les confreries religieuses musulmanes en algerie*** - imprimerie officielle.1959
- Golvin (L):***Essai sur l'architecture religieux musulmans*** T4 Paris 1979.
- Raymond - ***Grandes Villes Arabes à l'époque Othomane***.
- H. Terrasse, L'***Art Hispano-Mauresque des Origines au XII éme Siècle*** Paris, ED G. Van Oest, 1932.
- Marie -Anne Prenant -Thuumelin : Nedroma , Annales Algériennes de Géographique . N° 4 1968. Paris.
- Marie Anne Prenant -Thumelim: NEDROUMA .Anales Algeriennes de Geographi .N°4 Juillet-Decembre 1967. Constantine . P27
- Djillali Sari: les villes précoloniales de l'Algérie occidentale.2 ed sned .Alger 1968.
- Gilbet grand Guillaune : Nedroma évolution d'une médina.

الملاحق

أ- المخططات

ب- اللوحات

المخطوطات

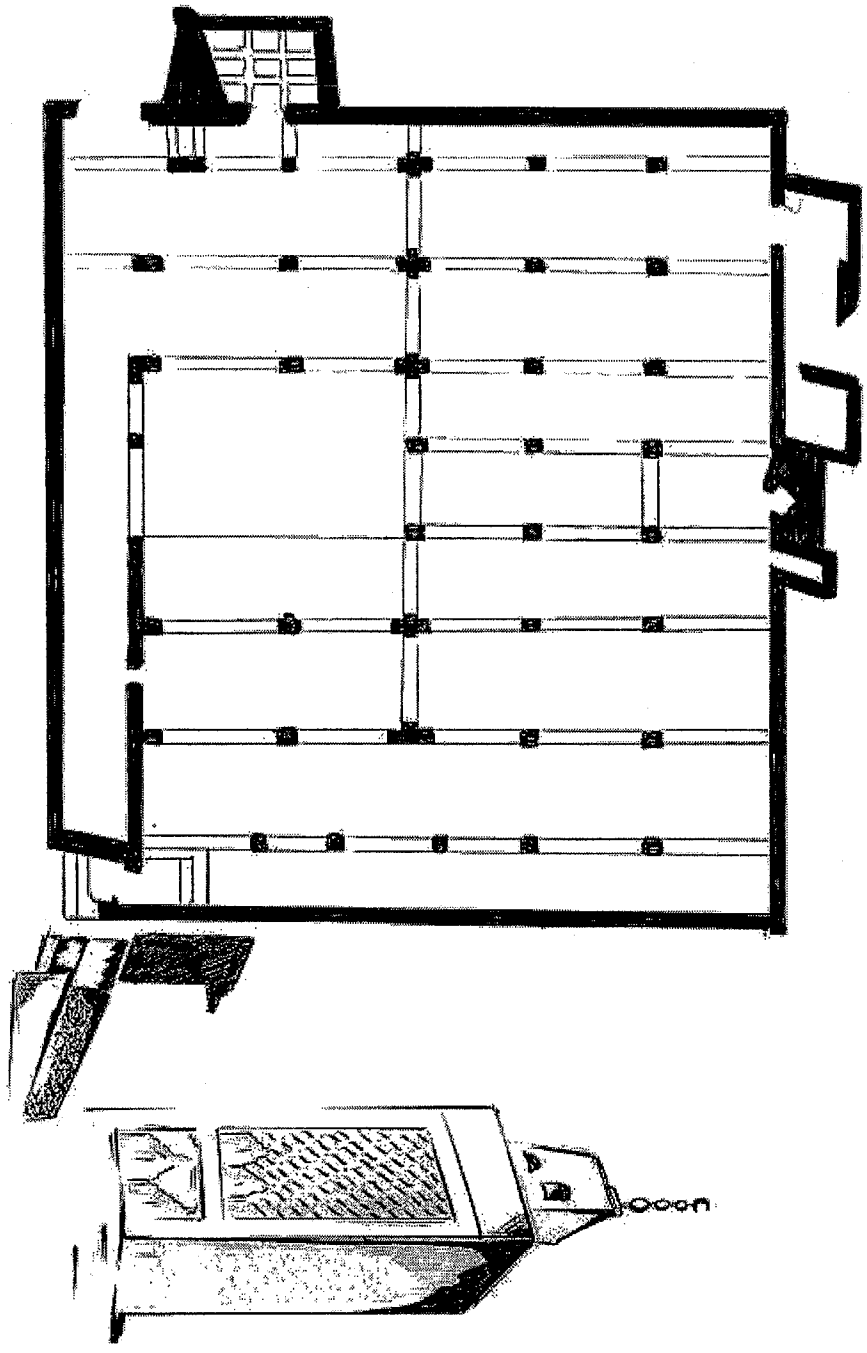

المخطط رقم 01: مخطط الجامع الكبير بندرومة

عن Rachid BOUROUIBA. Apport de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-Islamique OPU P25

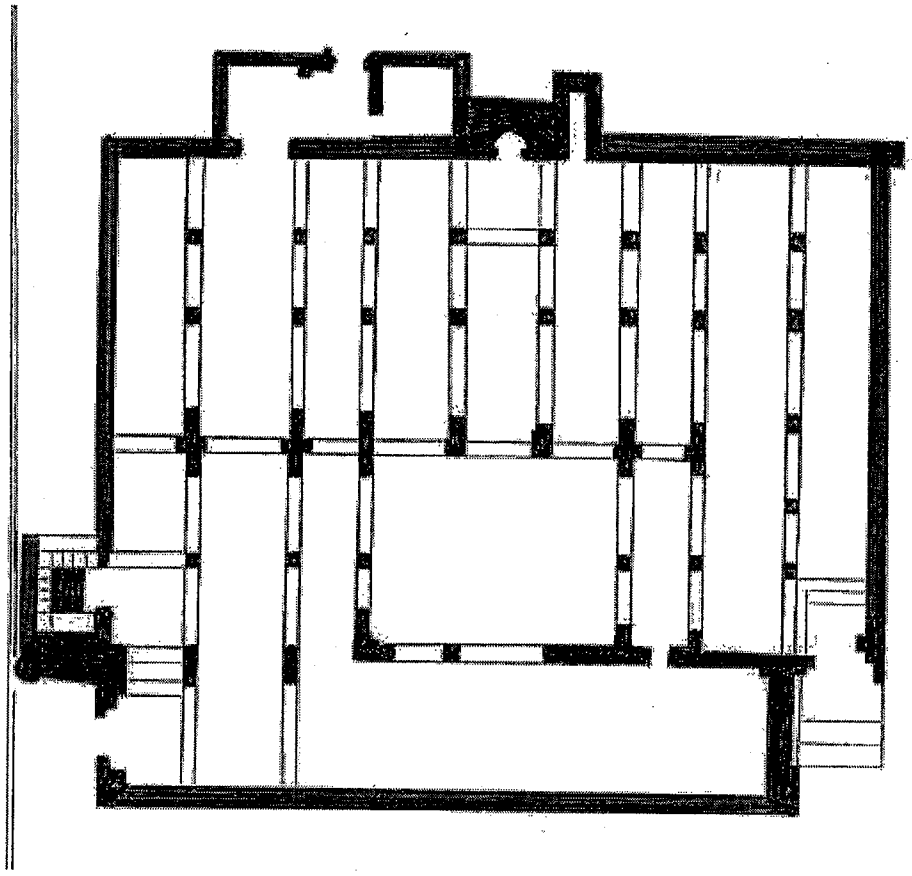

المخطط رقم 02: مخطط أفقي للجامع الكبير بندرومة

عن Rachid BOUROUIBA. Op-cit P

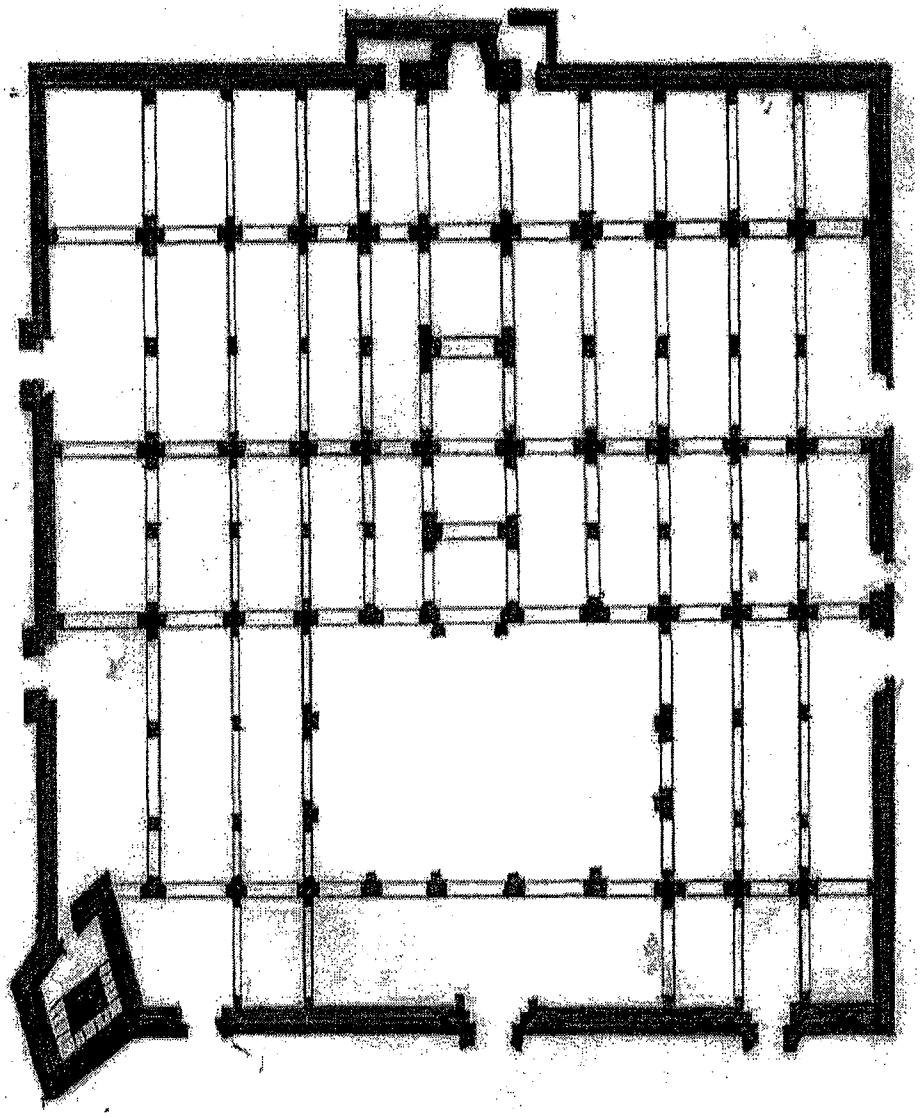

المخطط رقم 03: مسقط أفقي للجامع الكبير بالجزائر العاصمة

عن Rachid BOUROUIBA. Op-cit P27

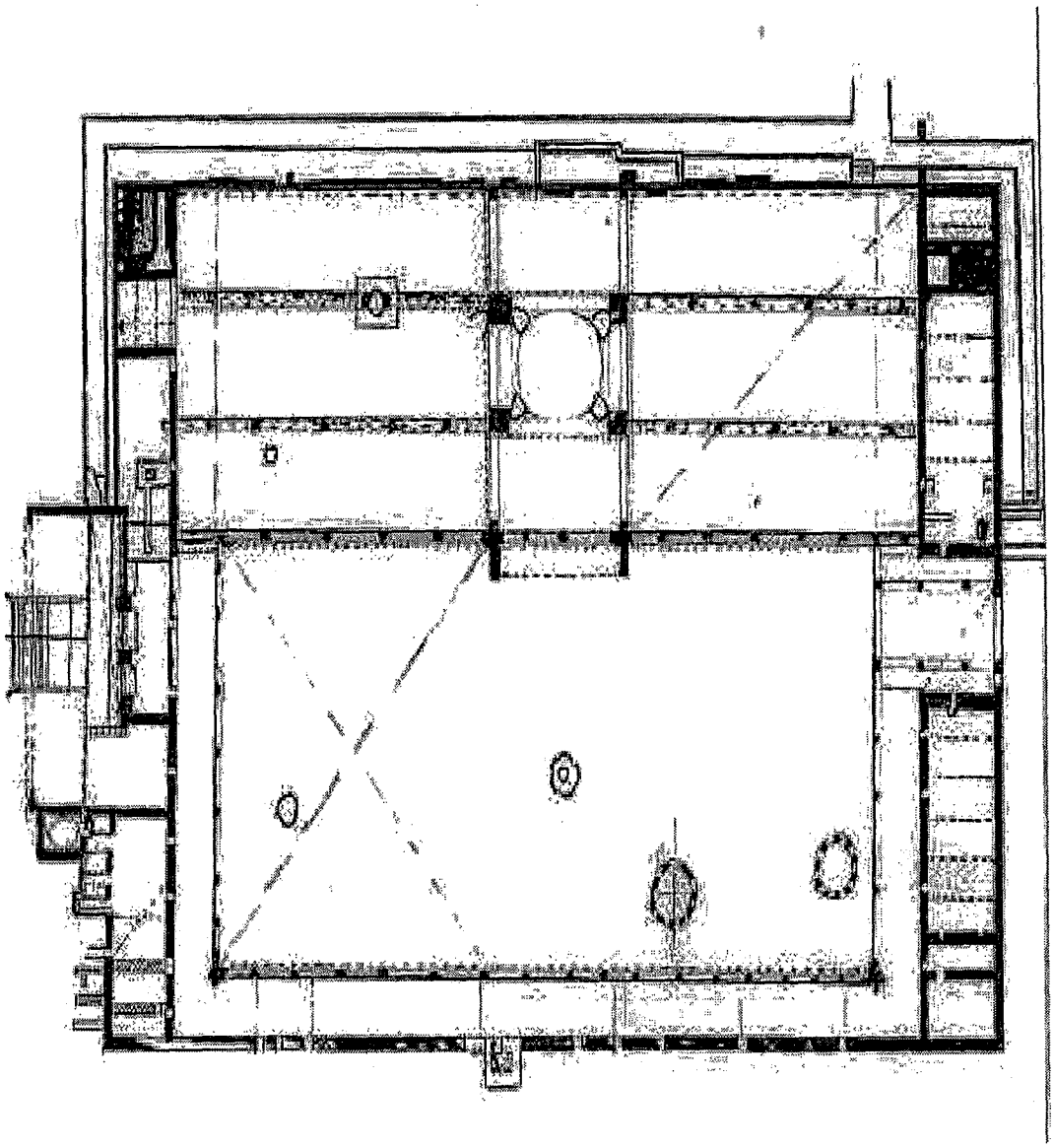

المخطط رقم 04: مسقط أفقي للجامع الأموي بدمشق

عن Rachid BOUROUIBA. Op-cit P28

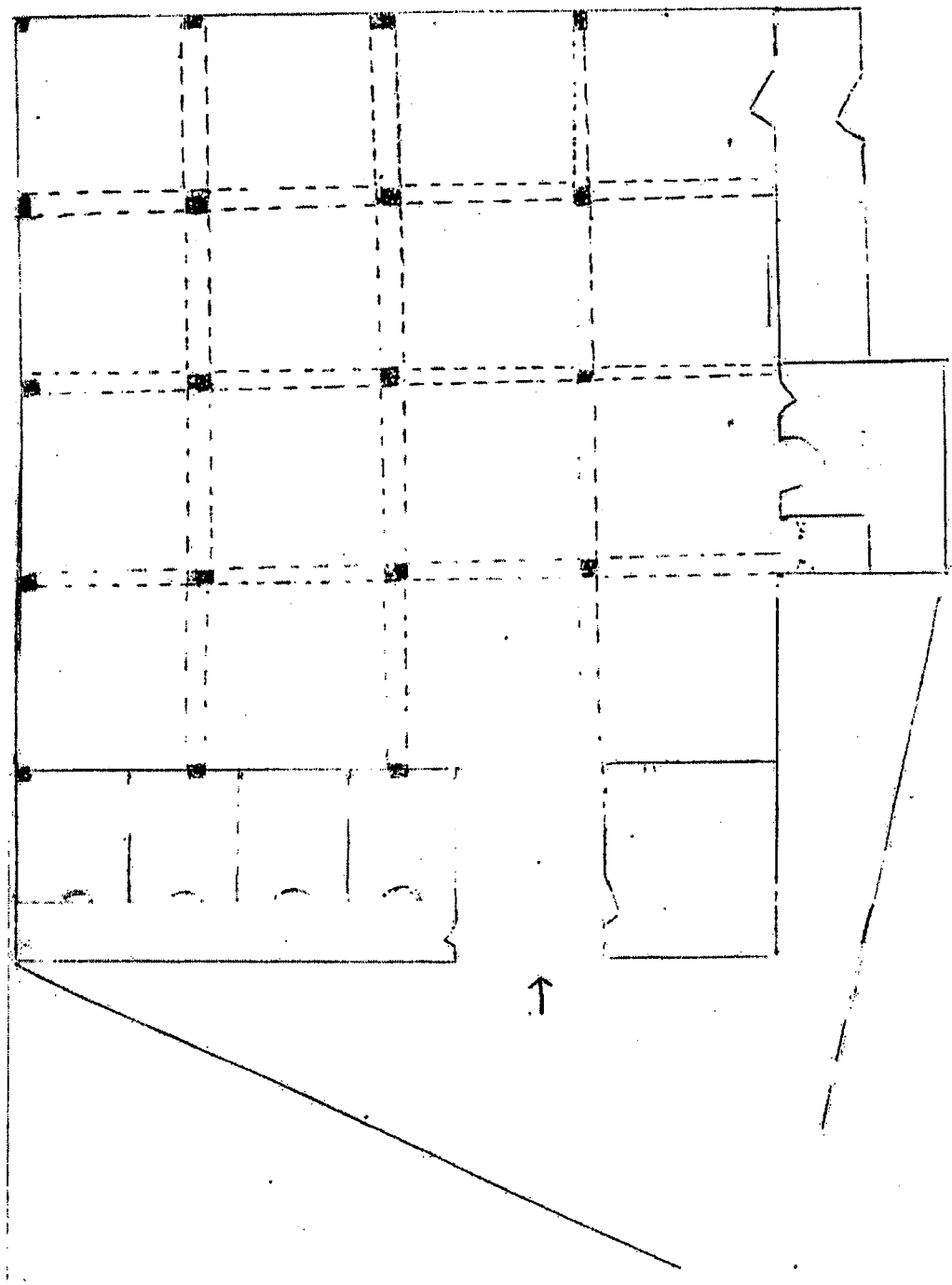

المخطط رقم 05: منظر أفقي لمقر زاوية سيدي بن أعمر – بندرومة

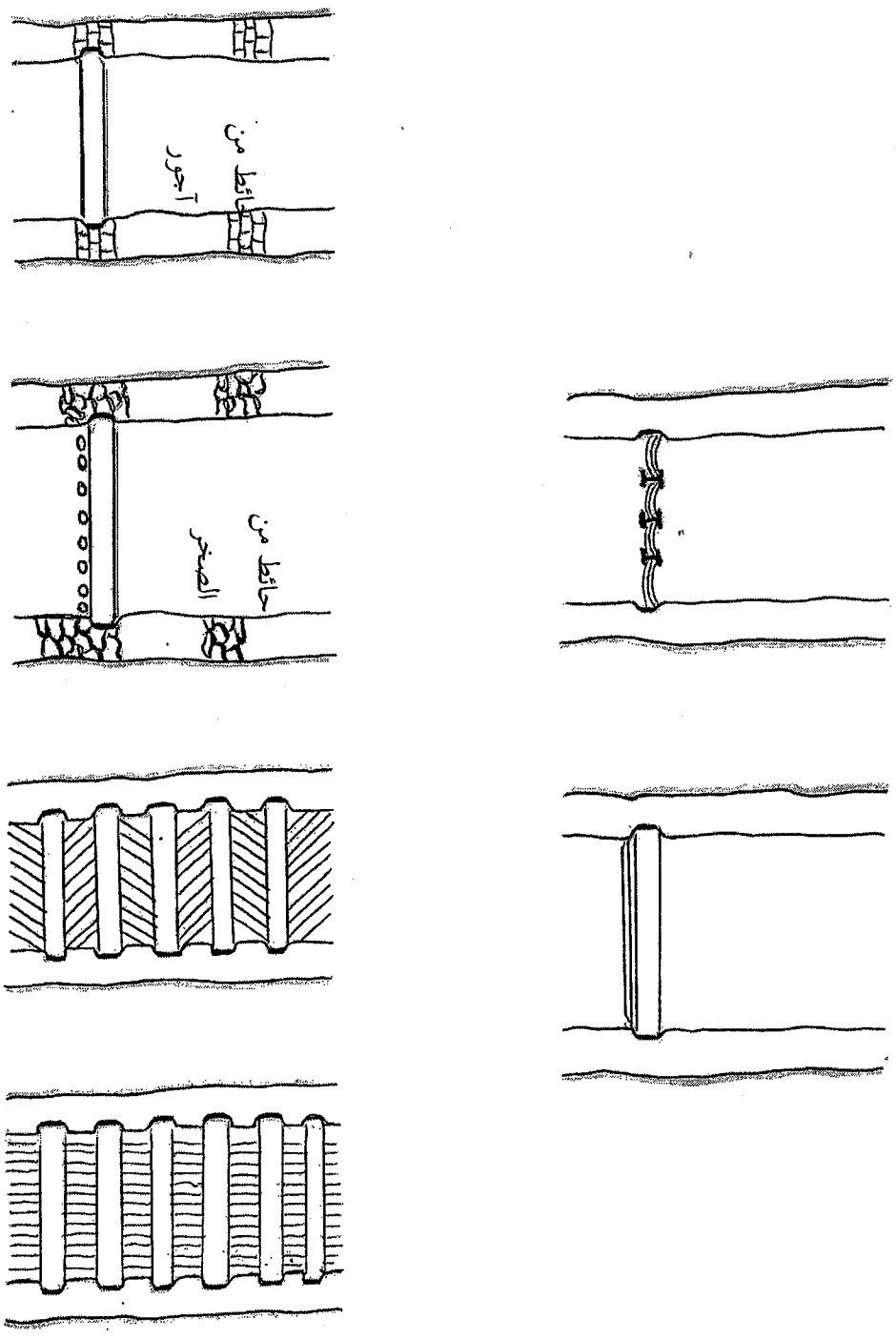

المخطط رقم 06: الطـــــريقة المستخدمة في البناء بمنطقة ندرومة

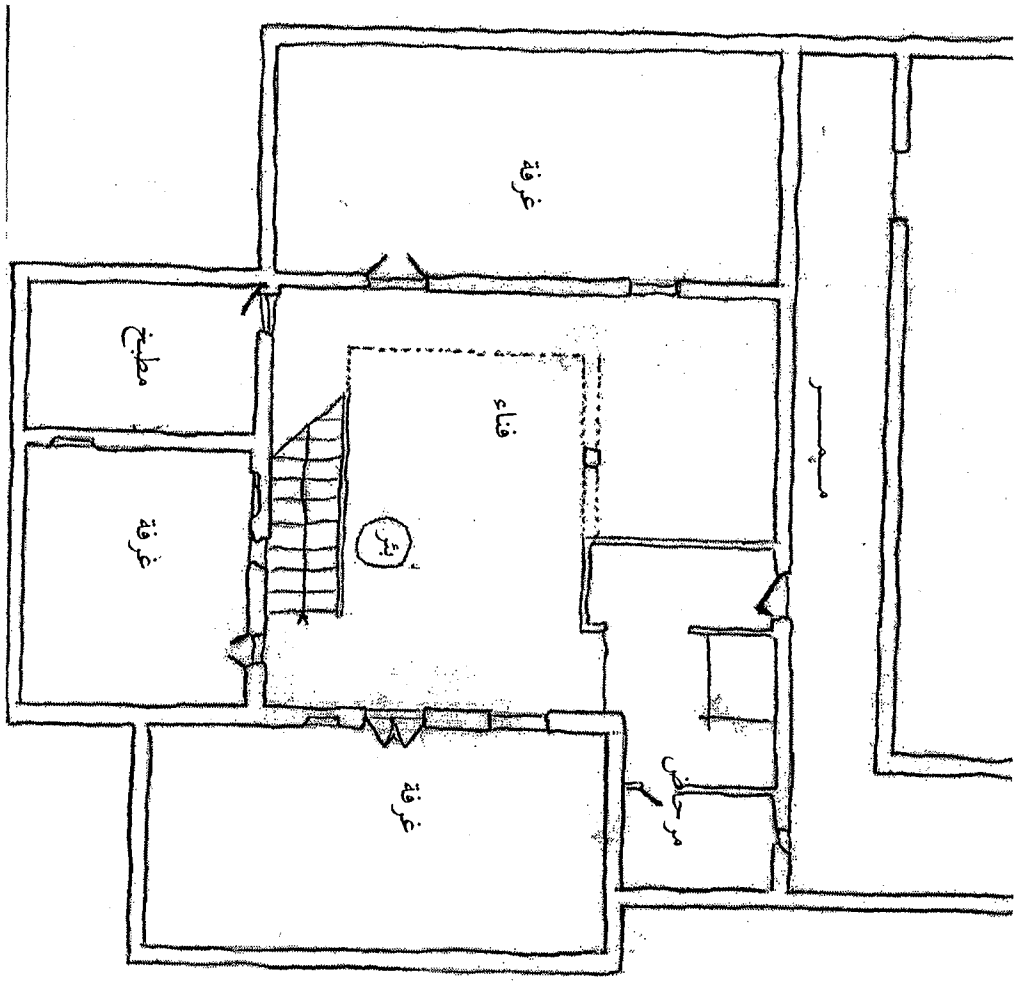

المخطط رقم 07 : مخطط البيت في ندرومة . الطابق الأرضي

Denis Grandet – Architecture et urbanisme Islamique – OPU 1992 P 73

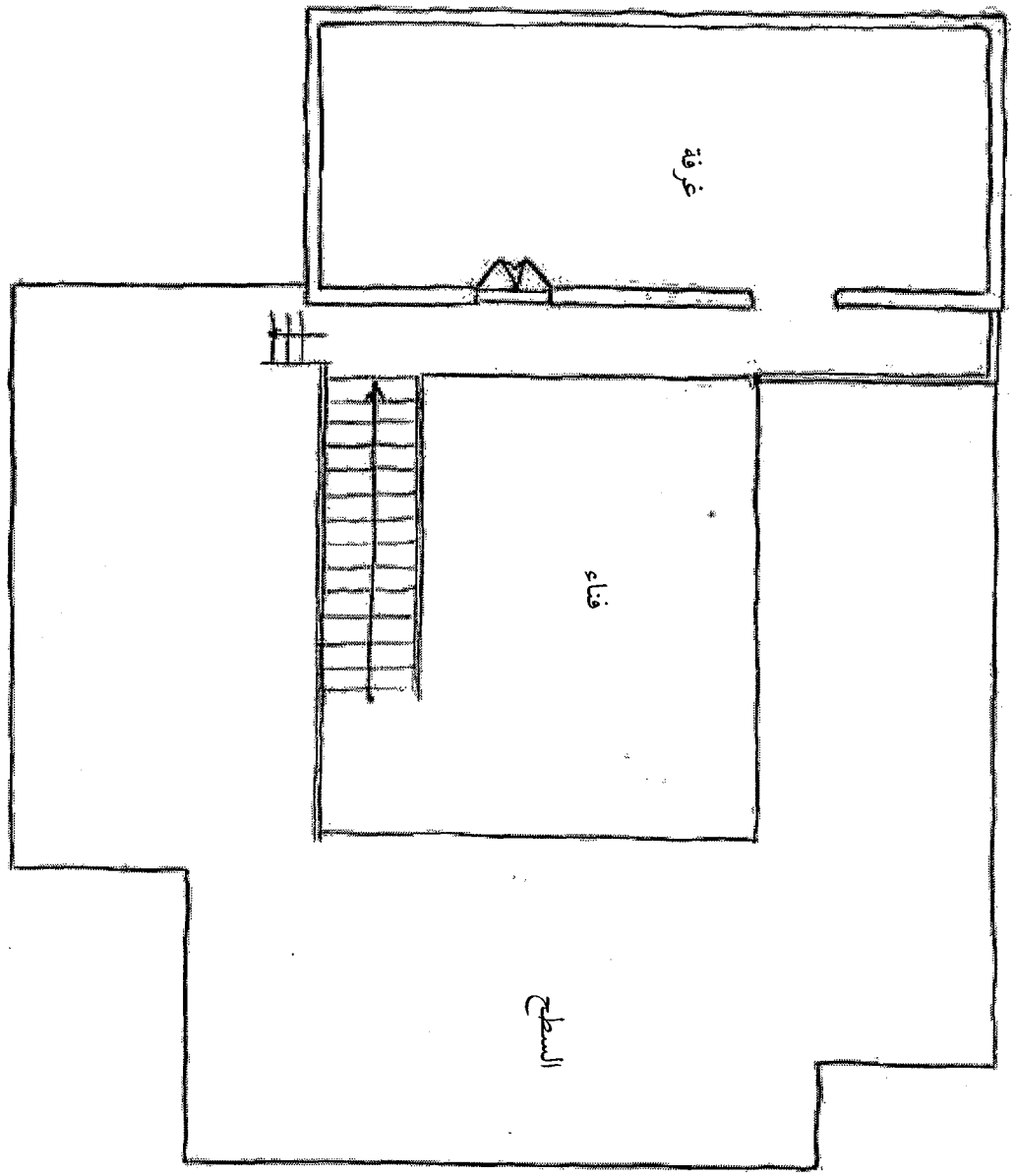

المخطط رقم 08 : مخطط الطابق العلوي لبيت في ندرومة

Denis Grandet – Op-cite P 73

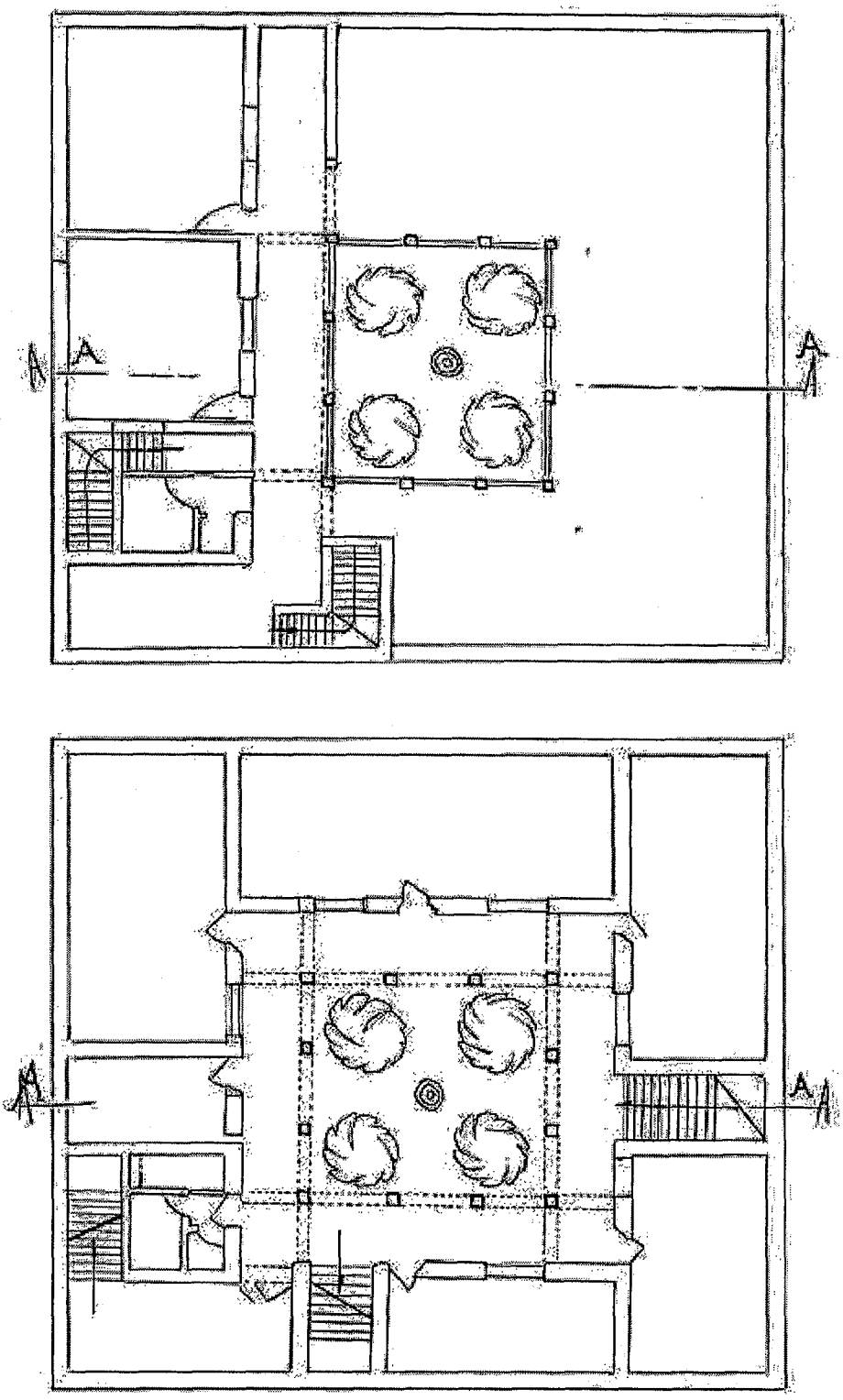

المخطط رقم **09** : منظر أفقي للطابق الأرضي والعلوي لدار القاضي بندرومة

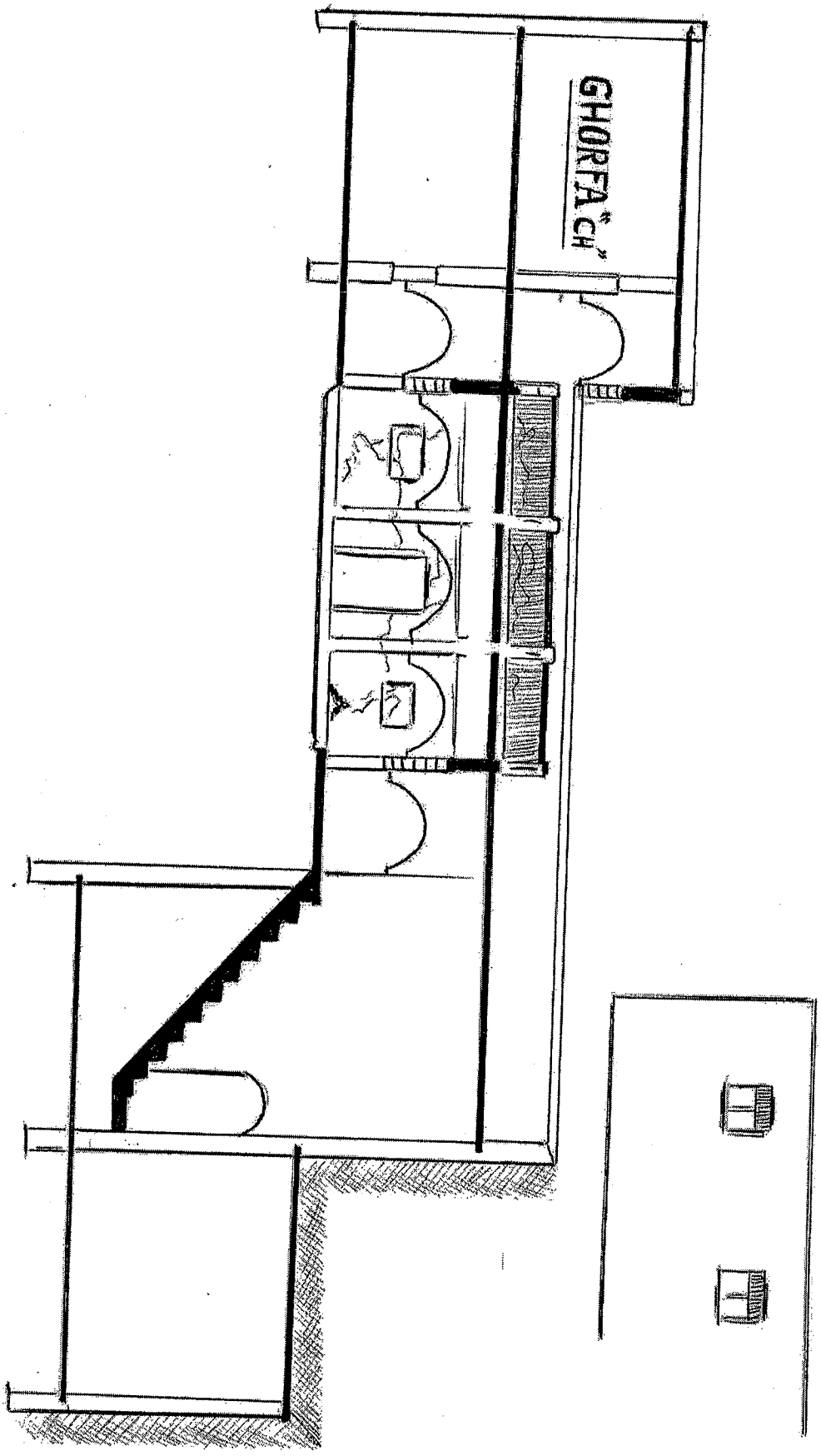

المخطط رقم 10 : مقطع أفقي داخلي للطابق العلوي لدار القاضي بندرومة

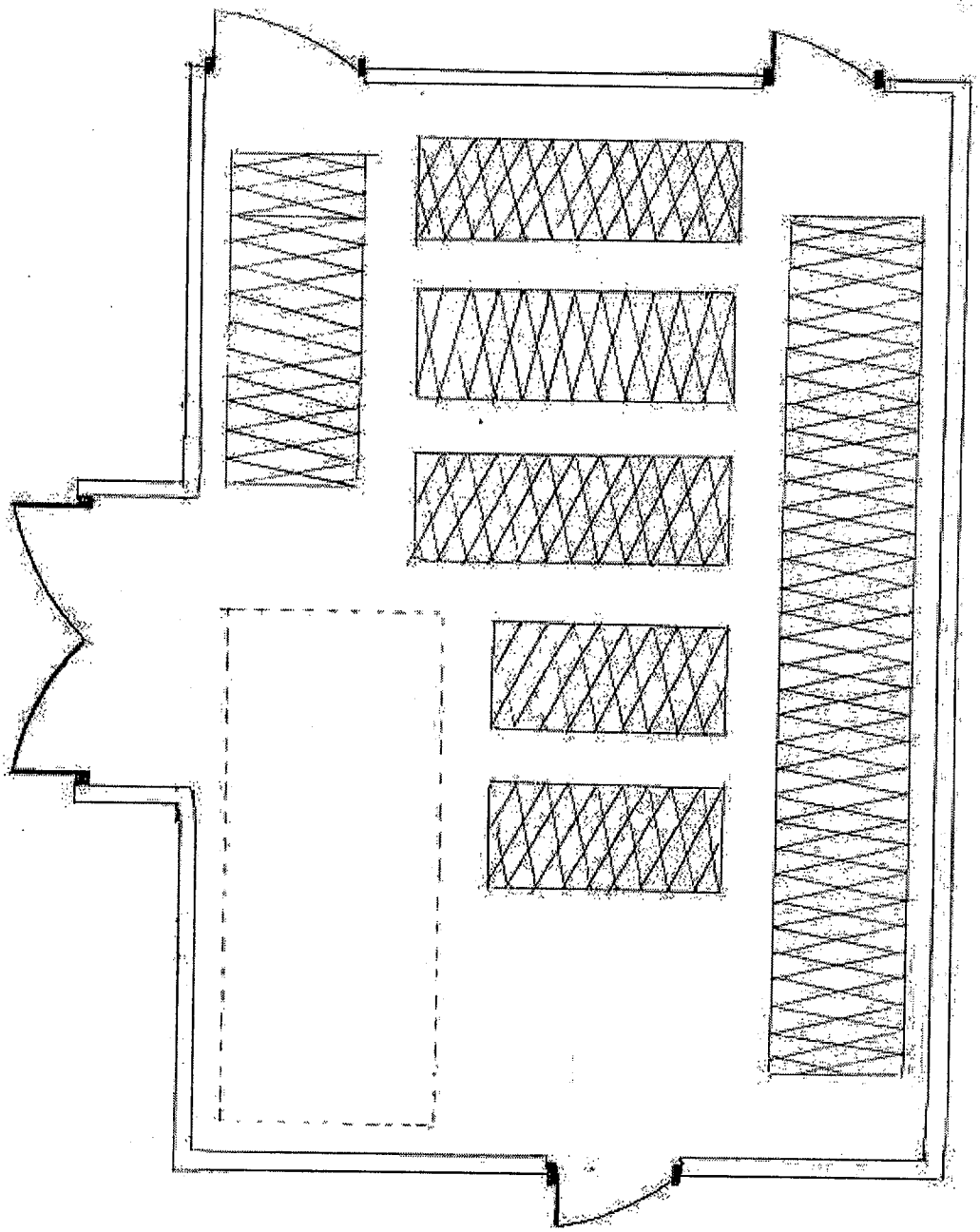

المخطط رقم 11 : مخطط أفقي لســـــــوق مدينة ندرومة

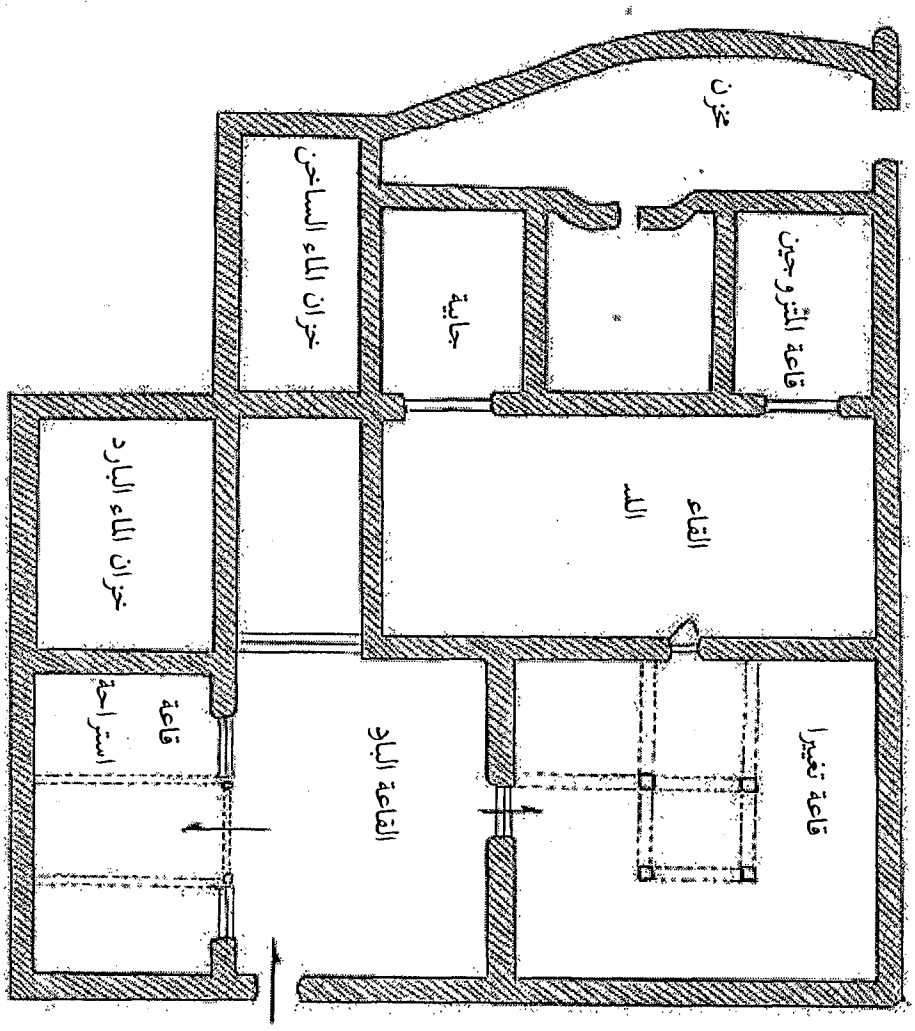

المخطط رقم 12 : مخطط أفقي للحمام البالي بندرومة

اللوحـــــات

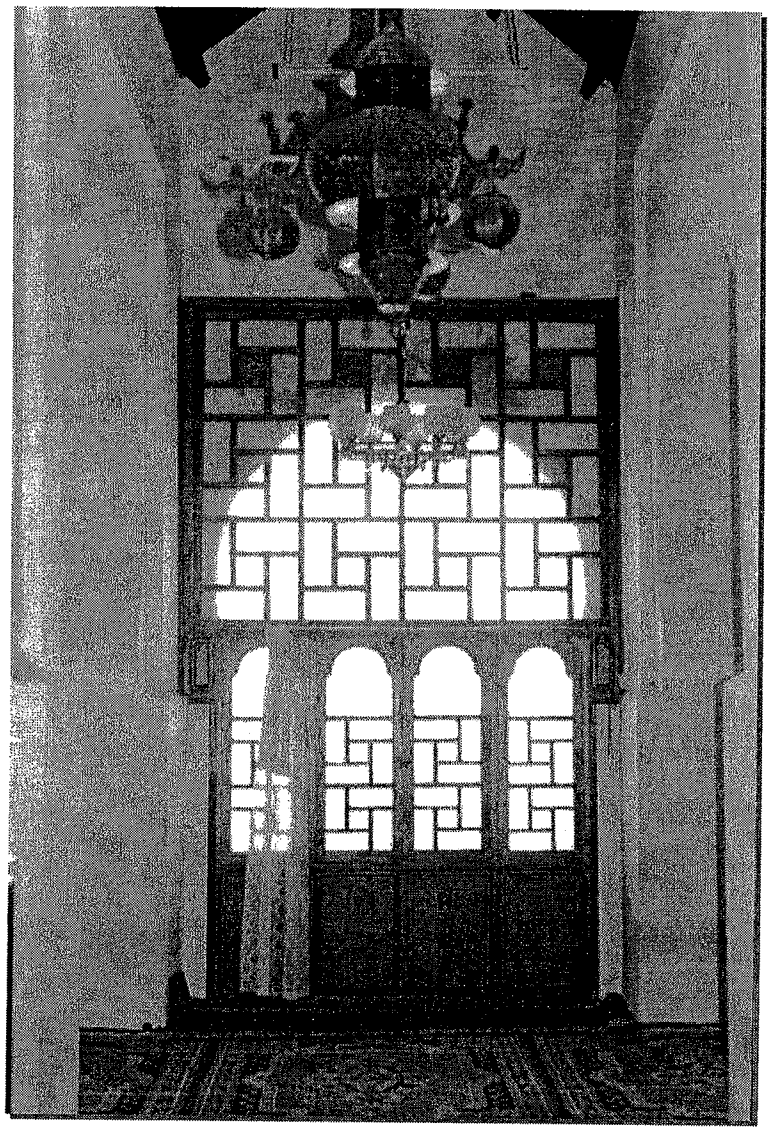

اللوحة رقم 01 : أحد أبواب الجامع المرابطي المطل على الصحن

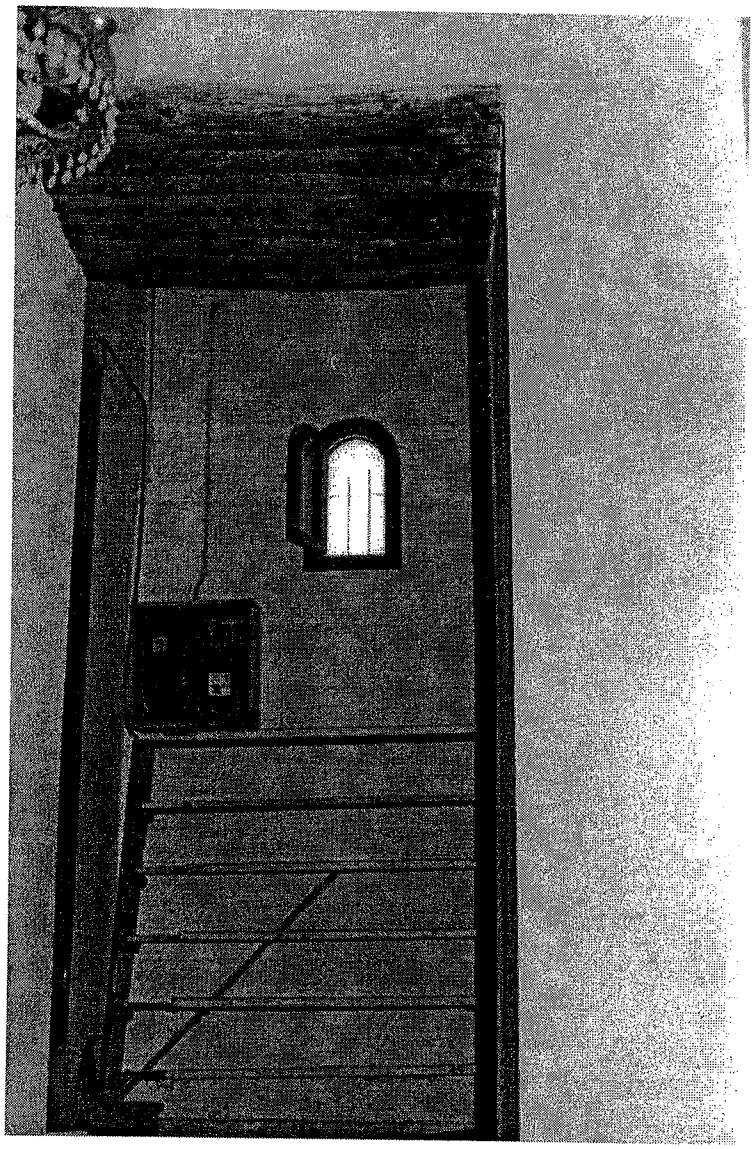

اللوحة رقم 02 : مدخل ثانوي للجامع المرابطي الكبير

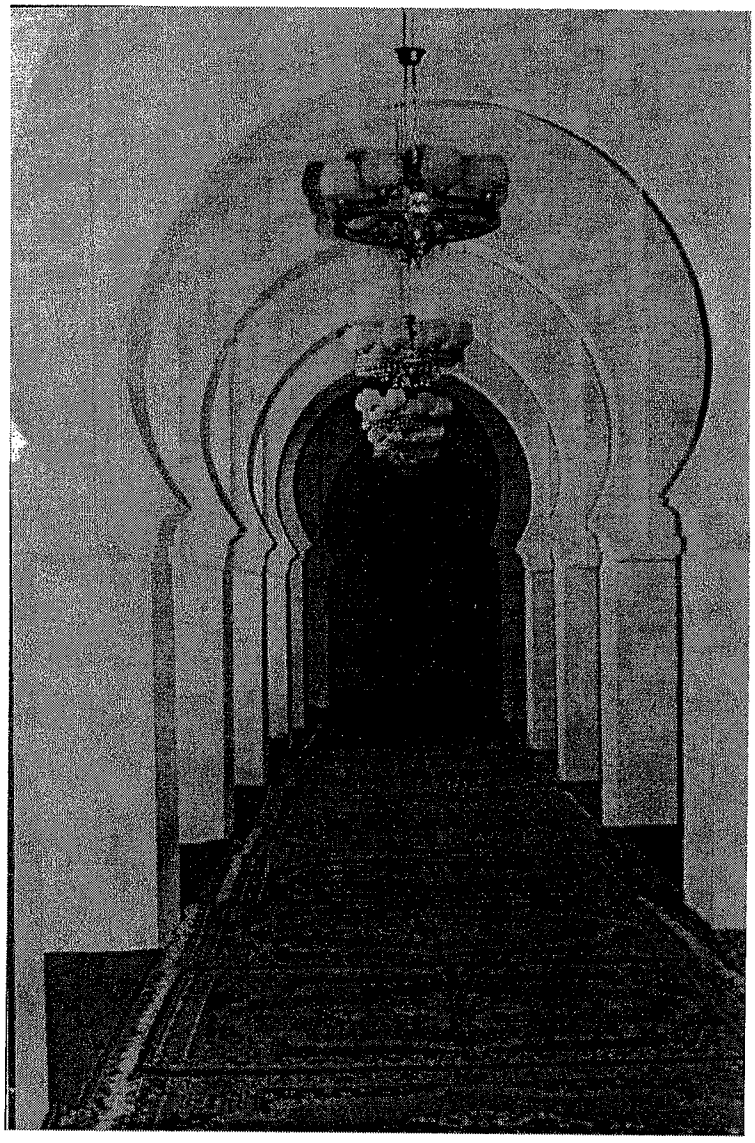

اللوحة رقم 03 : منظر داخلي لأحد الأساكيب داخل بيت الصلاة بالجامع المرابطي الكبير

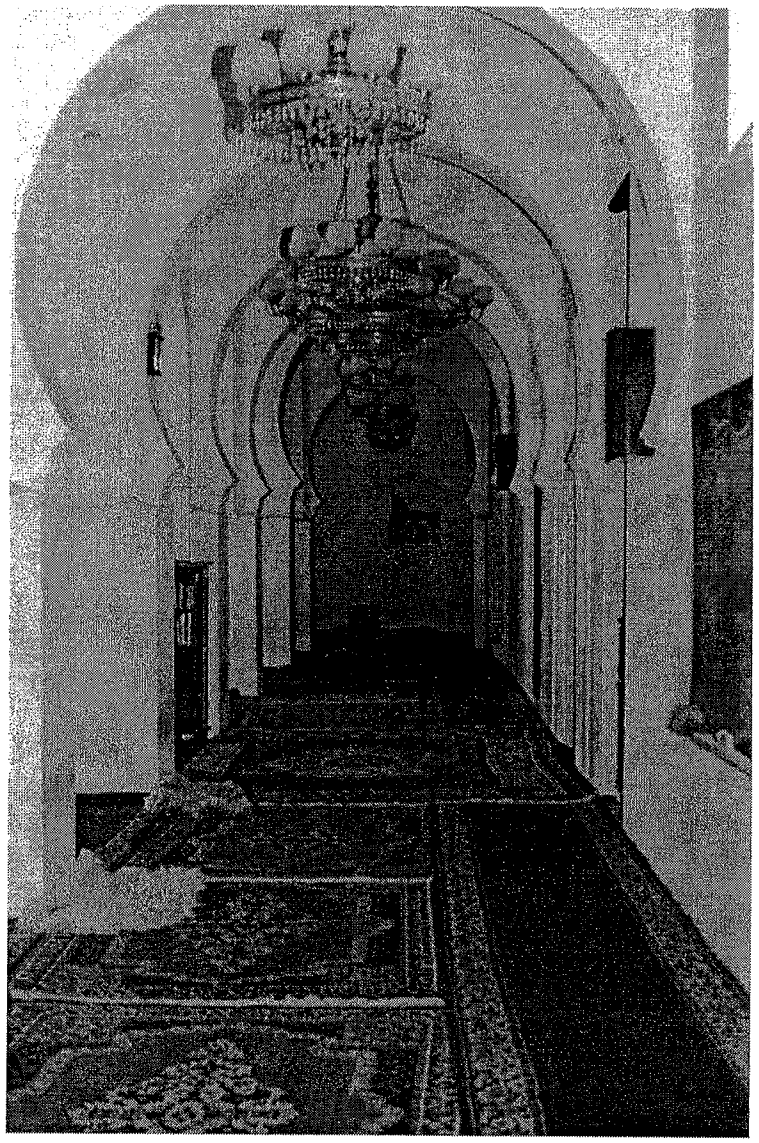

اللوحة رقم 04 : منظر لأحدى البلاطات داخل بيت الصلاة في الجامع المرابطي الكبير

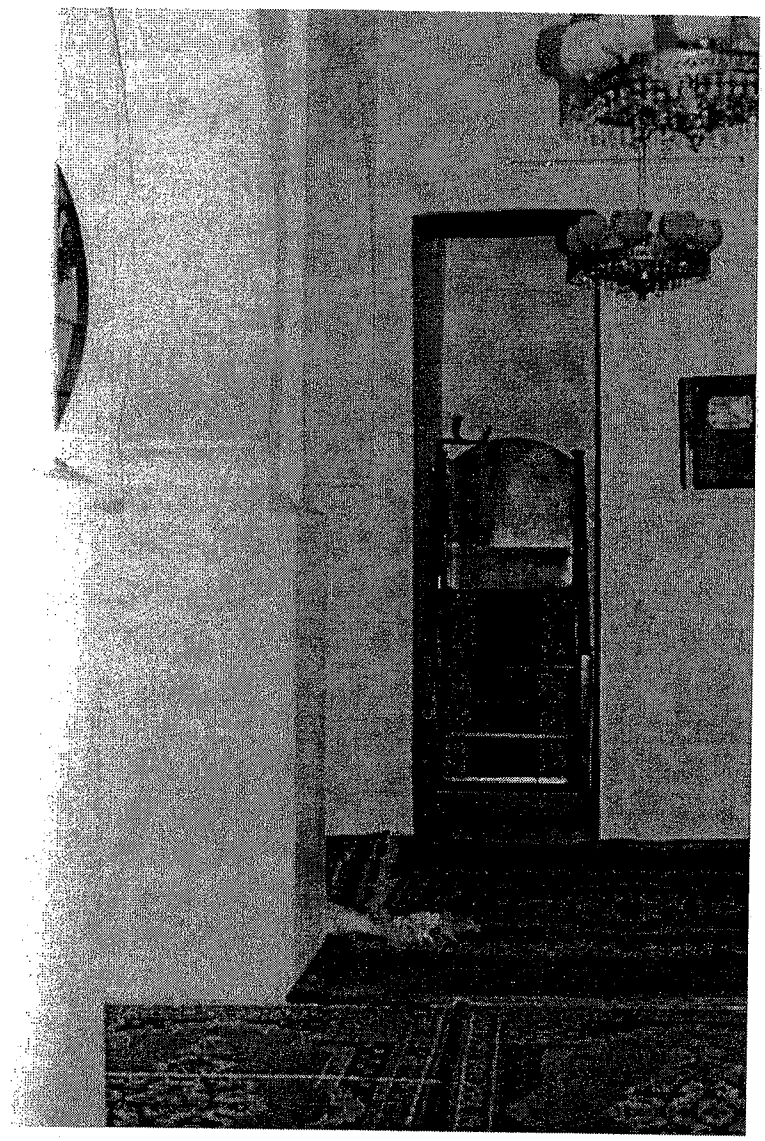

اللوحة رقم 05 : منظر لمنبر الجامع المرابطي الكبير

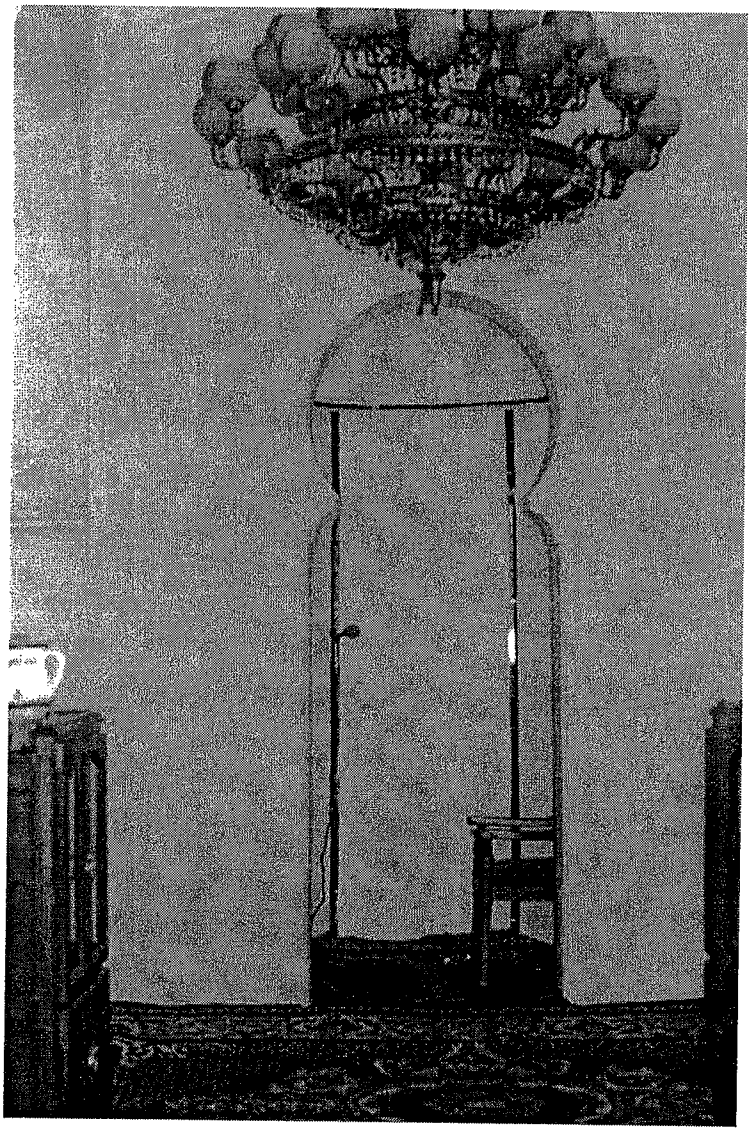

اللوحة رقم 06 : محـــراب الجامع المراطبي الكبير

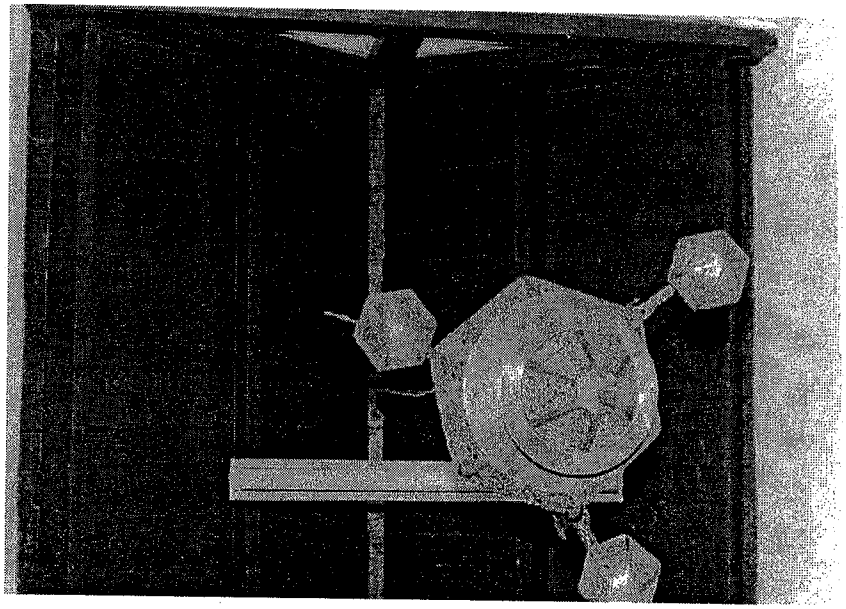

اللوحة 07 : منظر داخل لسقف الجامع المرابطي الكبير

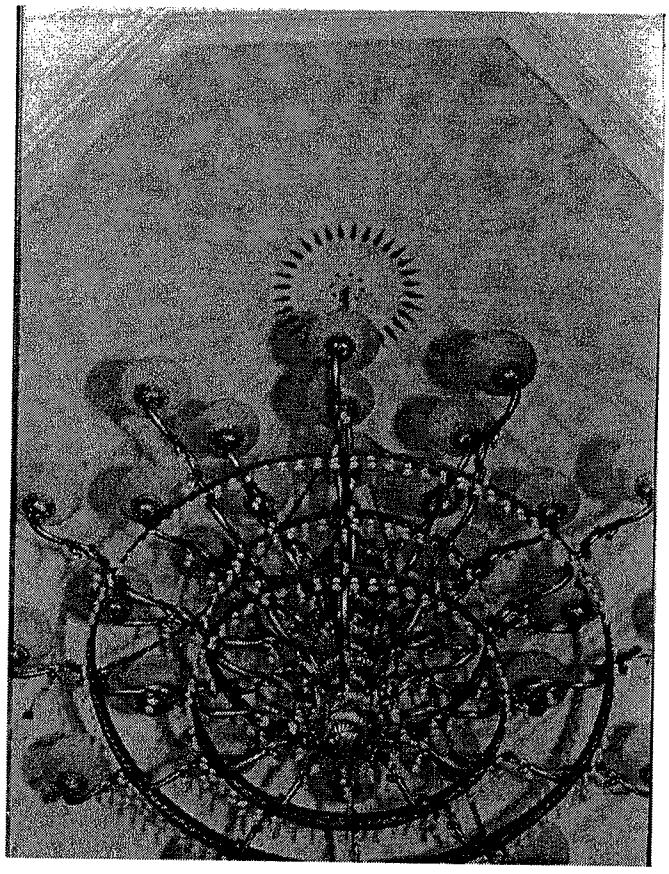

اللوحة رقم 08 : منظر داخلي للقبة الوحيدة للجامع المرابطي الكبير

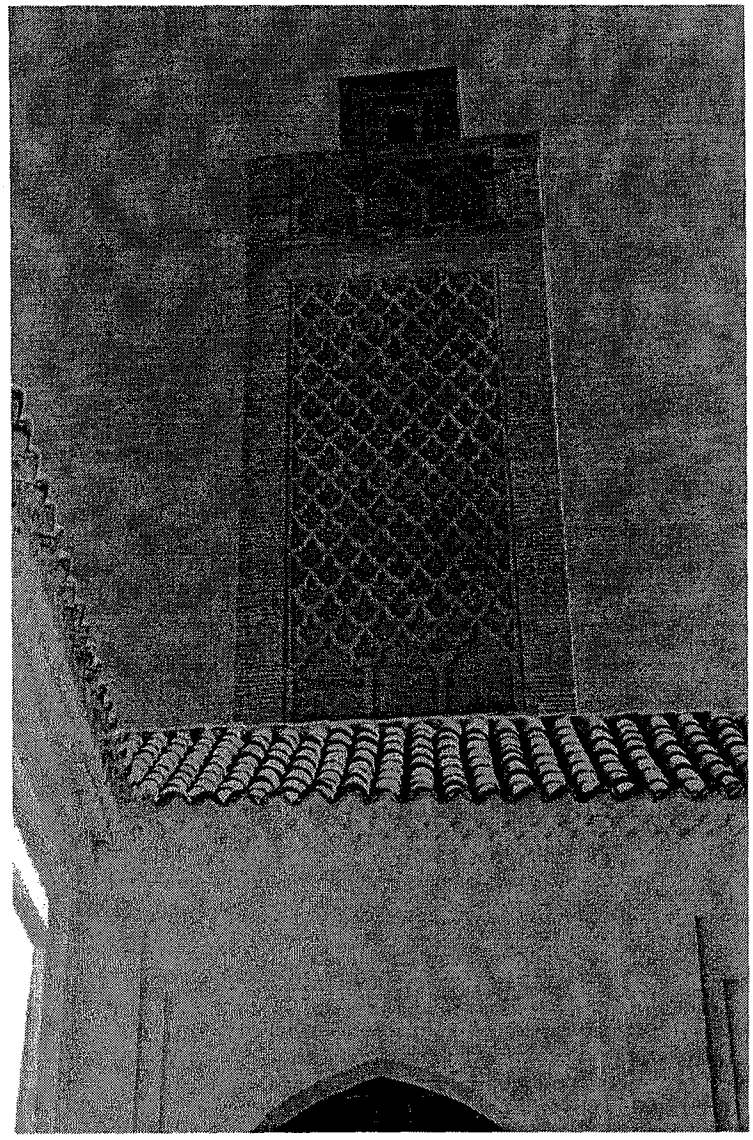

اللوحة رقم 09 : منظر عام للمئذنة الزيانية للجامع المرابطي بندرومة

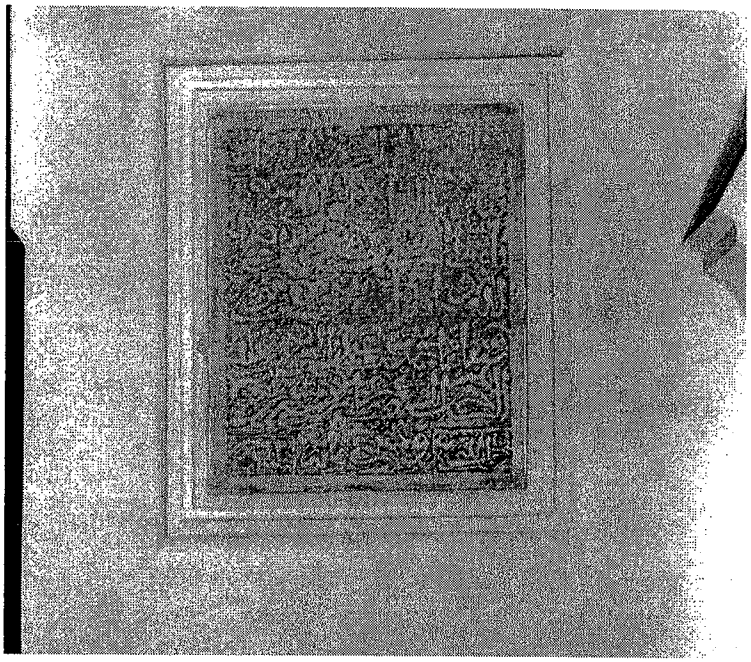

اللوحة رقم 10 : لوحة قرآنية حائطية بالمسجد المرابطي الكبير

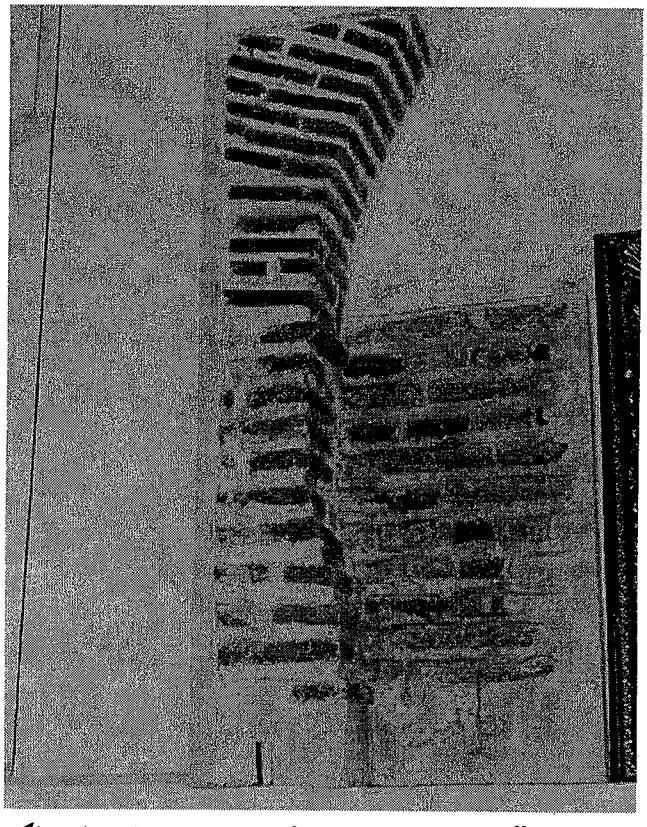

اللوحة رقم 11 : لوحة قرآنية بالمسجد المرابطي الكبير

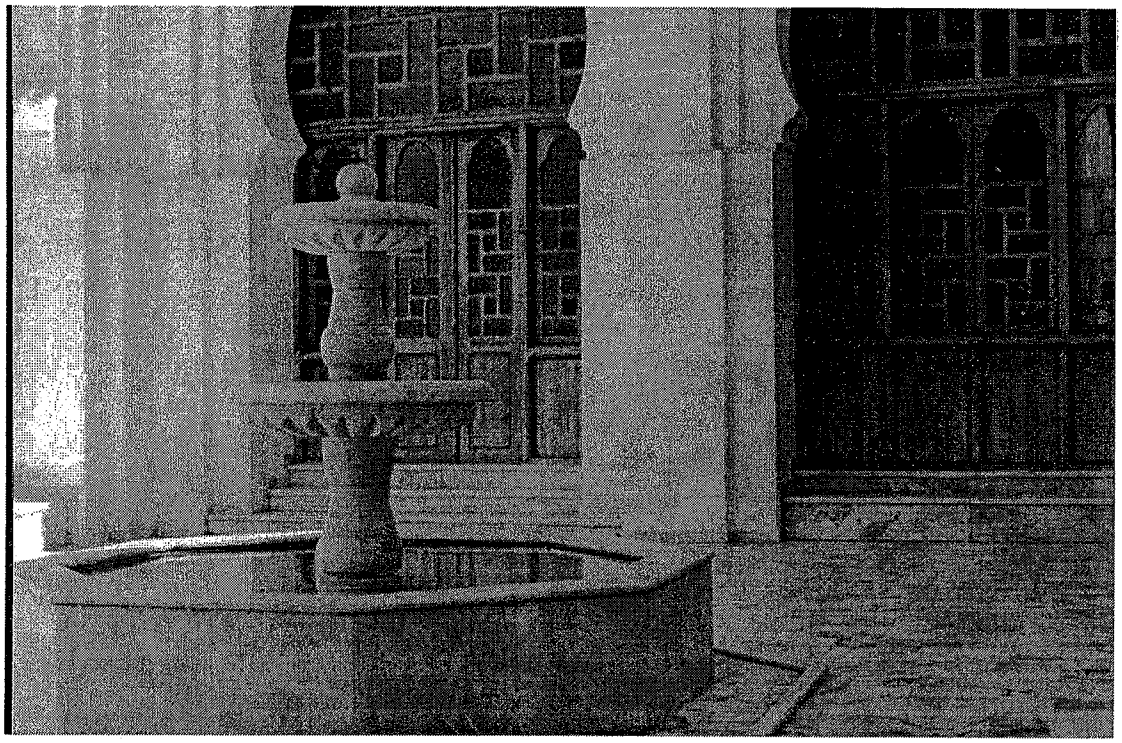

اللوحة رقم 12 : الفناء الداخلي للجامع المرابطي الكبير

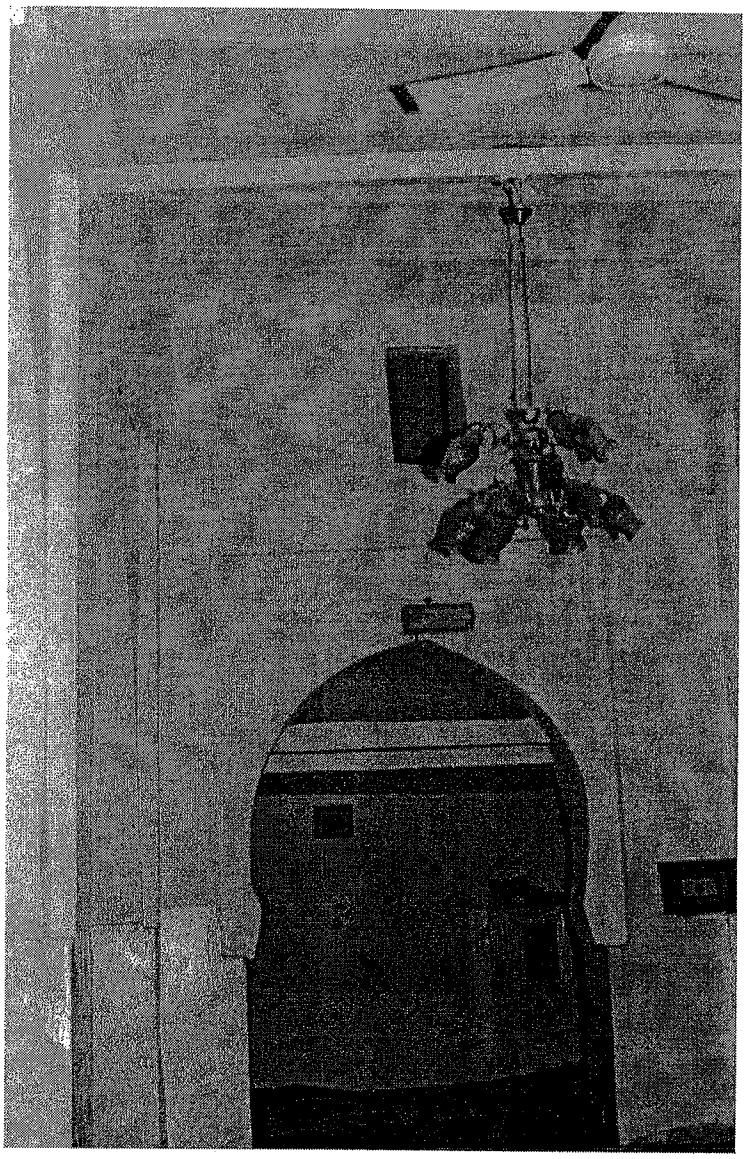

اللوحة رقم 13 : مدخل جامع القدارين

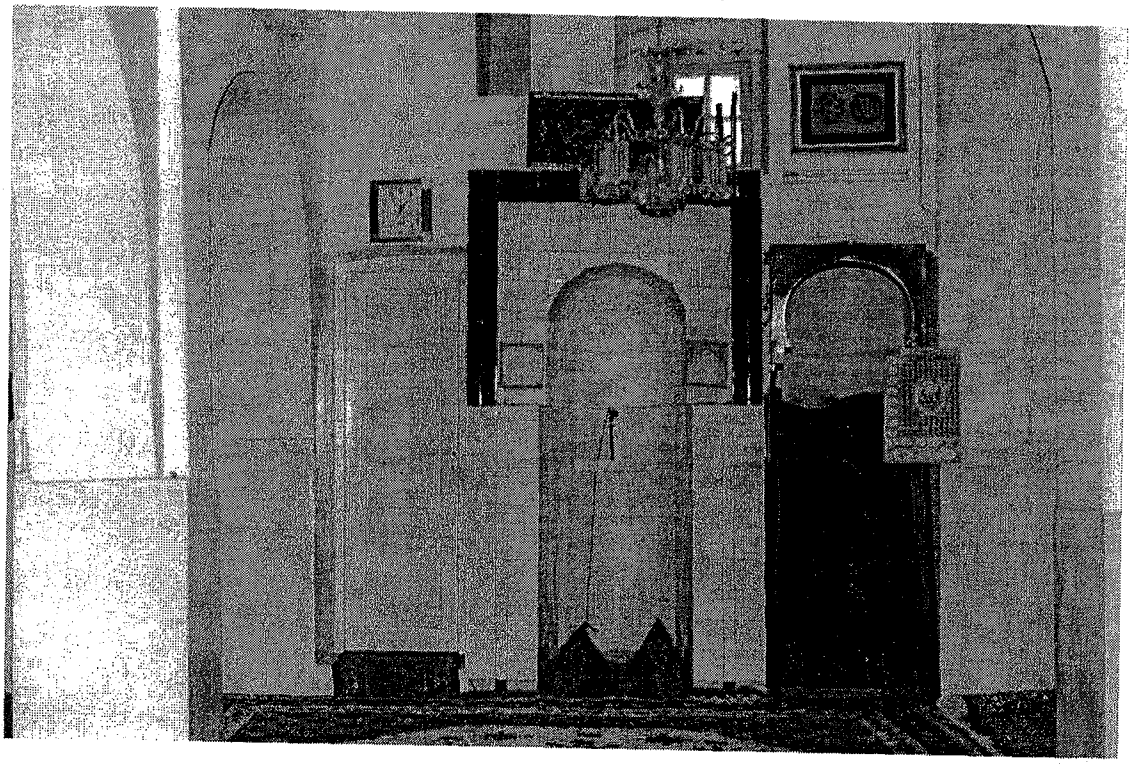

اللوحة رقم 14 : محراب ومنبر مسجد القدارين

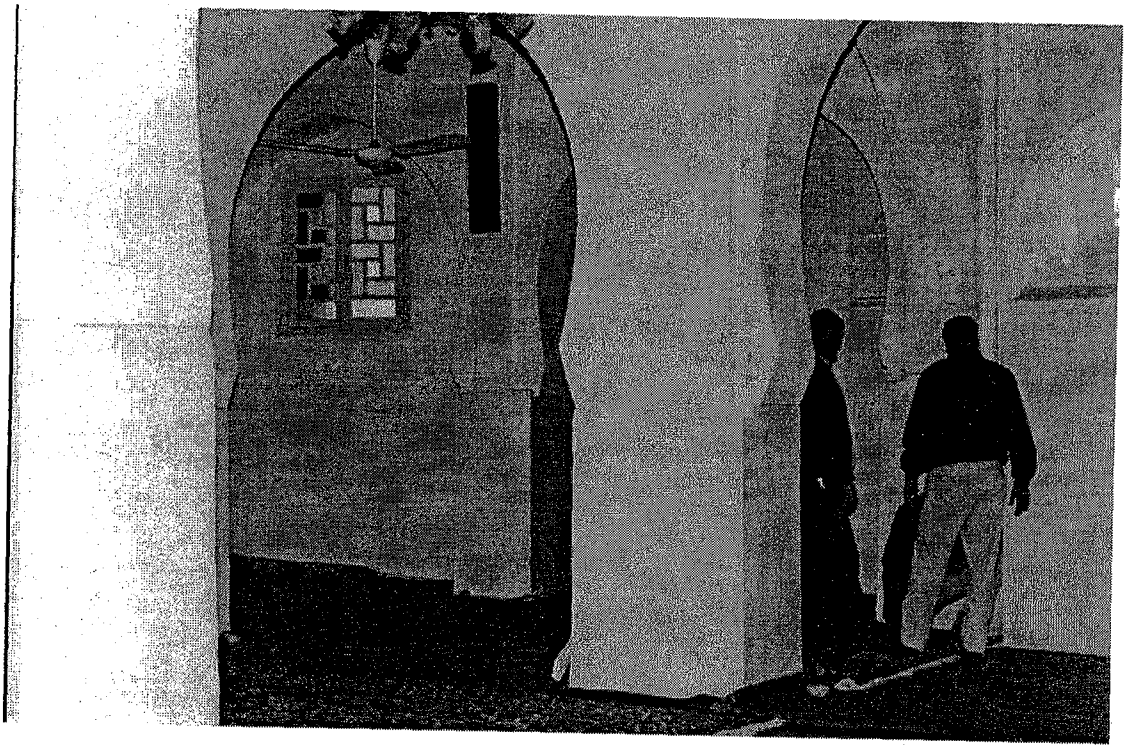

اللوحة رقم 15 : منظر لأعمدة وأقواس صحن جامع القدارين

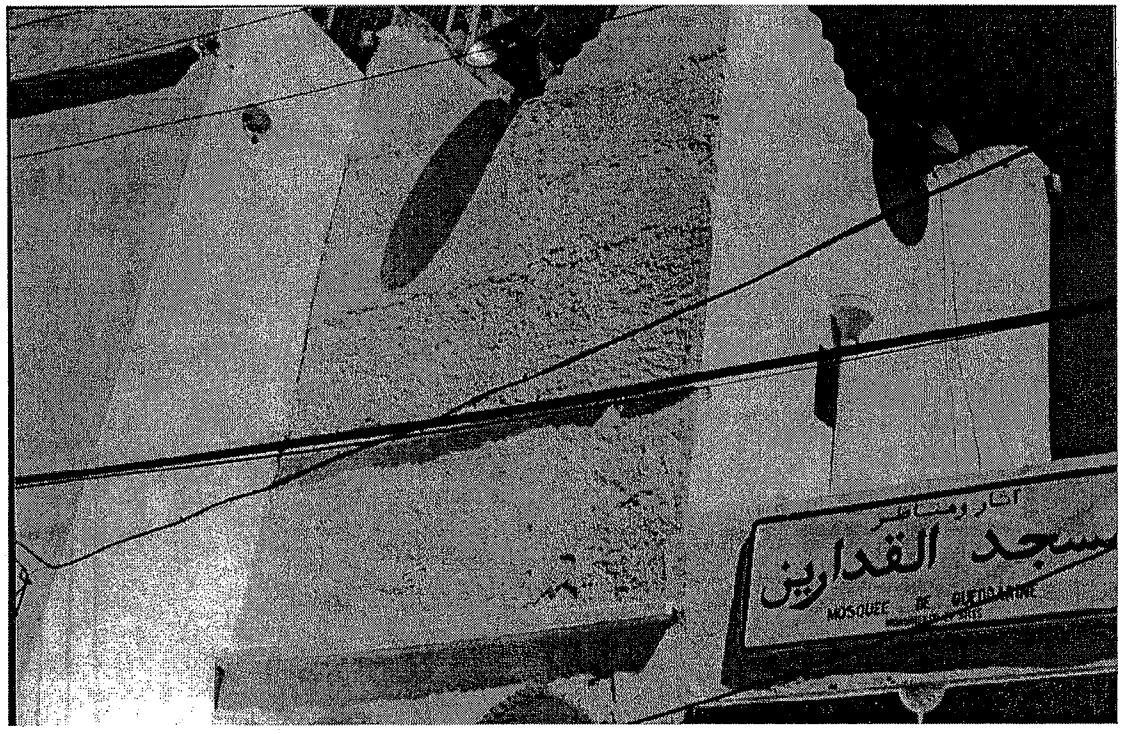

اللوحة رقم 16 : مـــئذنة جامع القدارين

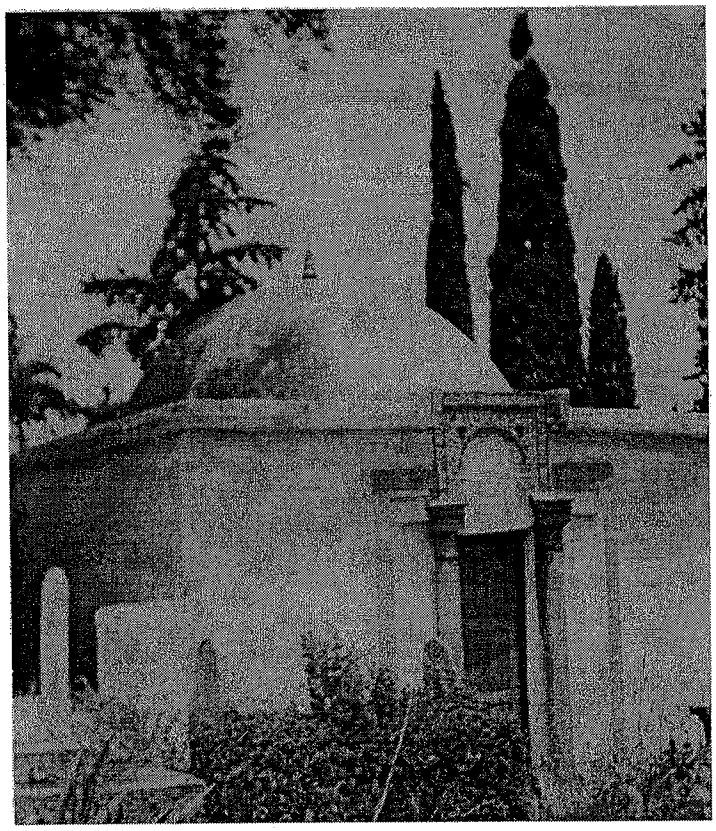

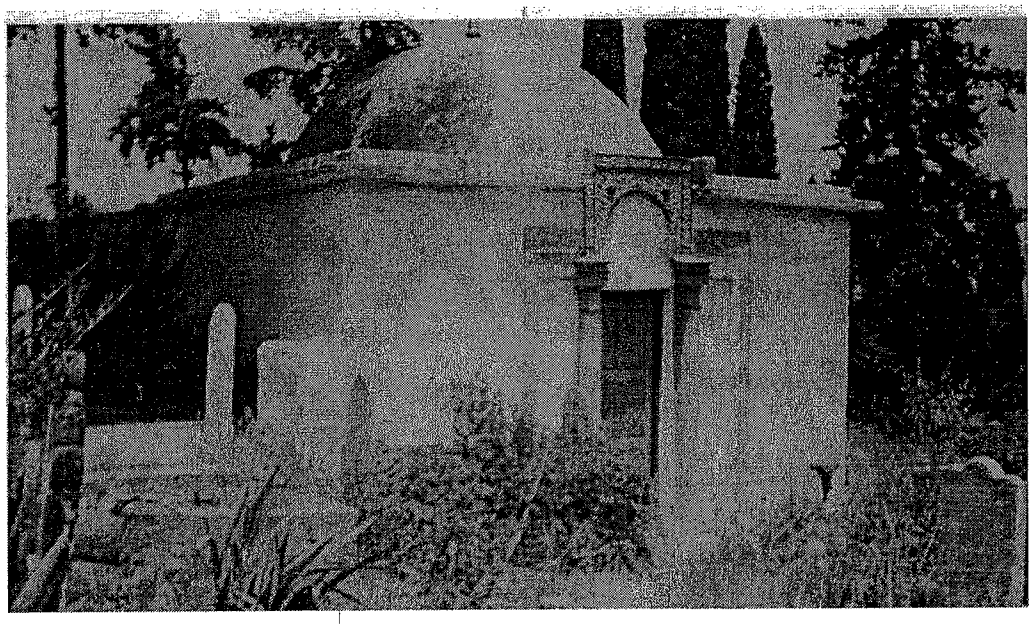

اللوحة رقم 17 : منظر خارجي لضريح سيد أحمد البجائي

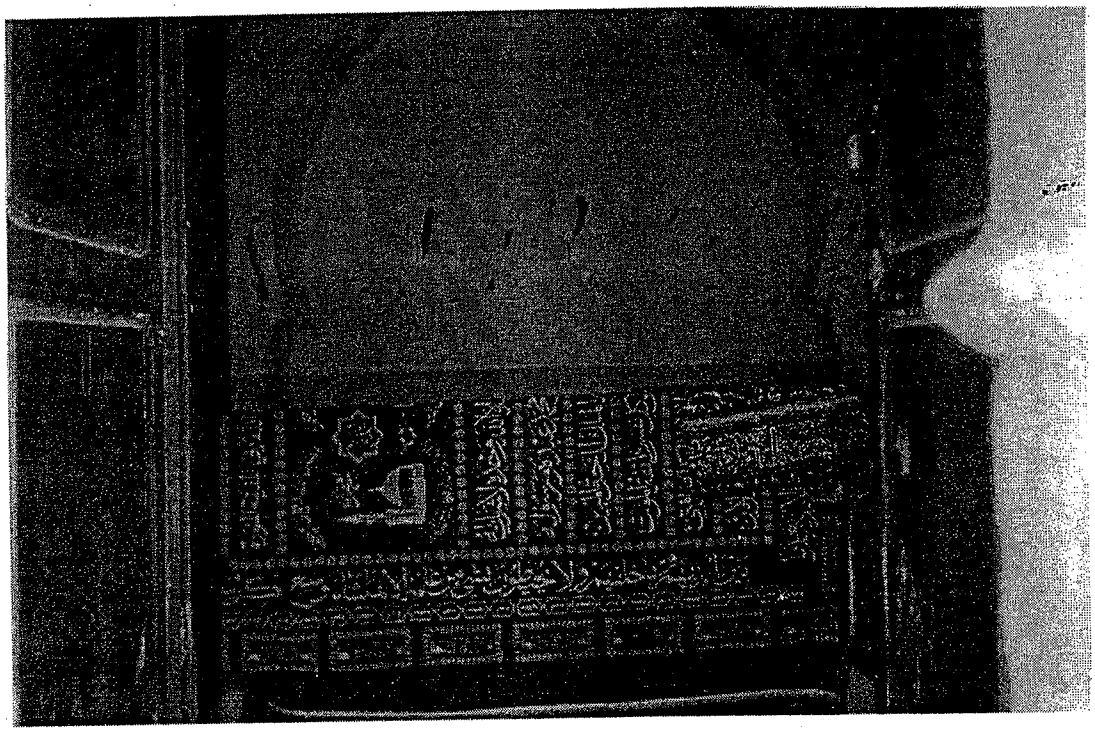

اللوحة رقم 18 : منظر داخلي لضريح سيد أحمد البجائي

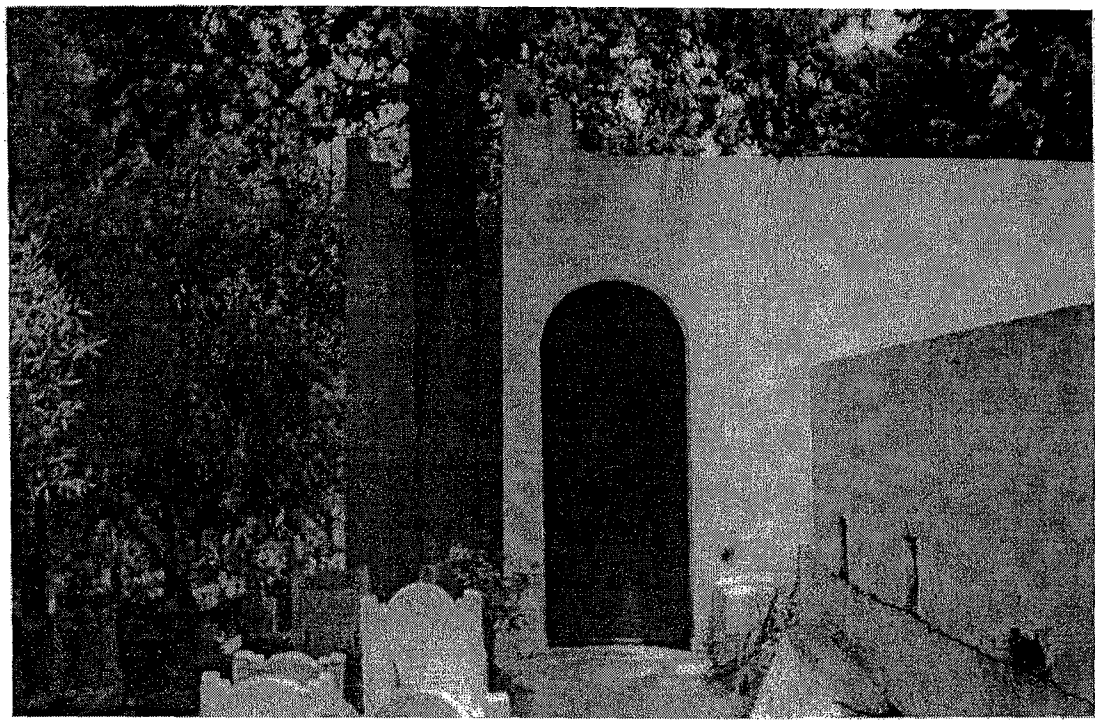

اللوحة رقم 19 : منظر خارجي لضريح قدور بن عاشور

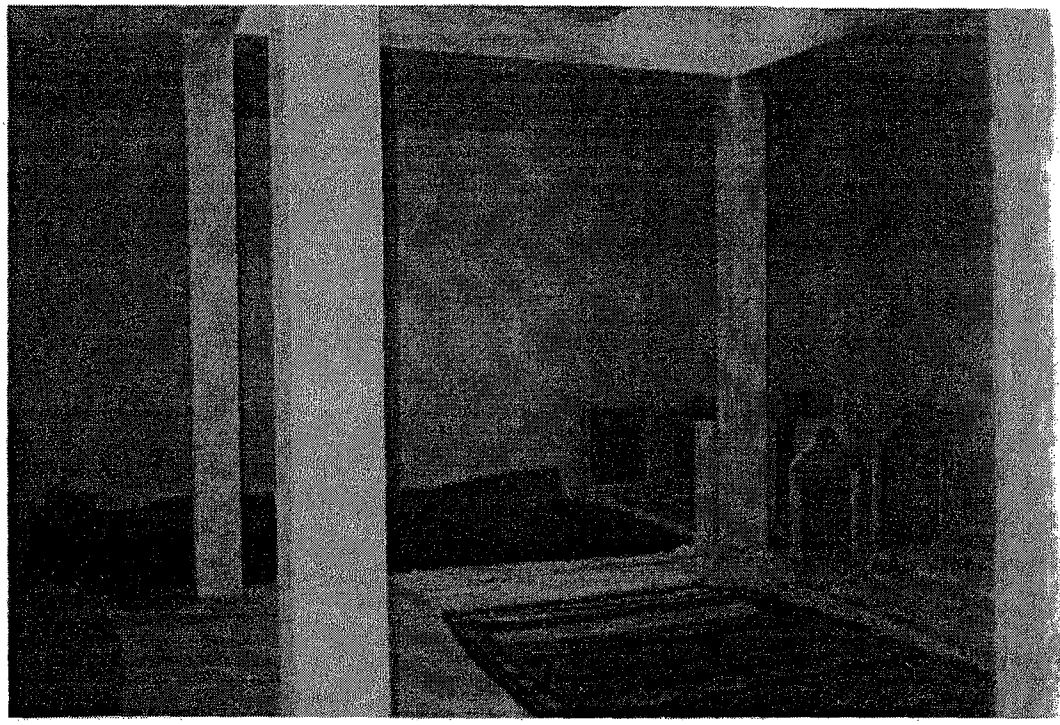

اللوحة رقم 20 : منظر داخلي لضريح قدور بن عاشور

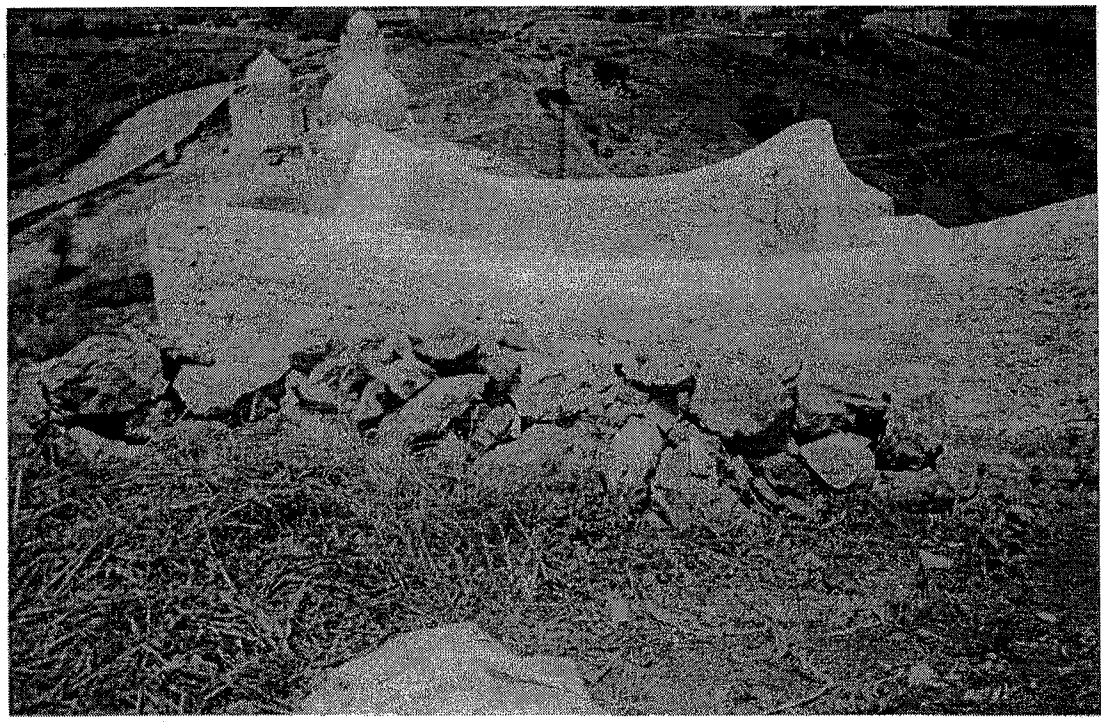

اللوحة رقم 21 : منظر عام لأضرحة زاوية سيدي بن أعمر

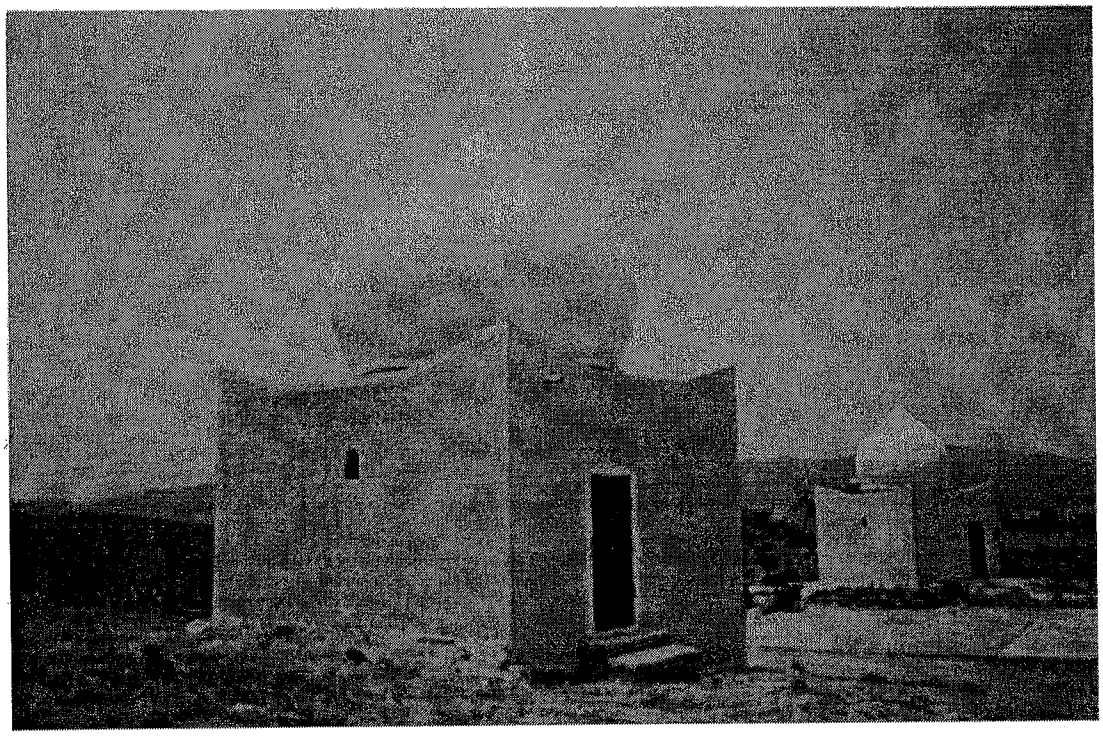

اللوحة رقم 22 : منظر عام لقباب أضرحة زاوية سيدي بن أعمر

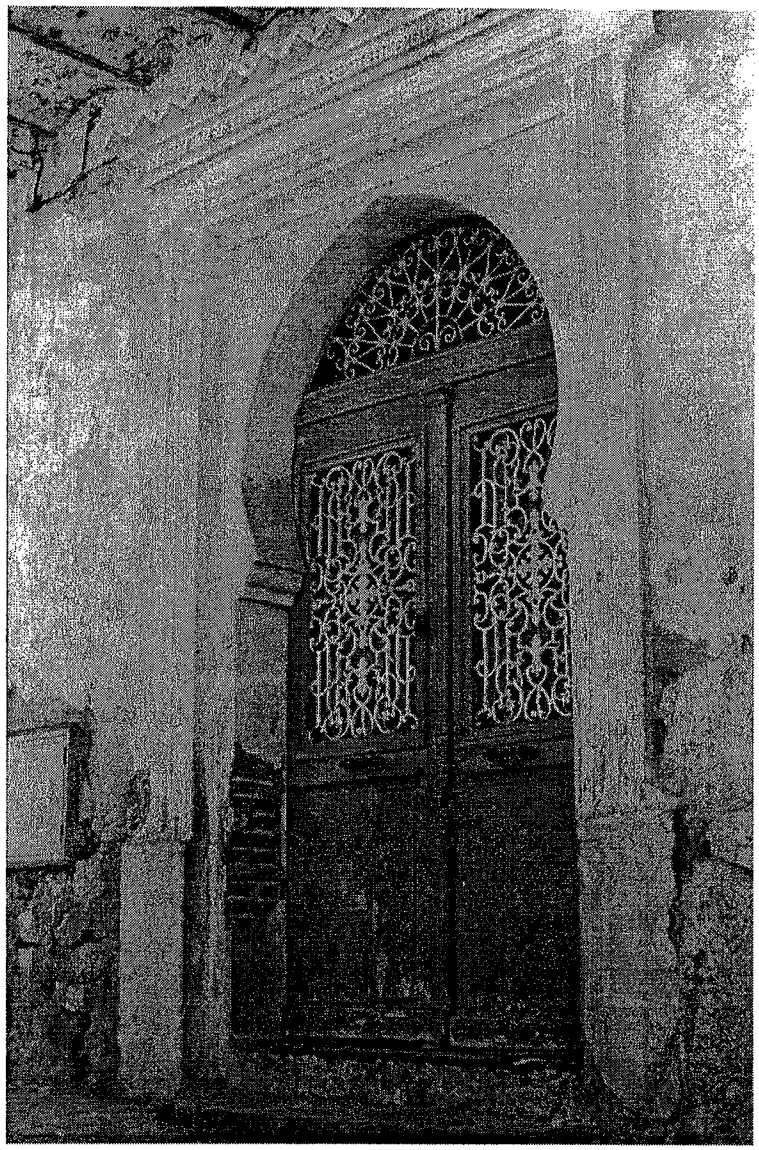

اللوحة رقم 23 : منظر للباب الخارجي لدار القاضي بندرومة

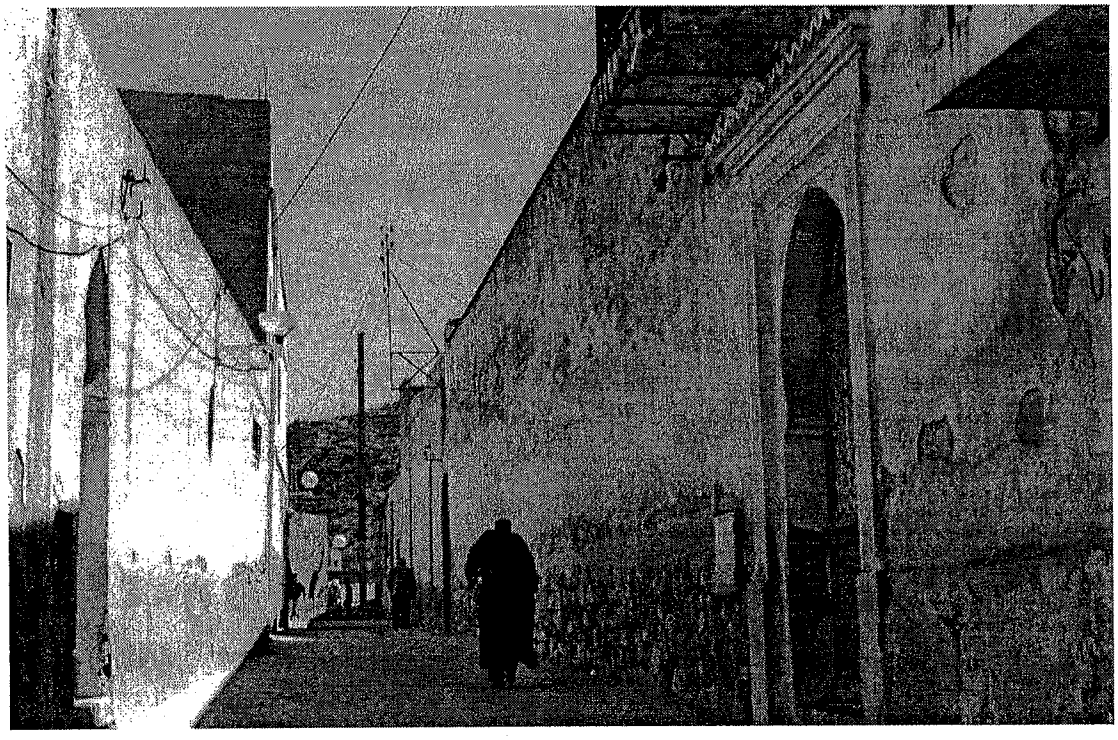

اللوحة رقم 24 : منظر عام لواجهة دار القاضي بندرومة

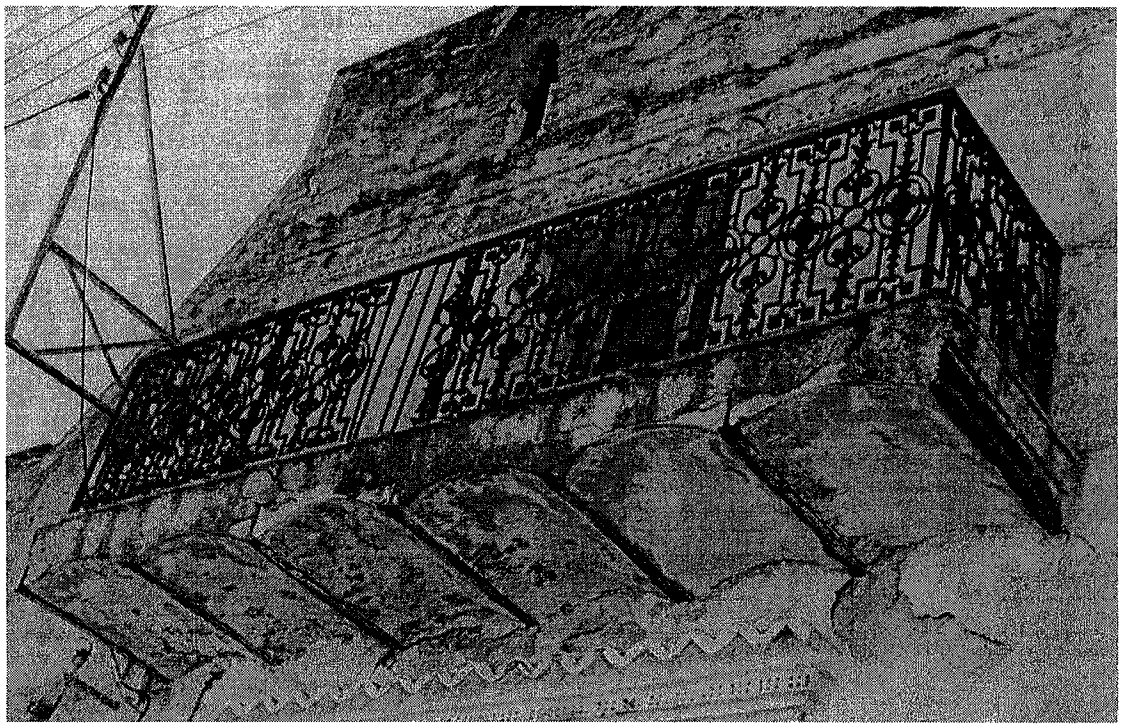

اللوحة رقم 25 : الشرفة التي تعلو مدخل دار القاضي بندرومة

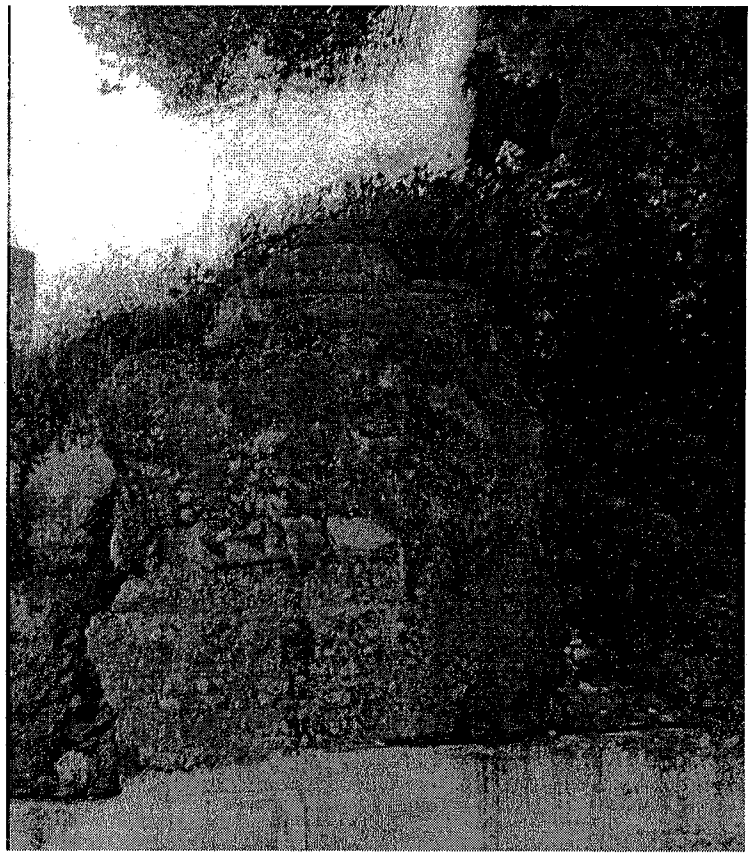

اللوحة رقم 26 : آثار بقايا أسوار قصر السلطان

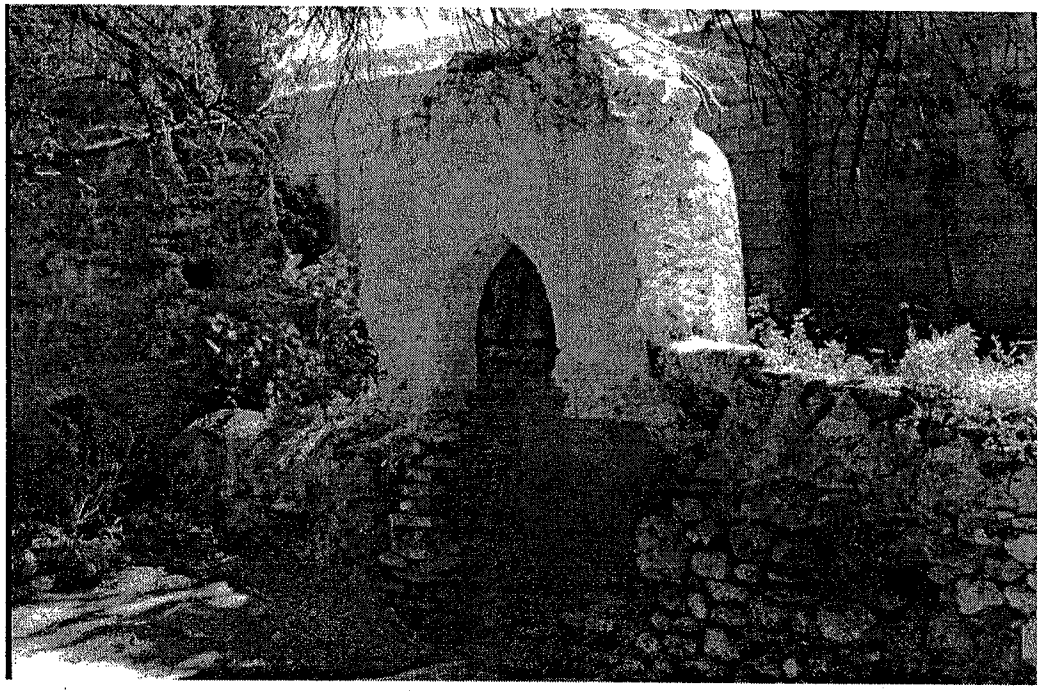

اللوحة رقم 27 : آثار قصر سيد السلطان

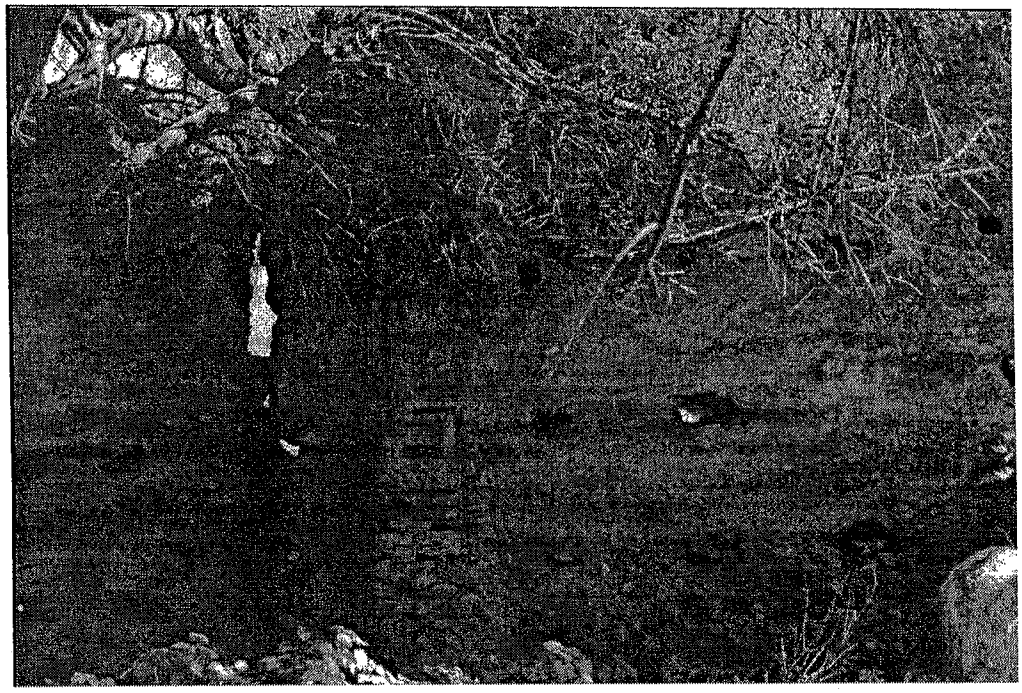

اللوحة رقم 28 : آثار أسوار سيد السلطان

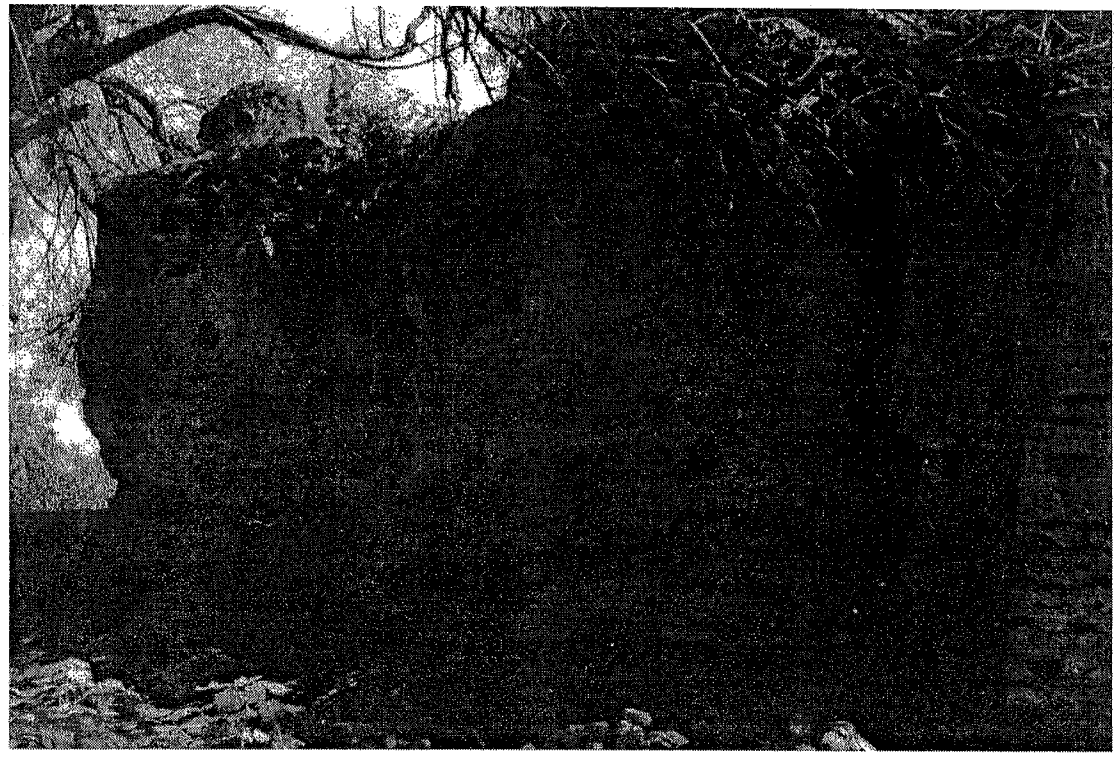

اللوحة رقم 29 : آثار أسوار سيد السلطان

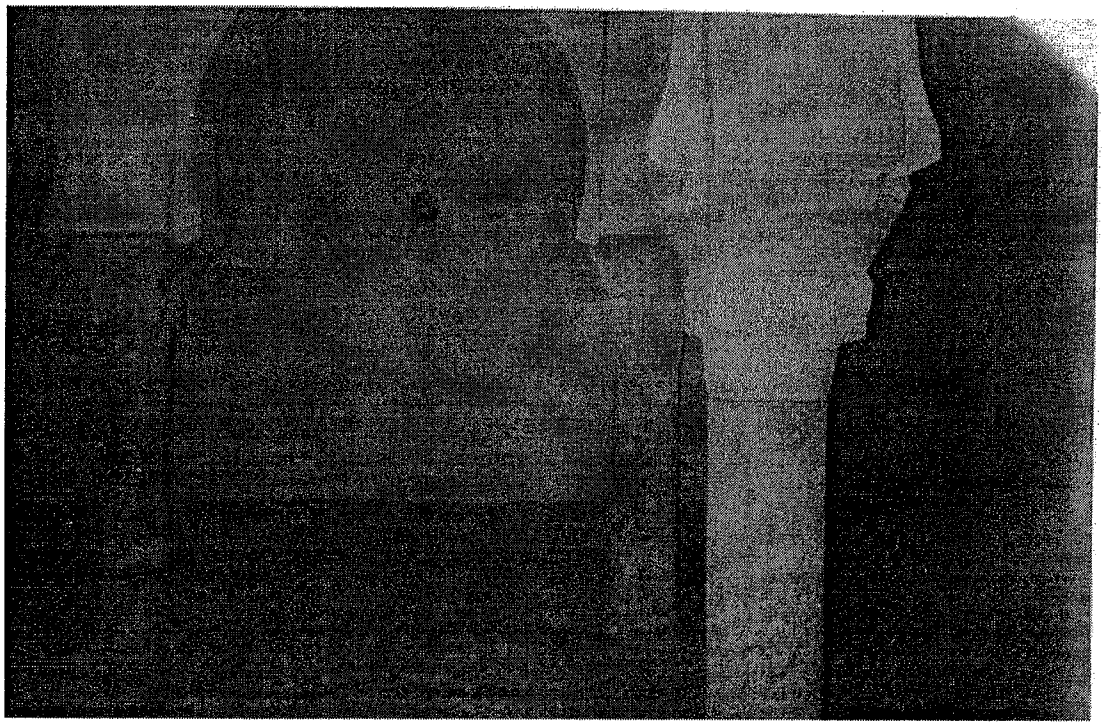

اللوحة رقم 30 : قاعة الاستقبال بالحمام البالي

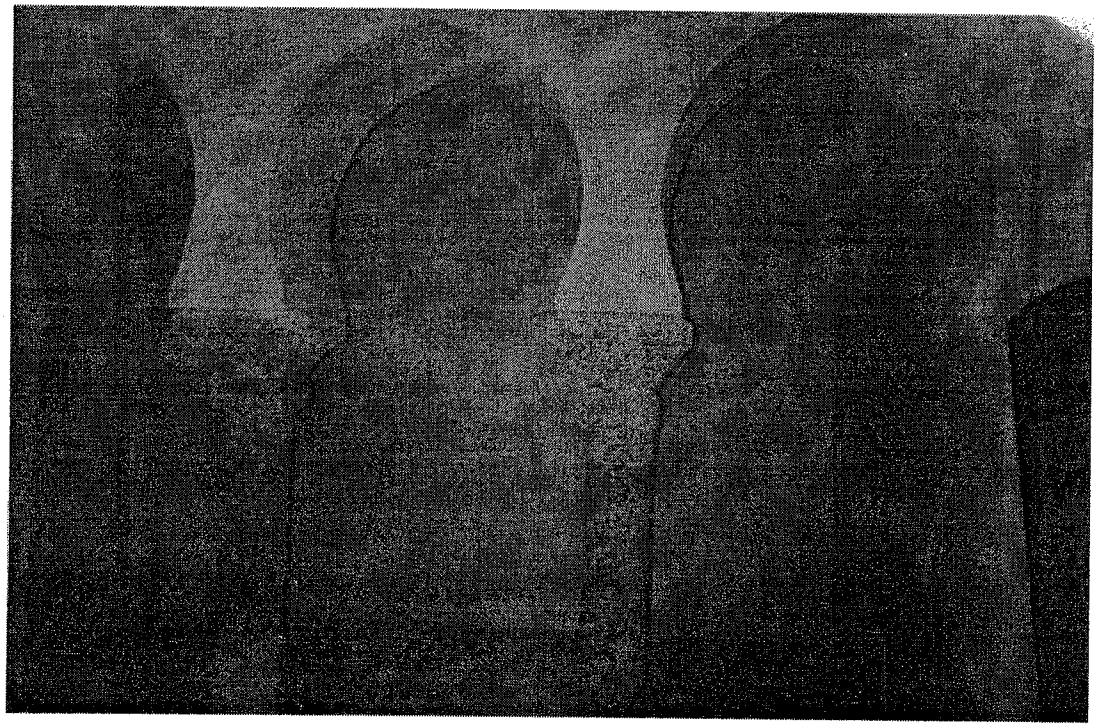

اللوحة رقم 31 : قاعة الاستراحة بالحمام البالي

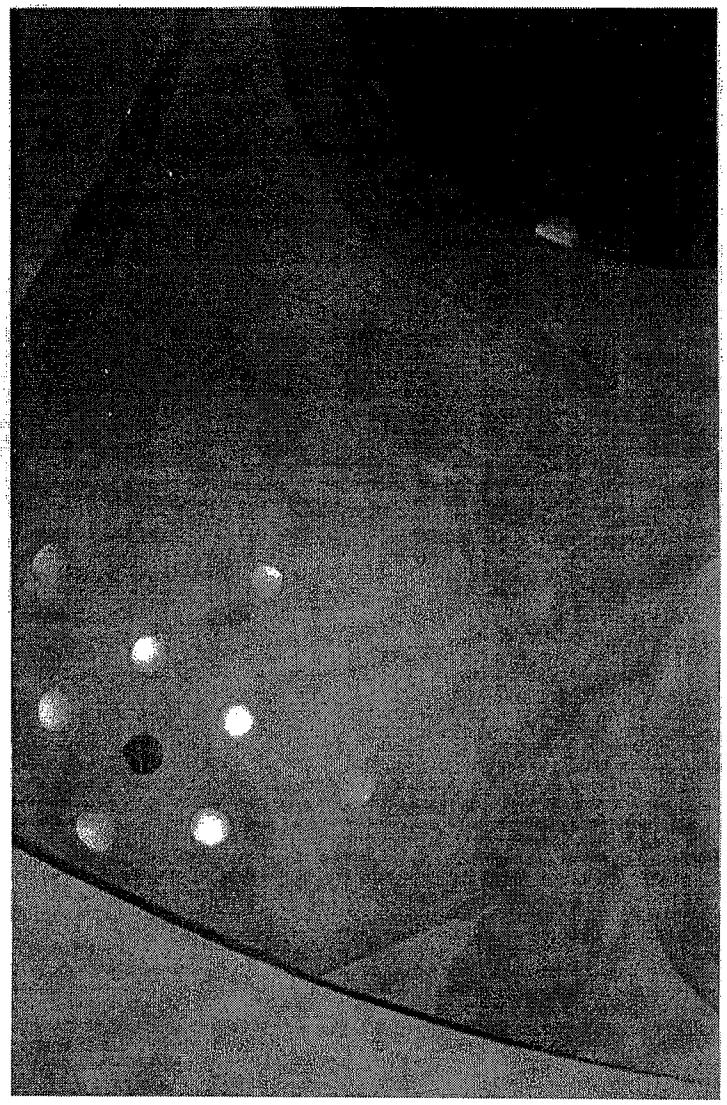

اللوحة رقم 32 : منظر عام للقبة التي تعلو قاعة الاستراحة

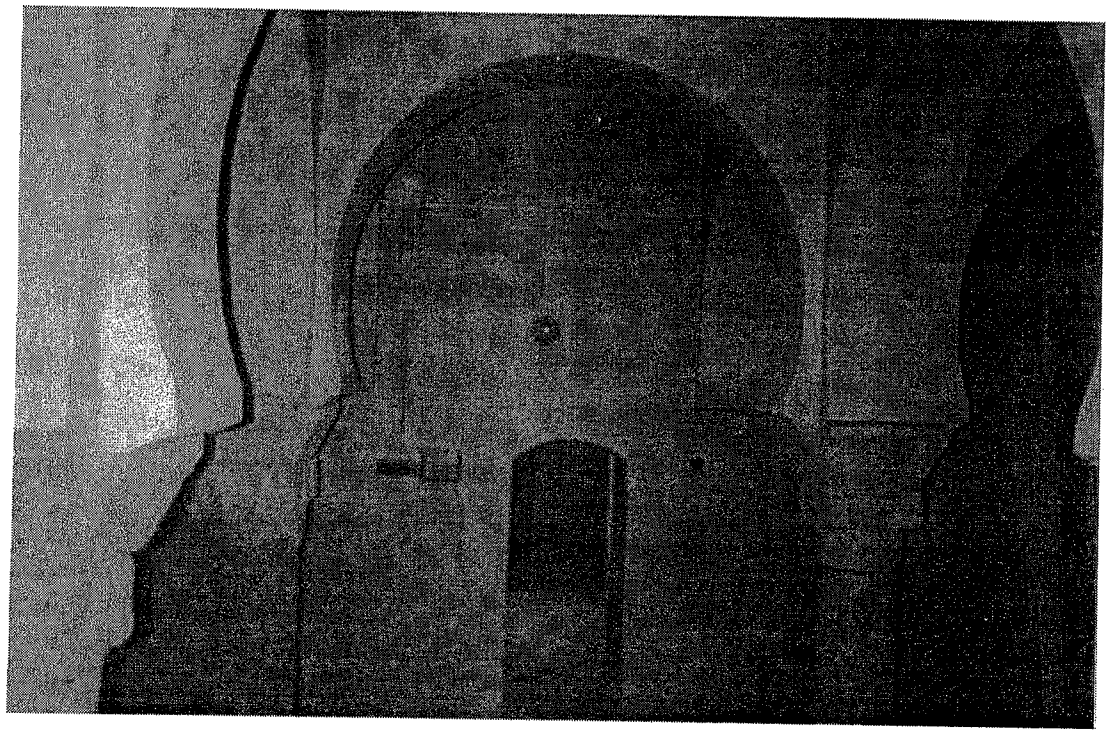

اللوحة رقم 33 : القاعة الباردة بالحمام البالي

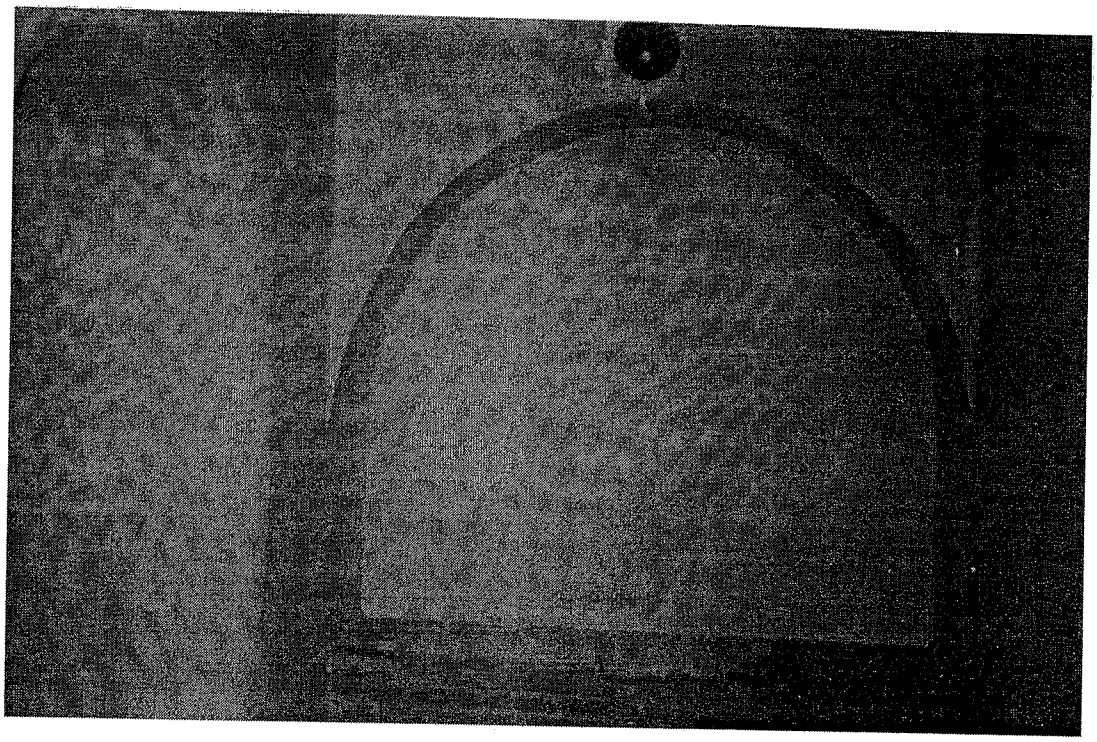

اللوحة رقم 34 : قاعة العرسان بالحمام البالي

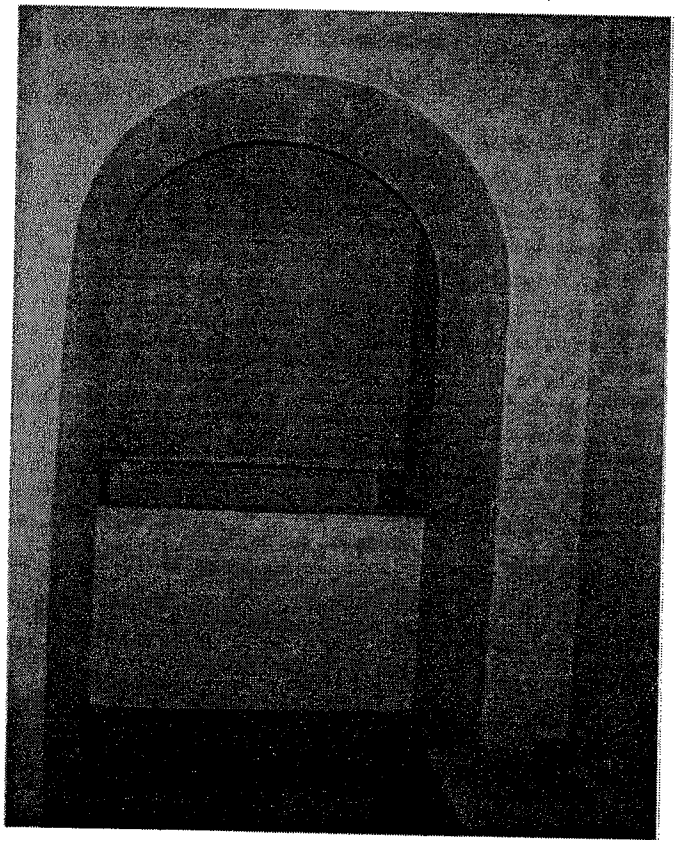

اللوحة رقم 35 : منظر عام داخل الحمام البالي – الجابية –

اللوحة رقم 36 : جابية الماء الساخن بالحمام البالي

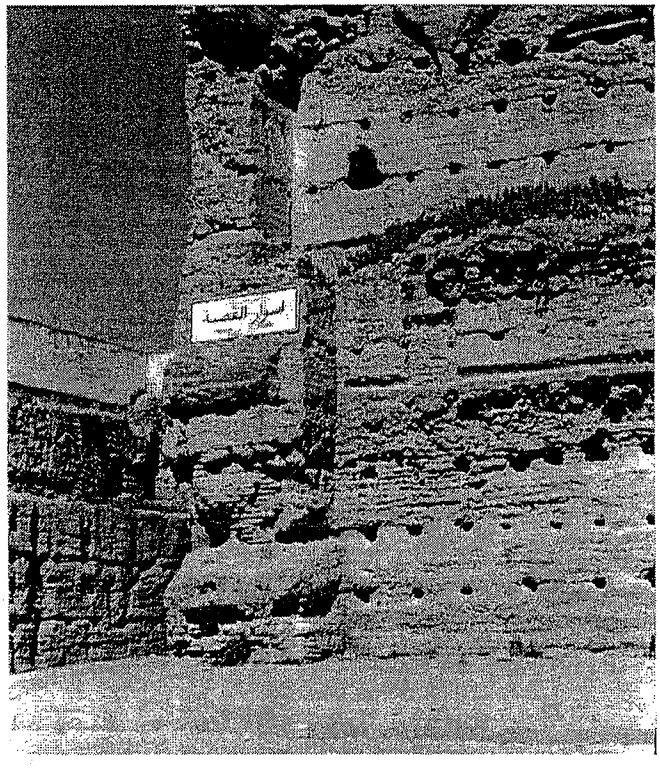

اللوحة رقم 37 : منظر عام لأسوار القصبة

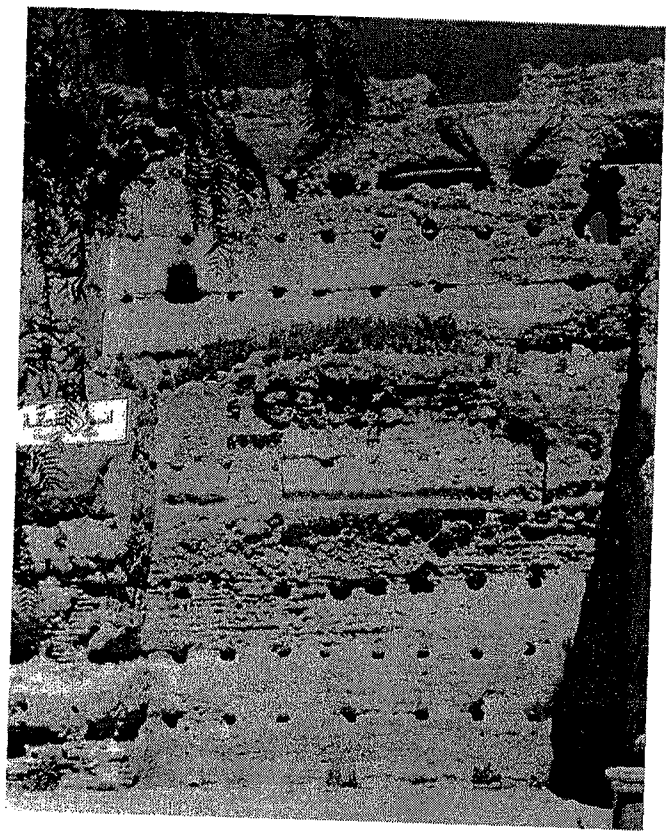

اللوحة رقم 38 : أسوار القصبة

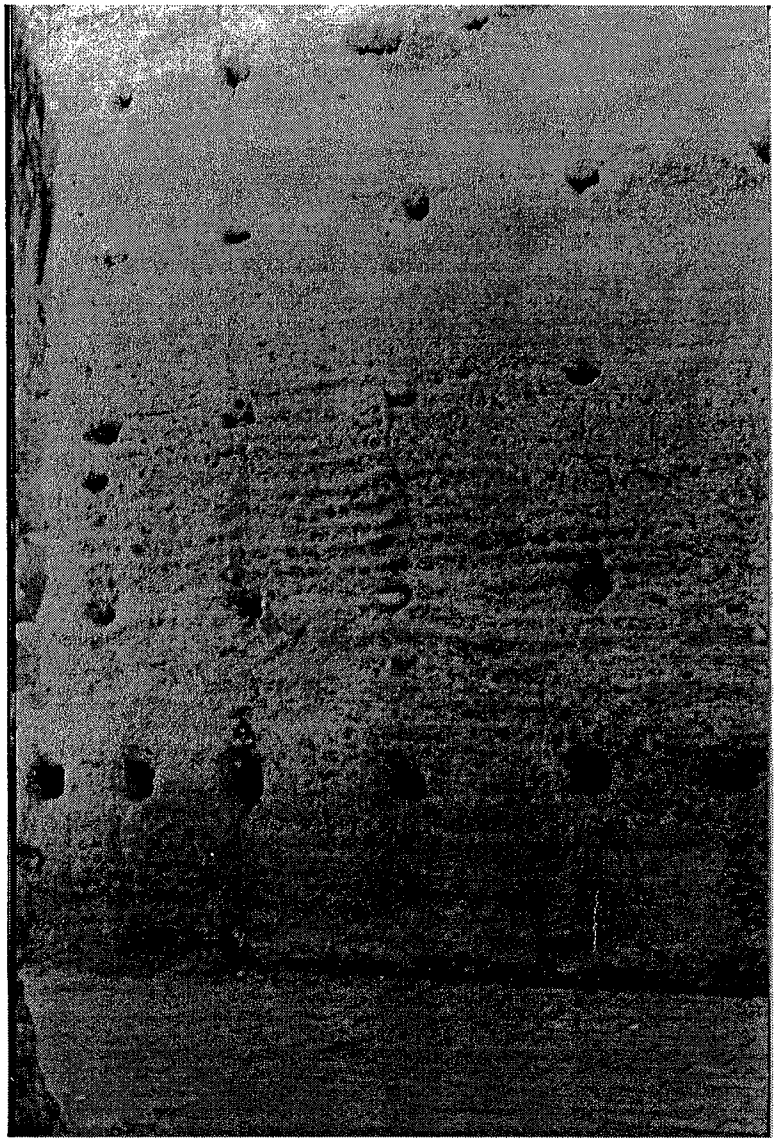

اللوحة رقم 39 : منظر داخلي لأسوار القصبة

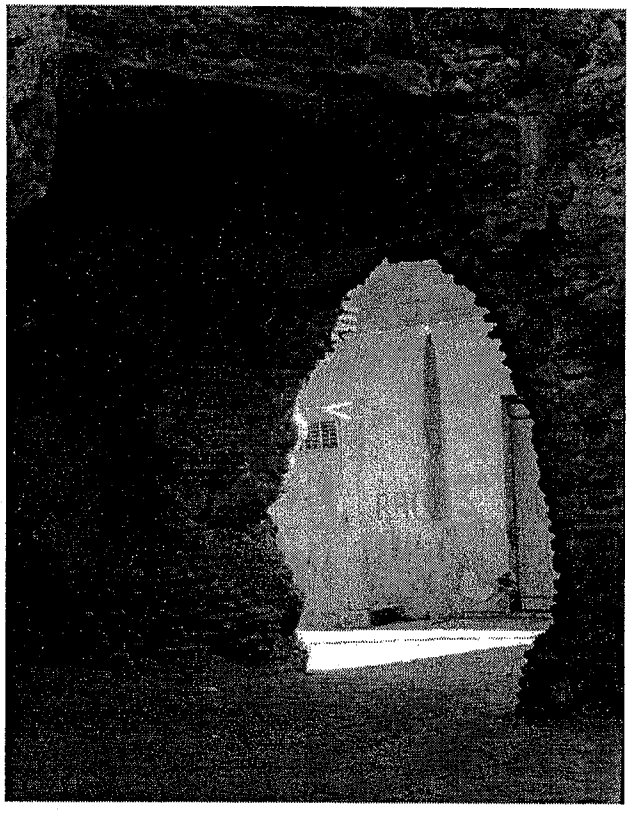

اللوحة رقم 40 : منظر عام لباب القصبة

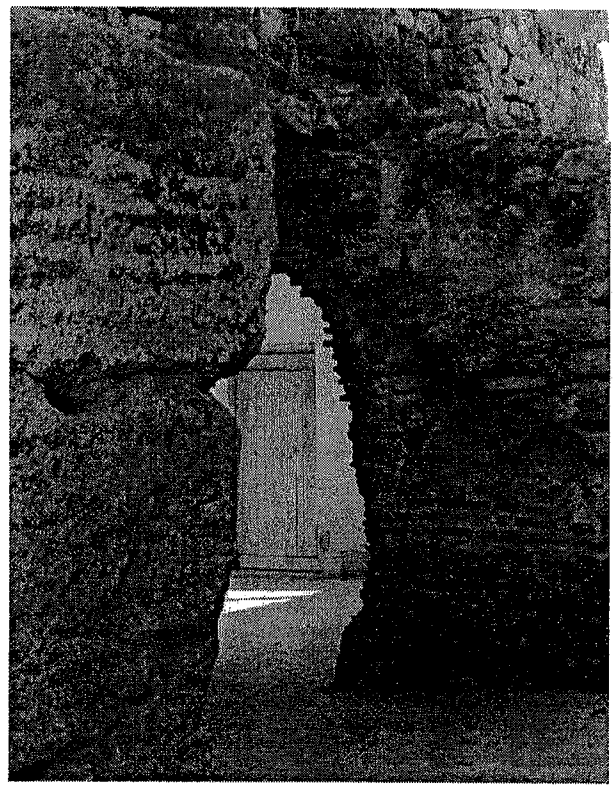

اللوحة رقم 41 : منظر جانبي لبـــــــاب القصبة

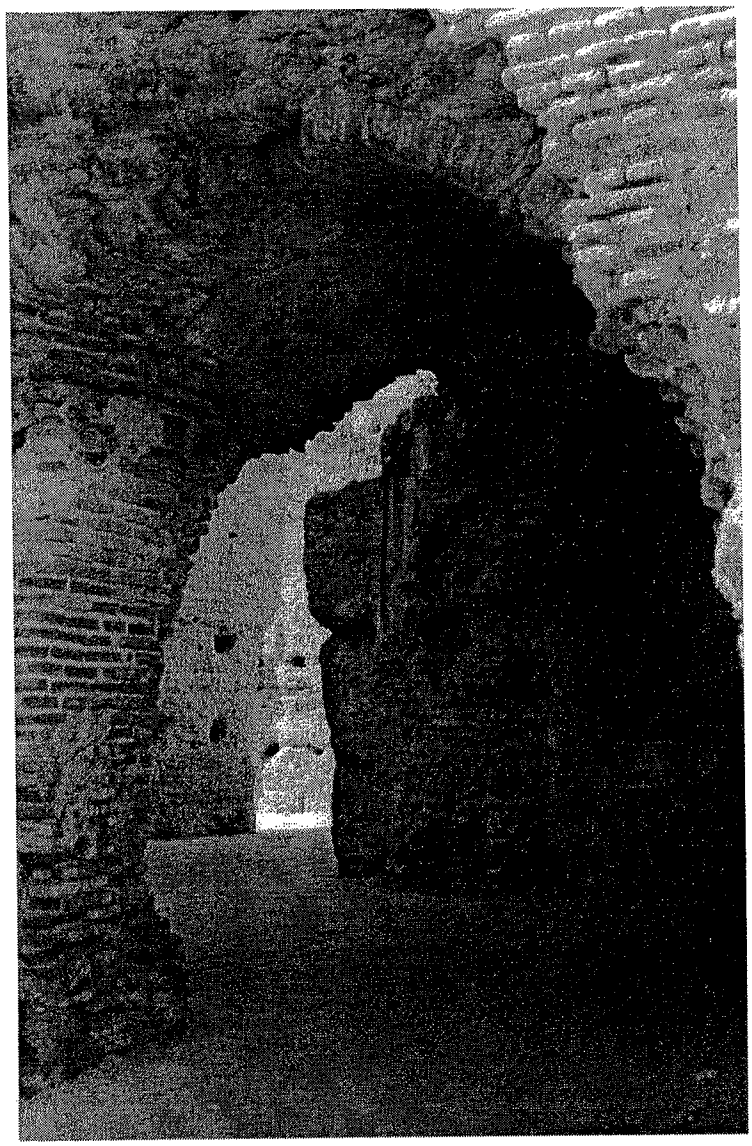

اللوحة رقم 42 : منظر داخلي لباب القصبة

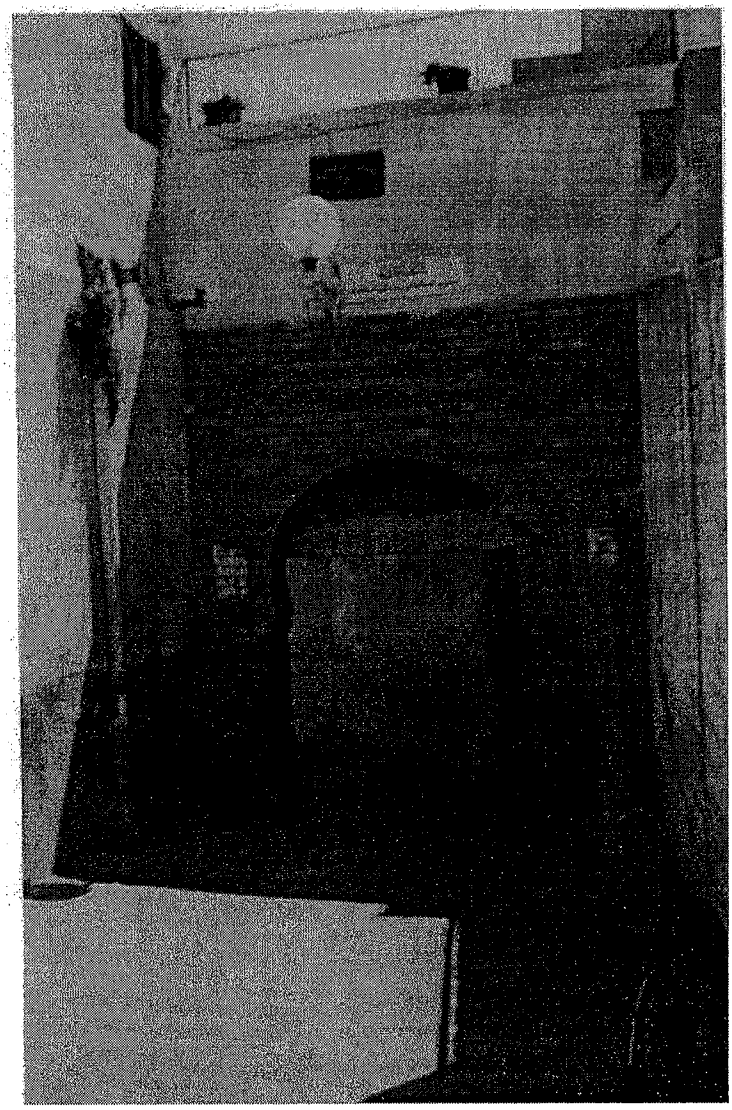

اللوحة رقم 43 : منظر عام لباب المدينة

الفهرس

الإهداء

كلمة شكر

مقـــدمة..... أ-ب-ج

المدخل: المدينة العربية الاسلامية..... 1

1- نشأة و تطور المدينة العربية الاسلامية..... 2

2- طبيعة ومميزات المدينة العربية الإسلامية..... 3

3- التراتيب المعمارية و المعايير الهندسية للمدينة العربية الاسلامية..... 4

أ. المعايير الهندسية..... 4

ب. المعايير التقنية..... 5

ج. مواد البناء..... 5

د. معايير الأضرار..... 6

ه. المعايير الوظيفية والجمالية..... 7

و. معايير الجوار..... 8

ز. المعايير العمرانية..... 9

ح. مقاييس الشوارع..... 10

4 - مدينة ندرومة من خلال المصادر و المراجع التاريخية..... 13

الفصل الأول: جغرافية وتاريخ منطقة ندرومة..... 18

1- الإطار الجغرافي لمدينة ندرومة..... 19

أ. موقع ندرومة..... 19

ب. التضاريس..... 20

2- الإطار التاريخي لمنطقة ندرومة 21

أ. التسمية ودلالتها 21

ب. تطور المنطقة تاريخية..... 22

3- التطوّر التاريخي لمدينة ندرومة حتى نهاية العصر العثماني..... 25

أ. ندرومة في العهد الإسلامي..... 25

4- الحياة العامة للمنطقة..... 47
أ. الحياة الاقتصادية..... 47
ب. الحياة الاجتماعية..... 48
الفصل الثاني : التراث العمراني الديني في مدينة ندرومة..... 51
1- المساجد..... 52
أ. الجامع المرابطي الكبير..... 52
ب. مسجد القدّارين..... 60
2- الأضرحة والزوايا..... 61
أ- مفهومها..... 61
ب- دورها الاجتماعي والثقافي..... 62
ج- الأضرحة..... 63
د- الزوايا..... 65
الفصل الثالث: العمارة المدنية و العسكرية..... 74
1- العمارة المدنية..... 75
أ. البيت..... 76
ب. السوق..... 79
ج. الحمّام: الحمّام البالي..... 82
2- العمارة العسكرية..... 87
أ. الأسوار: أسوار القصبة..... 88
ب. الأبواب..... 90
الخاتمة..... 91
قائمة المصادر و المراجع..... 93
الملاحق..... 100
أ. المخطّطات..... 101
ب. اللوحات..... 114
الفهرس..... أ- ب